



لِلْمَوْلَى الْعَبَّاسِيِّ

مُسْتَعِينِ بْنِ عَقِيلٍ

وقائع السفارة

لِلْحُجَّةِ السَّيِّدَةِ
وقائع الشهادة

تأليف
السَّيِّدِ عَلِيِّ السَّيِّدِ جَمَالِ السَّيِّدِ الْهَيْبِيِّ

المطبوعة الكاملة



المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

المجموعة الكاملة

بمراجعة السيد علي جمال أشرف الحسيني

أشرف الحسيني ، سيد هادي

العنوان : المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ، وقائع السفارة - المجموعة الكاملة ج ٦

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

مشهد : إعتقاد ما ، قم : مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصصية

٦١٦ ص . الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ = ١٣٩٤ ش = ٢٠١٥ م ٨ أجزاء . المجلد السادس .

طبعت المجموعة كأجزاء متفرقة من سنة ١٤٣٠ إلى سنة ١٤٣٥ هـ ق .

ISBN : ٣٧-٧٧١٢-٦٠٠-٩٧٨ ج ١ : ISBN : ٢٩-٧٧١٢-٦٠٠-٩٧٨ دورة : ISBN :

ج ١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير - قصة التطير .

ج ٢ . وقائع دخول الكوفة . ج ٣ . قصة معقل - قصة محاولة اغتيال ابن زياد .

ج ٤ : معركة القصر . ج ٥ . بين المسجد الأعظم ودار طوعة - الحرب الأخيرة .

ج ٦ . وقائع الشهادة . ج ٧ . ناصرة سفير الحسين عليه السلام - الخاتمة (مختصر في وقائع السفارة) .

ج ٨ . أولاد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

الفهرسة طبق نظام فيبا . المصادر بالهامش .

١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦٠ هـ ق ٢ . واقعة كربلاء ٦١ هـ ق

٣ . الحسين بن علي عليه السلام ، الإمام الثالث هـ ق ٦١ هـ ق - الأصحاب

الإيداع في المكتبة الوطنية :

٣٨٨١٧٤٩ • ٢٩٧ / ٩٥٣٧ • Bp ٤٢ / ٤ / م ٥ ح ٥٦ ، ١٣٩٤

الطبعة : الأولى ، ذوالحجة ١٤٣٦ هـ ق

المطبعة : ذاكر

الكمية : ٥٠٠ نسخة

مركز التوزيع :

قم : شارع چهارمردان ، فرع ٦ رقم ١٥٣ +٩٨ ٩٣٦٩٨٩٤٤٧٢

مشهد : تقاطع شهداء ، شارع بهجت ، نشر إعتقاد ما (رستگار) +٩٨ ٩٣٥٢٢٢٤٦٢٩

تهران : سوق السلطاني ، رقم ٩٩ ، دار الكتب الإسلامية +٩٨ ٢١٥٥٦٢٧٤٤٩

البريد الإلكتروني للمؤلف : saliaashraf@hotmail.com



مكتبة الإمام الحسين التفسيرية
للنشر والتوزيع

ketabashura@hotmail.com

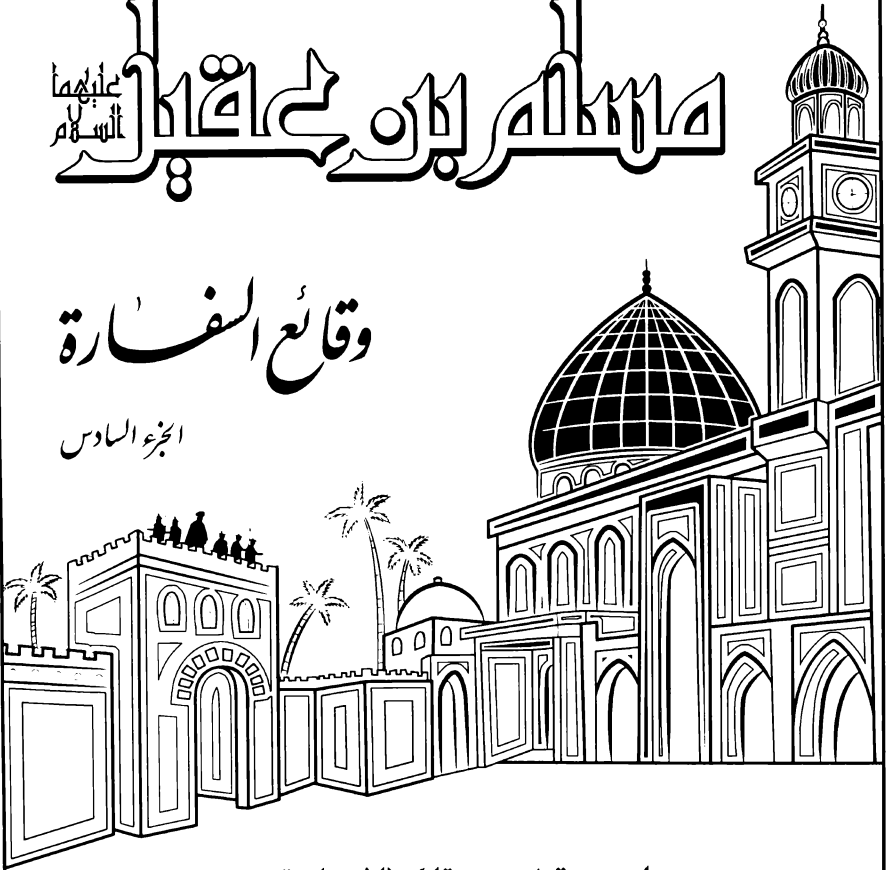


مسلم بن عقیل

عَلَيْهِمَا
السَّلَام

وقائع السفارة

الجزء السادس



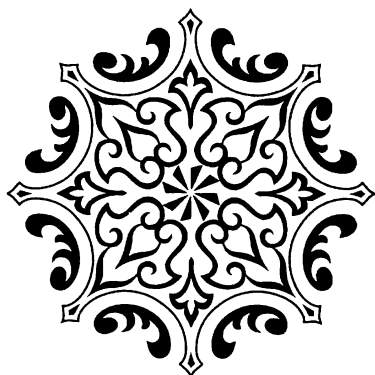
• مسلم بن عقیل عليه السلام وقائع الشهادة

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

• الفهرس الإجمالي

• مسلم بن عقيل عليه السلام وقائع الشهادة •

أقسام الأخبار	١٣
الأسر بعد أن بذل غاية المجهود	١٧
متى انتهت الحرب؟	٢١
هل أوثقوه كِتافاً؟	٢٥
حركته عليه السلام من الميدان إلى القصر	٣٣
بين الميدان القتال وقصر الحبال	٣٧
عطشه عليه السلام	٥٧
داخل القصر	٧٧
الوصية	٩٥
المحاجة والمناظرة	٢١٣
الأمر بالقتل	٣٢٩
الشهادة	٣٣٥
الصَّلب	٤٠٣
جرّه في الأسواق	٤١٣
تجهيز الأجساد الطاهرة	٤٢٣
بعث الرؤوس إلى الشام	٤٣٣
كتاب ابن زياد ليزيد	٤٤٥
جواب يزيد على كتاب ابن زياد	٤٥٣
صلب الرؤوس في الشام	٤٧٣



مسلم بن عقيل عليه السلام

وقائع الشهادة

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ
أَخْبَارَكُمْ﴾.. صدق الله العلي العظيم.

والحمد لله رب العالمين، وبه تعالى نستعين، والصلاة على المبعوث
رحمة للعالمين، المصطفى محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

حقاً من دواعي السرور أن يدعوني أخي العزيز المفضل سماحة
السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني - دامت بركاته - للتقديم لكتابه
الموسوم «مسلم بن عقيل عليه السلام.. وقائع الشهادة»، سيما وأنا أتشرف
بخدمة المرقد الطاهر للمولى الغريب منذ ثمان سنين بمنّ من الله
- سبحانه وتعالى -، فمسلم - سلام الله عليه - هو فرعٌ من تلك الدوحة
الهاشمية التي عمّ الورى نواها، وانتفع الخلق ببركاتهما، تربّى في بيت عليّ

وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وكفاه ذلك فخراً، ثم قلده بعد ذلك إمامنا الحسين عليه السلام بقلادة الشرف الباذخ يوم كلفه السفارة بقوله لأهل الكوفة:

«إِنِّي بَاعْتُ لَكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي، وَثَقِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي».

وهكذا يتقلب مسلم في منازل الساجدين، ويتدرب في مدارج العارفين، حتى ينال الشهادة هبةً من رب العالمين على يدي أحقر المخلوقين.

ثم يبدأ التاريخ ليكتب لنا حياة هذا الرجل العظيم، وليته لم يكتب! لأن الأقلام المأجورة ما انفكت من أسرار المالكين والحاكمين تسطر لهم رغباتهم، وإن اقتضى الأمر قلب الحقائق، أو أن تذكر بعضاً منها وهي حجة من موليها، وهذا ما حدث في تاريخ مسلم بن عقيل عليه السلام.

ولاعجب، فلم يكن هو الوحيد الذي شملته هذه المؤامرة القذرة، بل إنها طالت كل ذراري الأئمة الأطهار وأتباعهم ومواليهم، وظلت الأمور على ما هي عليه مع تقادم السنين، حتى أصبح البعض منها - وللأسف الشديد - من المسلّمات عندنا.

ولكن شاء الله أن يقيض لها رجالاً شتموا عن سواعدهم، ليغوصوا في أعماق التاريخ، ويُعيدوا دراسته بشكلٍ واعي وبموازن ثابتة، تستند إلى كتاب الله وسنة النبي الأكرم والأئمة الهداة الميامين - عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم - .. ومن هؤلاء سماحة السيد علي الحسيني - أعزه الله -، الذي درس حياة الشهيد مسلم بن عقيل دراسة تحليلية واعية،

وقف بها عند كلّ الشبهات التي أحاطت بتاريخه عليه السلام، ومنها: قصة شراء والدته من قبل معاوية، أو محاولة اغتيال ابن زياد في بيت هاني ابن عروة، أو قصة التطير من المهمة الموكلة إليه، وغيرها.. واستطاع أن يُخرجها التخرّيج الصحيح القريب من المنطق السليم، وأن يُجيبَ على كثيرٍ من التساؤلات التي قد تخطر على ذهن المتتبّع لتاريخ مسلم بن عقيل عليه السلام، فهي دراسةٌ جديدة تبعث الأمل في النفوس، فكنا من قبل نسمع من المثقفين أننا بحاجةٍ إلى إعادة كتابة التاريخ، واليوم لعلّ هذا الكتاب الذي نحن بصدد التقديم له والكتب التي سبقته في حياة مسلم بن عقيل عليه السلام هي بداية موفقة لنهضة جادة، تعيد كتابة تاريخنا المشرق وتضعه بصورته الناصعة بين يدي الأبناء أو الأجيال القادمة، حتّى يُبصروا الحقائق كما هي، لا كما يرسمها أعداء آل البيت عليهم السلام، وهذا ما نلمسه في التفاصيل الدقيقة التي أشار إليها المؤلّف للمشهد الأخير لحياة مسلم بن عقيل عليه السلام، بدءاً من مصرعه إلى وصوله للقصر، ثمّ الوصيّة ورميه وصلبه وبعث الرأس الشريف إلى الشام وتجهيز الجثّة، كما نرى في منهجيّة سماحة السيّد تتبّع مُعظم النصوص الواردة في أمّهات المصادر والمراجع، سيّما المختلف منها، فيذكرها أولاً ثمّ يبدأ محاكمتها للوصول إلى الحقيقة التي تتطابق مع معتقداتنا، وهذا نهجٌ جديد وجهد كبير يبيّن سعة اطلاع المؤلّف ودقّته في التحقيق، يؤجر عليه ويُشكر.

ولابدّ من القول أننا اليوم أماننا فسحة من الوقت وفرصة ثمينة،

علينا أن نستثمرها جيداً لنثبت الحقائق التي ضيّعتها الأيام، فليسمح لي أخي المؤلف - أعزه الله - أن أوجه الدعوة من خلال هذا التقديم المتواضع لكتابه الكبير إلى كل الباحثين والمحققين والمفكرين أن يحذوا حذوه في إعادة كتابة التاريخ، وأن يستوقفوا كل المصادر التاريخية، ويخضعوا نصوصها للمحاكمة العادلة، لا تأخذهم في الله لومة لائم، لا يخشوا أيّاً من الأسماء التي كتبت التاريخ، فليس هؤلاء بمعصومين، بل متهمون حتى تثبت براءتهم، نحن أصحاب موازين حق لا تنطق عن الهوى، فيها نضع النصوص التاريخية، فما وافقها نأخذ به وما خالفها نرمي به جانباً ولا نبالي أبداً.

في الختام، أتقدم بوافر الاحترام والتقدير للقارئ الكريم، كما أكرر الشكر للأخ العزيز المؤلف - حفظه الله ورعاه - الذي أتاح لي الفرصة في كتابة هذه السطور، وكلي دعاء له من جوار سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام أن يتقبل الله عمله ويقضي - حوائجه، وأن يديم عليه نعمة البحث والتأليف بما هو جديد ونافع، والدعاء موصول لكل من ساهم في إخراج الكتاب، إنه سميع مجيب، مع اعتذاري عن التقصير.

السيد موسى السيد تقي الخلخالي

أمين مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

٩ جمادى الآخرة ١٤٣٥ هجري قمرى

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين.

وصلى الله وسلّم على سيّدي المظلوم المفترى عليه المولى الغريب مسلم بن عقيل ولعن الله من افترى عليه ومن قتله..

تناولت هذه الدراسة حركة المولى الغريب عليه السلام من بعد أن صرّعته الطعنة الغادرة حتّى لقاء الله والرحيل إلى الرفيق الأعلى، مروراً بقصر الخبال وما دار بينه وبين ابن زياد من محاجبة، وشهادته وصلب الجثمان المقدّس في الكوفة، وإرسال رأسه المقدّس إلى القرد الأمويّ المخمور وصلبه في دمشق.

* * * * *

لقد تحرّينا الاحتياط ، وتقدّمنا في البحث خطوة خطوة كمن يمشي في منطقة ملغومة مظلمة ، وقصدنا خدمة أهل البيت عليه السلام ، وعزمنا الدفاع عن حريمهم وقداستهم وكلّ ما يُنسب إليهم ، فإن وقّنا في ذلك فهو فضلهم ومثّمهم وفيضهم وبركاتهم ، وإلا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً ، إنّه عفوٌ جواد كريم ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

نرجو من الله السميع العليم أن يتقبّل منّا هذا القليل ، وينفعنا به ووالدنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ولا خليل ، ولا يحرمنا وأزواجنا وذريّاتنا خدمة زين السماوات والأرضين سيّد الشهداء الحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة ، ومحشرنا في ممالك مولانا الغريب وعبيده المرضيّين ، ويجعل عملنا وحبّنا واعتقادنا فيما يرضيه ويرضي النبيّ الأمين صلّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وذريّته الطاهرين المعصومين عليه السلام ، بحقّ مولانا مهيب أحزان يوم الطفوف وأخته الطيّبة فاطمة المعصومة عليه السلام .

اللهم اغفر لنا ولوالدنا ولأزواجنا وذريّاتنا وإخواننا المؤمنين ، وعجل فرج وليّ أمرنا ، الطالب بدم الغريب المظلوم حيّاً وشهيداً مسلم ابن عقيل عليه السلام ، آمين ربّ العالمين .

السيد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

أقسام الأخبار

بغض النظر عن دوافع المؤرخ في اختصار الحدث واختزاله أو تفصيله والإسهاب في بيان جزئياته، حسب مقتضيات التأليف أو ضرورات البحث أو سياقات الحدث، وربما كان عامداً في ضغط الأحداث أو فكّها انطلاقاً من قناعاته ومعتقداته وتفاعلاته النفسية والوجدانية، أو خنوعاً لإملاءات السلطان، وغير ذلك من المسوّغات التي تتحكّم في سيلان دواته وجفافها..

فإنّنا نضطرّ للتعامل مع النصّ الموجود الواصل إلينا، فإن كان النصّ قابلاً للترميم وإلا يبقى ذو ملامح خاصّة تميّزه عن باقي النصوص.

والأخبار التي تعرّضت لذكر شهادة المولى الغريب عليه السلام تنقسم من حيث الإجمال والتفصيل إلى قسمين:

القسم الأول: المختصرة

جاء ذكر مصيبة المولى الغريب عليه السلام وشهادته في المصادر القديمة مقتضياً مختصراً مضغوطاً في كلمة أو كلمتين لا تتعدى التعبير «فقتله» أو «أمر بقتله» أو «فقتلهما» يعني المولى الغريب وهاني بن عروة عليه السلام، وهكذا.

قال ابن سعد في الطبقات:

«فأخذ عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فقتلهما جميعاً وصلبهما» (١) ..

وقال اليعقوبي:

«فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجزّ برجله في السوق» (٢).

القسم الثاني: المفصلة

جاء في بعض المصادر القديمة شيء من التفصيل في عرض الوصية، من دون ذكر أيّ محاجة أو مناظرة بين المولى الغريب عليه السلام وابن مرجانة، واكتفى بعضهم بالتعبير عن هراء ابن الأمة الفاجرة في كلمة أو كلمتين دون ذكر ردّ المولى الغريب عليه السلام.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤ / ٤٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

وبدأ البلاذري بالتفصيل شيئاً ما، وتبعه الآخرون، وسواءً اختصر القوم أو أطنبوا، فإنك لا تكاد تمرّ بواحدٍ منهم إلّا أصابك الامتنعاض وآلمك اللسع واللدع والقرص والغمز في موطنٍ أو أكثر، فالسير مع هؤلاء القوم مزعج مخيف، وربما يكون بعض الأحيان سخيلاً، لأنك لا تملك إلّا أن تتخذ غاية الحيطة والحذر، وتعيش حالة التوجّس وترقب المباغثة والمفاجأة والخطر، لا تدري متى تثب عليك الدواة لترشك بسمها الناقع وذعافها المدمّر، فالله المستعان وعليه التكلان، وبأهل بيت رسوله الاستجارة وفي رحاهم الأمان، ثبتنا الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأخذ بأيدينا إلى سبل السلام، وسدّدنا ووفّقنا لاختيار ما فيه رضاه ورضا آل رسوله الكرام، صلى الله عليهم أجمعين ولعن أعداءهم من الأولين والآخرين.

الأسر بعد أن بذل غاية المجهود

لقد ذكرنا في كتاب «مسلم بن عقيل عليه السلام - الحرب الأخيرة» تفاصيل قتال المولى الغريب عليه السلام، وأنه قاتلهم قتال الأبطال، وصار مثلاً يتبجح به كل الفرسان مدة عمر الدنيا وطول التاريخ وعبر العصور والأزمان، وأنه شتتهم بسيفه، وجعلهم أشلاء متناثرة، ولطش رذاذ الحومهم على الجدران، ومشى على جماجمهم، وزرع سكرهم خوفاً ورعباً، وسلب أرواح صناديدهم بصارمه، فجعلهم يلوذون منه بالسواتر وسطوح المنازل، ويتوسلون به ليقبل الأمان، وهم يتمنون منه القبول ليأمنوا من سطوته، إذ كان يأخذ بعنق أحدهم فيرمي به فوق السطح، ولم ينجهم منه إلا مقادير الحكيم العليم المثلان.

فقد قاتل المولى الغريب عليه السلام وأبلى بلاءاً حسناً وبذل غاية المجهود، فكَظَه الظمأ، وأخذَه النزف، وأثخنه الجراحات، فكانت ضربة

الأحمريّ الجبان وطعنة الظهر والخاصرة التي أردته صريعاً إلى الأرض،
ولولا ذاك لما كان لبطل هاشم وفارس عدنان قرين في الكوفة كلّها بما
فيها من جيوشٍ وعساكر ومقاتلين.

وهذا العارض متوقّع في ميادين الحرب وساحات الوغى في الوقائع
العاديّة، فكيف بمن قاتل وحده بلا ناصرٍ له ولا معين ولا مددٍ له ولا
مغيث، فلو أنّ مقاتلاً بطلاً أُصيب بما أُصيب به المولى الغريب عليه السلام
لَسارع أعوانه وأهل عسكره لنجده وتوثّب أصحابه لاستنقاذه من
برائن الأعداء، ولو كان أبو الفضل العباس عليه السلام حاضراً عنده لحمى له
ظهره وأبعد عنه الذئاب، وحمله الأنصار وأهل البيت ولم يبق أسيراً بيد
الأعداء.

بأبي المستضعف الغريب، قاتل وحده، فلمّا هوى إلى الأرض
صريعاً لم يجد إلّا الأسنّة والسيوف تحوطه، والأعداء قد احتوشوه من
كلّ جانب ومكان، تماماً كما أحاطوا بسيد الشهداء عليه السلام كالحلقة
واحتوشوه بعد أن ترجّل عن فرسه.

ولمّا قضى للعلى حقّها وشيّد بالسيف بُنيانها
ترجّل للموت عن سابقٍ له أخلّت الخيل ميدانها
كأنّ المنيّة كانت لديه فتاةً تواصلُ خلصانها
فبات بها تحت ليل الكفاح طروب النقيبة جذلانها

وأصبح مُسْتَجِرّاً للرماح تُحَلِّي الدما منه مِرَانَهَا
غفيراً متى عاينته الكُمَاءُ يختطفُ الرعبُ ألوانها
فما أجلت الحربُ عن مثله صريعاً يَجِبُنْ شجعانها (١)

فحكم القدر جاري، وإذا اختار الله عبده للقائه جرت عليه المقادير،
كما جرت على أمير المؤمنين عليه السلام مجِبْنِ الشجعان ومجندل الأبطال،
وأشجع الخليقة طراً هو وأخوه رسول الله صلى الله عليه وآله، فاغتاله أشقى الأولين
والآخرين.

ولطالما سمعنا في التاريخ أخبار الأبطال الذين صالوا وجالوا وحظّموا
وهشّموا وقتلوا فقتلوا أو أسروا، وقد حدّثنا التاريخ عن حالات أسرٍ
وقعت في كربلاء لأبطال من صناديد معسكر التوحيد.

فليس في الأسر - بعد أن بذل الفارس جهده وأباد عسكر عدوّه -
بأس، ولكنّ العيب في الرضا بتعبير المؤرّخ «فأمكن من يده»، والعيب
في أن يرضى المؤمن للمولى العظيم ما لا يرضاه لنفسه، ويستسيغ
الأخبار التي تصوّره فريسةً قريبة المنال سهلة الوقوع في فخاخ الخدع
والمكرو والاحتتيال.

(١) من قصيدةٍ للسيد حيدر الحلي رحمته الله.

متى انتهت الحرب؟

قال ابن سعد:

«وجاء الليل، فهرب! مسلم حتى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة، فاستجار بها، وعلم بذلك محمد بن الأشعث ابن قيس، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم فجاء به، فأثبه وبكته، وأمر بقتله» (١).

في هذا النصّ الشاذّ الغريب الذي تفرّد به ابن سعد - حسب فحصنا -، وقد ناقشناه فيما مضى من دراسات بشكل مفصّل، وكشفنا عواره، لا ذكر للحرب ولا القتال، بيد أنّه يفيد أنّ انتقال المولى ﷺ إلى القصر وقع في الليل.

(١) الطبقات الكبرى: ٤٦١ / خ ٥.

وهذا أيضاً من مفارقات الخبر ومخالفاته للمشهور المتفق عليه، فلا يُلتَفَت إليه.

أمّا باقي النصوص المتوفرة لدينا فإنّها لم تذكر ساعةً معيّنة لبداية الحرب ولانهايتها، ولم تحدّد بالضبط متى ترجّل المولى الغريب عليه السلام عن فرسه ووقع صريعاً بالطعنة الغادرة.

ويمكن أن يستفاد ذلك من بعض المصادر من خلال تحليل النصّ، إذ تشير إلى وقتين:

الوقت الأوّل: في الليل

قال ابن سعد في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات، والذهبي في تاريخ الإسلام:

«وجاء الليل، فهرب مسلم حتّى دخل على امرأةٍ من كندة يقال لها: طوعة، وعلم بذلك محمّد بن الأشعث بن قيس، فأخبره عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم فجاء به، فأثبه وبكّته، وأمر بقتله» (١).

يلاحظ من خلال سياق كلامه أنّ الأحداث وقعت متتالية، وأنّ

(١) الطبقات الكبرى: ٤٦١ / خ ٥. وقد ناقشنا الخبر في أكثر من مناسبة وكشفنا عواره، وإنّما ذكرناه هنا للاستفادة من الوقت الذي نصّ عليه ليس إلّا.

أسره كان في الليل.

وكذا يمكن الإفادة من عبارة البلاذري في الأنساب، قال:

«فأتى (ابن طوعة) عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث، فأخبره بذلك، وكان ابن زياد - حين تفرّق عن ابن عقيل الناس - فتح باب القصر، وخرج إلى المجلس فجلس فيه، وحضره أهل الكوفة، فجاء عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الأشعث إلى أبيه وهو عند ابن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل، فأعلم محمد بن الأشعث ابن زياد بذلك، فوجّه ابن زياد من الوجوه من يأتيه به، وفيهم محمد بن الأشعث» (١).

يفيد هذا النص أنّ التوجّه نحو المولى الغريب عليه السلام كان بعد تفرّق الناس عنه، وإمّا كان ذلك عند الغروب، باتّفاق المصادر كما ذكرنا ذلك مفصّلاً في «معركة القصر».

الوقت الثاني: في الصباح

ورد في جملة من المصادر تعبير: «وأصبح ابن تلك العجوز...»، أو: «فلما أصبح...» (٢)، وفي التعبير إشارة إلى أنّ المولى الغريب عليه السلام قد

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٨، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣، مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٨، مقاتل

بات ليلته في بيت طوعة - كما هو المشهور -، فلما أصبح الصباح جرى ما جرى عليه من إرسال العسكر.

وربما كان في فقره من رجز المولى الغريب عليه السلام: «البارد سخناً مراً» - على احتمال من تفسيره المذكور في محله من الحرب الأخيرة - أن ذلك كان في الصباح الباكر.

ومتابعة النصوص والتأمل فيها يمكن أن يُفيد أن كل ما جرى من هجوم إلى حين الأسر والانتقال إلى القصر والشهادة لم يكن في وقت حان فيه وقت صلاة الفريضة، ولو كان لصلاها المولى عليه السلام، ولكانت قاطعاً لسير الأحداث مما يثير الراوي ويضطره إلى نقل المشهد. فربما كان كل ذلك قد جرى ما بين الصبح إلى ما قبل صلاة الظهر، والله العالم!

الطالبين لأبي الفرج: ٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٦، روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ١٥٠، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥١، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٨، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٢، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٩٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٥.

هل أوثقوه كِتافاً؟

ثمة طائفتان من الأخبار تحدّثت عن تكتيف المولى الغريب عليه السلام:

الطائفة الأولى: في مجلس ابن مرجانة

قال البلاذري بعد أن روى قصّة إرسال المجهولين في طلب المولى،
وأته طلب العفو!! فقالوا أتهم لا يملكون ذلك، فخرج معهم المولى عليه السلام
طواعية! فأدخل على ابن الأمة الفاجرة:

«فلما رآه أمر به فكُتِف، وقال: أجئت يا ابن حلية لتتزع

سلطاني؟ وأمر به فُضِرَت عنقه»... (١).

وقال الطبري - في نفس السياق -

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٢٤.

«فأمر به فكُتِف»... (١).

وقد ناقشنا هذين الخبرين مناقشةً مستفيضةً في كتاب «بين المسجد الأعظم ودار طوعة» وكتاب «الحرب الأخيرة»، فلا نعيد.

الطائفة الثانية: بعد أن وقع صريعاً

في المنتخب للطريحي:

«فأوثقوه، وأخذوه إلى ابن زياد» (٢).

وفي ينابيع المودة للقندوزي:

«فأوثقوه، وآتوه إلى ابن زياد» (٣).

أمّا باقي المصادر التي مررنا بها - على كثرتها -، لم نجد فيها أن أحداً أوثق كتاف المولى عليه السلام.

والتأمل في النصوص يورث الاطمئنان بأنّ القوم قد طارت أعينهم رعباً، وفرت قلوبهم من الصدور خوفاً وهيبة ورهبة من سطوة البطل الهاشمي وصولته وجلالته وعظمته، فجنبوا عن الاقتراب منه وهو صريع على الأرض إثر الطعنة الغادرة، بل حتّى بعد أن تكاثروا عليه، وسلبوه إذ سلبوه وهم بين إقدام وإحجام وكر وفرّ، وأحاطوا به وهم في غاية الحذر.

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٩٤.

(٢) المنتخب للطريحي: ٤١٧.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٥٨ - بتحقيق: السيّد علي أشرف.

هذا بالإضافة إلى أنه كان مثخناً مجهداً بالنزف والظماً، ولو كان فيه طاقة لما وصلوا إليه، فهم مطمئنون أنه لا يقاتلهم بعد أن صرعته الطعنة الأخيرة، فلماذا يُكْتَف؟!

أجل، قد يقال: إنهم لما كانوا مستوحشين فرقين خائفين وجلين من صولته، فاضطروا أن يجتمعوا عليه فيكتفوه، ليأمنوا ويطمئنوا. فما أجلت الحرب عن مثله صريعاً يُجَبِّنُ شجعانها

كما أنَّ عادة العدو الرعديد الجبان والغادر الخَوَّان إذا أمن بطش وتجبر وارتكب ما تاباه النفوس البشرية، وليس فيما يفعله الأرجاس منقصة ولا صغار على الأصفياء الأبرار، ما دام العذر قائماً والكرامة لم تخدش والشجاعة لم تطمس معالمها، فقد كتفوا مولى الثقلين ﷺ، وهو وأخوه النبي ﷺ وأولاده الأئمة الميامين ﷺ أشجع من خلق الله، فصبر بعد أن قيدته الوصية، ولولا الوصية لرؤى أبو الحسن والحسين سيفه من دمائهم، ولفاجأ فيلوق جهنم بهم وقذفهم في توابيتهم قبل الأوان، ولولا أنهم كانوا يعلمون ذلك لما تجرؤوا على ما فعلوا قط.

وكذلك المولى الغريب والبطل الهاشمي مسلم بن عقيل ﷺ، إذ قيده بذل غاية المجهود، وأوثقه الظماً، وبضّعت أعضائه الجراح، ولولا ذاك لسقى آخرهم بكأس أولهم، وجعلهم أحاديث ومزقهم كل ممزق. وربما كان أمر اللعين - وفق الطائفة الأولى - وإقدام الأندال - وفق

الطائفة الثانية - يتضمّن بعداً آخر يقصده الملاحين، وهو الإمعان في أذى المولى الغريب عليه السلام، ومقاصد أخرى لا نجرؤ على كتابتها والإشارة إليها بأكثر من العبارة السابقة.

وقفة مواساة مع البطل الهاشمي الجريح

«لقد صرّحت كتب التاريخ بجراحات المولى الغريب عليه السلام إجمالاً، وهي جراحات عظيمة، فقال البلاذري والطبري:

فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأسرع في شفته السفلى فنصلت ثنيّته» (١) ..

وقال الدينوري:

«فرمي، فكسّر فوه» (٢) ..

وقال ابن أعثم والسيد ابن طاووس:

«فطعن من ورائه طعنة، فسقط إلى الأرض» (٣) ..

وقال الطبري:

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، تاريخ الطبري: ٥ /

٣٧٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٢.

«وقد أُثْن بالحجارة» (١) ..

وقال الطريحي والقندوزي:

«وصار جلده كالقنفذ من كثرة النبل» (٢).

إنّ هذه العبارات تتحدّث عن الجراحات العميقة الحاسمة التي أدّت إلى سقوطه إلى الأرض، فهم يتكلّمون عن الحصىلة النهائية: «أُثْن بالحجارة»، و«صار جلده كالقنفذ من كثرة النبل».

أمّا عدد الحجارة التي أصابته فجرحته، وعدد النبال التي جعلته كالشجرة التي لا تحصى أغصانها، فهذا ما لم يحصه لنا الراوي، ولا يقدر على إحصائه .. «فهل سلِمَت فيه من جراحة؟!» (٣).

فالجراحات لم تكن في ناحيةٍ واحدة أو عضو واحد، بل كانت مستوعبةً لبدنه الشريف، وكان من بين جميع تلك الجراحات جُرحان نازفان عميقان، يستشعر القارئ للتاريخ أنهما أجهدا المولى ﷺ وصرعاه، وهما ضربة الأحمري والطعنة الأخيرة، وقد رأينا خسة القوم ونذالتهم ولؤمهم، حتّى امتنعوا أن يسقوه ماءً وهو يستسقي، وسلبوه

(١) تاريخ الطبري: ٣٧٣/٥، البداية والنهاية لابن كثير: ١٥٨/٨، الإرشاد للمفيد:

٥٧/٢، روضة الواعظين للفتال: ١٥٠.

(٢) المنتخب للطريحي: ٤٢٦/٢.

(٣) أنظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام الحرب الأخيرة».

سلاحه وفرسه وعمامته!!

فلانْشَكَّ - حسب معرفتنا بسلوكيات القوم - أنهم تركوا جرح المولى عليه السلام مفتوحاً نازفاً لم يطبَّب ولم يضَمَّد، بل زادوا وضاعتهم وحقارتهم وجنائيتهم لو كانوا قد أوثقوه كتافاً فمنعوه أن يضمَّ جرحه بيده، أو يمسح الدموع والدماء المتترجة عن وجهه حينما بكى سيّد الشهداء عليه السلام وأهله المقبلين!

فكم قاسى المولى الغريب عليه السلام من الدماء السائلات من فمه الشريف، وهو يلفظها لئلا تنزل إلى جوفه؟

وكم عانى من شفته العليا التي قطعها السيف؟ وهل كانت معلقةً أو أنها سقطت؟

وكم عانى من ثنياه وهي تتدلى على شفته؟

وكم كان الكلام صعباً والتلفّظ عسيراً بعد هذه الفاجعة؟

وكم عانى المولى الوحيد عليه السلام من الطعنة التي مرّقت أحشاءه؟

من يستطيع أن يرسم للمولى الغريب عليه السلام صورةً في أعماق قلبه،

فيرى وجهه المضمخ بالدماء، ونوره يشع من غزته الوضاء، وقد ألمّ به الجهد وأذبل عوده الظمأ.

عجب والله! بلد بضخامة الكوفة وسعتها وترامي أطرافها وكثافة

سكانها، تعجز أن تفرز في تلك الساعة من يدنو من هذا البطل

الغريب عليه السلام، فيواسيه في نفسه، ويطبّب له جراحه ويشدّها؟! لا أن
يقاتل دونه ويدفع عنه!
لك الله يا غريب كوفان! يا ليتنا كنّا معك.

حركته عليه السلام من الميدان إلى القصر

تنقسم الأخبار التي تحكي حركة المولى الغريب عليه السلام نحو القصر في طلعتة الأخيرة إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: من دار طوعة مباشرة دون حرب

قال ابن سعد:

«... وعلم بذلك محمد بن الأشعث بن قيس، فأخبر به عبيد

الله بن زياد، فبعث إلى مسلم فجيء به، فأثبه وبكته، وأمر

بقتله» (١).

وقال البلاذري:

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤٦١ / خ ٥.

«فدخل (ابن الأشعث) عليه، وهو عند امرأةٍ قد أوقدت ناراً
فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير.
فقال: عفواً!!!
قالوا: ما نملك ذلك.

فانطلق معهم، فلَمَّا رآه أمر به فكتف».. (١).

وقال الطبري - في إحدى رواياته - :

«قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فأتياي به. فدخل عليه، وهو
عند امرأةٍ قد أوقدت له النار فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له:
انطلق، الأمير يدعوك.
فقال: اعقدا لي عقداً!

فقالا: ما نملك ذاك. فانطلق معهما حتى أتاه، فأمر به
فكتف».. (٢).

وقد ناقشنا هذه السخافات الهابطة التي تشبه الهذيان أكثر مما
تشبه كلام الإنسان السوي في كتاب «الحرب الأخيرة»، فلا نعيد.

المجموعة الثانية: من ميدان القتال

هذه المجموعة من الأخبار هي المجموعة التي اتفق عليها

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٢٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

المؤرخون عدا من ذكرناهم في الطائفة الأولى، بل روى أيضاً من مؤرخي الطائفة الأولى المجموعة الثانية كأصل وروى المجموعة الأولى كقول.

كما أن ابن قتيبة واليعقوبي - اللذين لم يرويا أحداث دار طوعة ومعركة القصر - اتفقا على أن المولى الغريب عليه السلام ذهب محاطاً بالأعداء الجبناء بعد أن قاتلهم.

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قائلاً:

«... وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتى أُخرج وأُسر».. (١).

وروى اليعقوبي في التاريخ قائلاً:

«ووجه - أي: ابن زياد - بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه وهو لا يشك في وفاء القوم وصحة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذه، فقتله عبيد الله، وجربرجله في السوق، وقتل هاني بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتة إيّاه».. (٢).

أما باقي المصادر فسيأتي الكلام عنها مفصلاً إن شاء الله تعالى.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢ / ٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣.

بين الميدان القتال وقصر الخبال

أغفلت جميع المصادر التي توفّرت لدينا الفترة التي مشى فيها المولى
الغريب عليه السلام من ميدان القتال إلى قصر الخبال، فلم تحدّثنا عمّا جرى في
الطريق، وكيف انتقل المولى الغريب عليه السلام؟

هل أحاط به عددٌ من كبراء القوم وقيادات عسكر السقيفة الذين
كانوا في صراعٍ مرير معه منذ الصباح؟

هل اجتمع الناس كيبرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم ليتفرّجوا على
البطل الذي قتل صناديدهم وأرعب رجالهم؟

هل ارتفع التكبير والتهليل والضجيج والصراخ، ونُفخ في الأبواق
وقُرعت الطبول وتجاوبت الأكف بالتصفيق؟

هل اكتنفت المولى الغريب عليه السلام عيون المعجّبين أو رمتهم عيون
الشامتين بنظراتها الوقحة؟

هل تراكضت الغوغاء بين يديه وخلفه؟

هل خيم الصمت على الموقف من الخوف والترقب وانتظار المجهول
بالنسبة له ولهم؟

هل تعجل ابن الأشعث - لعنه الله - المسير إلى القصر تحسباً لأي
طارئ أو هجوم؟

هل تعرض أحد الخبثاء المنكوسين للمولى عليه السلام بسوء؟
هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة ترك المؤرخ الإجابة عليها، لأي
غرض من أغراضه أو سبب من الأسباب التي يمكن أن يعتذر بها.

نقل على بغلة

عرفنا فيما سبق ^(١) من دراسات أن دار طوعة لم يكن قريباً جداً
من المسجد الأعظم، وقد جرت الحرب الأخيرة في فناء دارها، وقد قطع
المولى الغريب عليه السلام المسافة بين ميدان القتال وقصر الخبال بعد أن
وضعت الحرب أوزارها وأحاطت الثعالب بالأسد الطالبي، وهو جريح
مثنى قد مّزقت السهام والرماح أحشاءه، فكيف نُقل إلى قصر الخبال؟

قال الدينوري:

(١) أنظر: «ناصره سفير الحسين عليه السلام طوعة الكنديّة»، و«مسلم بن عقيل عليه السلام
الحرب الأخيرة».

«وأخذ، فأُتي ببغلةٍ فركبها، وصاروا به إلى ابن زياد» (١).

وقال المسعودي:

«وحملوه على بغلةٍ وأتوا به ابن زياد».. (٢).

وكذلك قال غيرهما.

ويمكن الاستفادة من هاتين العبارتين عدّة إفادات:

الفائدة الأولى: الذهاب راجباً

يفيد الدينوري والمسعودي دون سواهما من المؤرخين الذين أغفلوا الحديث عن هذا المقطع من حركة البطل الهاشمي: أنّ المولى الغريب عليه السلام انتقل إلى القصر راجباً ولم يذهب ماشياً، وقطع المسافة على ظهر بغلةٍ أُتي بها، لا على فرسه الذي سلب ولا غيره من الأفراس المشاركة في القتال.

الفائدة الثانية: ركوب المولى بنفسه

يبدو أنّ تعبير المسعودي لا يباين عبارة الدينوري، إذ قال الأول: «وحملوه»، وقال الآخر: «فركبها»، فالمسعودي تحدّث عن نقله على ظهر البغلة مقابل الحمل على غيرها من المطايا أو المشي، والدينوري تحدّث

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٩.

عن مباشرة الركوب، فأخبر أنّ المولى الغريب عليه السلام ركب بنفسه ولم يُركبه أحد.

الفائدة الثالثة: اختيار البغلة

البغلة حيوانٌ له خصوصيّاته؛ فهو سيّء الخلق، لا يحتفل براكبه، وربما تعمّد أذاه ورمى به من على ظهره وهجم عليه (١).

وهو حيوان ثقيلٌ في الحركة، يمشي كما يحلّوله، لا يعرف بالسرعة والمناورة والمبادرة في مفاجآت الطريق، لذا لا يُركب في الحروب ولا يُستَخدم في الميادين إلّا لنقل المؤن وإيصال المدد، لأنّه لا يستجيب للفارس في الكرّ والفرّ.

قيل لأُمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا تتركب الخيل وطلابك كثير؟ فقال: "الخيّل للطلب والهرب، ولستُ أطلب مُدبراً ولا أنصرف عن مُقبِل".

وفي رواية: "لا أكرّ على مَنْ فرّ، ولا أفرّ ممّن كرّ، والبغلة تزجيني"، أي: تكفيني» (٢).

وبالبغلة - في العرف الاجتماعي - لا تعدّ مركباً محترماً، ولا تليق بالفارس إلّا إذا كان بالمعنى الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) أنظر: كتاب البغال للجاحظ، ذكر فيه أسماء كثيرين قتلهم بغالهم.

(٢) بحار الأنوار: ٤٢ / ٥٩.

لماذا اختيار البغلة؟

ربما كان اختيار البغلة لنقل المولى الغريب عليه السلام إلى القصر يكشف عن الدواعي التالية:

الداعي الأول: أذى المولى عليه السلام

تعمّد الحبيث ابن الحبيث ابن الأشعث طعن المولى الغريب عليه السلام طعناً معنوياً يؤذيه من حيث إحضاره مطيّة دون شأن الأسد الطالبي، وفات الأحمق اللعين أنّ مثل المولى مسلم بن عقيل عليه السلام لا يرفع أو يضع من شأنه ما يركب وما يلبس وما يأكل، فشأنه من الله ومن ساداته الأئمة الكرام عليهم السلام، وكرامة الله وكرامة الأئمة عليهم السلام لا تقاس بمركوبٍ وملبوسٍ وبناءٍ شامخٍ وما شاكل، وقديماً قيل: «المكان بالمكين». بل إذا ركب السيّد مطيّة دون شأنه اجتماعياً كانت سبباً لرفعته، فمن تواضع لله رفعه، تماماً كما صار ركوب البغلة المذموم في الحروب مفخرةً لأُمير المؤمنين عليه السلام، وكشفت عن صورةٍ من صور شجاعته.

الداعي الثاني: الأذى الجسديّ

في حكم أمير المؤمنين عليه السلام:

«ركوب الخيل عزّ، وركوب البراذين لذّة، وركوب البغال مهزمة،

وركوب الحمير مذلة» (١).

وهكذا هو الواقع، فإن ركوب البغلة غير مريح ومتعب ومهممة، وذلك للإنسان السالم الصحيح، فكيف للجريح المجهد؟
 ربما قصد الخبيث البغيّ أذى المولى الغريب عليه السلام، وهؤلاء المخنّثين يتفنّنون في أذى الأبرار من عترة النبي صلى الله عليه وآله، ويتحرّون الجزئيات والتفاصيل التي قد تغيب عن مرءة الشياطين وإبليس نفسه.

الداعي الثالث: الحذر من المولى عليه السلام

لقد سلب سلاح المولى الغريب عليه السلام وفرسه، وأُثن بالجراح، فأتوه ببغلة، تحسباً وحذراً من المولى عليه السلام، فلو أنه ركب فرساً ربما تمكّن بعد استراحةٍ من ألمة جراحه وإعادة الكرة عليهم، فأين يفرّون إذا كان على ظهر فرس؟ أمّا البغلة فإنّها لا تنفع في مثل هذه المواضع.

نقل فوراً

النصوص الواردة تفيد أنّ المولى عليه السلام نُقل من ميدان القتال إلى القصر فوراً، غير أنّ ابن قتيبة انفرد بعبارةٍ تفيد أنّه بات ليلةً قبل أن يدخل على ابن زياد، حيث قال - بعد أن نقل القتال والأسر والاستسقاء :-

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠ / ٢٩٧.

«فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد وهو قصير، فقدّمه
لتضرب عنقه».. (١).

فقوله: «فلما أصبح» بعد نقل مجريات الأحداث على التوالي، يفيد
أنه عليه السلام بقي بقيّة اليوم الذي انتهت فيه الحرب ووقع جريحاً، ثمّ مضت
عليه الليلة بتمامها، فلما أصبح ابن الأمة الفاجرة دعا به!!
وهو - كما ترى - شاذٌّ مخالف للمتّفق عليه، والله العالم.

باب قصر الخبال

سمى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قصر الإمارة في الكوفة بقصر الخبال .
«عن الأصبع بن نباتة: أن علياً لما دخل الكوفة قيل له: أي
القصرين نُنزلُك؟ قال: "قصر الخبال لا تنزلونيهِ" فنزل على
جعدة بن هبيرة المخزومي» (١).

وقد قامت جدران القصر منذ أمدٍ بعيد، وشهدت بلاطاته وأرجأؤه
أحداثاً جساماً، إذ سكنه الطواغيت، وعمر زماناً طويلاً، فشهد عصوراً
متتالية، ولا زالت أطلاله قائمة إلى اليوم.

فكانت من ذكرياته ما رواه الزرندي في درر السمطين مسنداً وغيره:
«عن عبد الملك بن عمير قال: لقد رأيتُ في هذا القصر عجباً

(١) وقعة صفين للمنقري: ٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ١٠٥.

- يعني قصر الإمارة بالكوفة -، دخلتُ على عبيد الله في بهو على سرير، والناس عنده سباطان، وعلى يمينه ترس عليه رأس الحسين بن علي.

ثم دخلتُ على المختار في ذلك البهو على ذلك السرير، والناس عنده سباطان، وعلى يمينه ترس عليه رأس عبيد الله ابن زياد.

ثم دخلتُ على مصعب بن الزبير في ذلك البهو على ذلك السرير، والناس عنده سباطان، وعلى يمينه ترس عليه رأس المختار.

ثم دخلت على عبد الملك بن مروان في ذلك البهو على ذلك السرير، والناس عنده سباطان، وعلى يمينه ترس عليه رأس مصعب بن الزبير.

وفي روايةٍ أخرى: أنَّ عبد الملك بن عمير أخبر بهذه القصة عبد الملك بن مروان حين رأى رأس مصعب على يمينه، فقال له عبد الملك: لا أراك الله الخامس، وقام من السرير فحوّل عنه، وأمر بهدم الإيوان» (١).

وكانت لأبوابه وأسواره شهادات وذكريات خاصة به، وقد حدث أمير المؤمنين عليه السلام عن مستقبل أبوابه، كما ورد في الخبر عن الأصغر بن نباتة قال:

«خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بالسوق يأمر بوفاء الكيل والميزان، وهو يطوف إلى أن انتصف النهار، مَرَّ بِرَجُلٍ جالس، فقام إليه فقال له: يا أمير المؤمنين، مُرَّمَعِي إِلَى أَنْ تَدْخُلَ بَيْتِي تَتَغَدَّى عِنْدِي وَتَدْعُو لِي، وَمَا أَحْسَبُكَ الْيَوْمَ تَغَدَّيْتَ. قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «عَلَى أَنْ لَا تَدْخُرَ مَا فِي بَيْتِكَ، وَلَا تَتَكَلَّفَ مِنْ وَرَاءَ بَابِكَ». قَالَ: لَكَ شَرْتُكَ. وَدَخَلَ وَدَخَلْنَا، وَأَكَلْنَا خَبْزاً وَزَيْتاً وَتَمْرًا.

ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ، فَرَكُضَ بِرَجْلِهِ الْأَرْضَ فَزَلَزَلَتْ، ثُمَّ قَالَ:

«وَأَيُّمَ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا هَاهُنَا، وَأَيُّمَ اللَّهِ لَوْ قَامَ قَائِمُنَا لِأَخْرَجَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْعٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ بَيْضَةٍ لَهَا وَجْهَاتٌ، ثُمَّ أَلْبَسَهَا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ وَلَدِ الْعَجَمِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَأَيُّيَ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَأَرَاهُ كَمَا أَعْلَمَ الْيَوْمَ

وأراه» (١).

وشهدت أبواب القصر مصيبتين عظيمتين:

إحداهما: دخول السبايا والرؤوس

لا نريد الدخول في تفاصيل هذه المصيبة العظيمة، فإنّ لها موضعاً آخر، وإنّما نشير إلى عنوانها فقط، إذ شهد القصر وشهدت أبوابه وقوف الإمام سيّد الكائنات في عصره زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام وعمّته فخر المخدرات عليه السلام وباقي النسوة والأطفال على باب القصر، ودخولهم إلى مجلسٍ «ما بارح اللهو والخمر»..

وشهد حمل الرؤوس المقدّسة، بما فيها رأس أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه وحبيبه الحسين عليه السلام، وأخيه العباس عليه السلام، وباقي رؤوس أهل البيت والأنصار عليهم السلام.. يا لها من مصيبة!

الثانية: وقوف مسلم عليه السلام

وقف المولى الغريب عليه السلام على باب القصر جريحاً مكدوداً في ذات الله، تنزف منه الدماء، وقد كظّه العطش وفئت كبده بعد حربٍ عظيمةٍ خاضها مع الأوغاد.

(١) الهداية الكبرى للحضيني: ١٥٩.

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

«ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر، إذا على بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد، ومسلم مخضب بالدماء في وجهه وثيابه، وهو مثنى بالجراح، وهو في غاية العطش»... (١).

ولولا الجراحات والعطش لما استطاع أحد منهم الدنو منه والاقتراب، ولما وقف على باب القصر تحوطه الأعداء، ولكن المقادير تجري، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هل أوقف المولى مسلم عليه السلام على باب القصر؟

تنقسم الأخبار التي تحدت عن دخول المولى الغريب عليه السلام على ابن زياد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لم تذكر الوقوف

لم يذكر أكثر المؤرخين وقوفاً أو انتظاراً للمولى عليه السلام على باب القصر، منهم:

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٦٨.

ابن سعد (١)، وابن قتيبة (٢)، والبلاذري في أنساب الأشراف (٣)،
والدينوري في الأخبار الطوال (٤)، واليعقوبي في تاريخه (٥)، وابن أعثم في
الفتوح (٦)، وابن عبد ربّه في العقد الفريد (٧)، وابن حبان في الثقات (٨)،
والسيّد في اللهوف، وغيرهم ممّن تبعهم من المتأخّرين.

القسم الثاني: المكث مقدار الاستسقاء

ذكر المسعودي خبر استسقاؤه عليه السلام على باب القصر، من دون أن
يفيد الوقوف.
قال:

«فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلّة مبردة،

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي:

٢ / ٢٦٩، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤ / ٤٢.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨١، ومواضع أخرى من الكتاب تجدها في
موادّ البحث.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

(٦) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ٥ / ٥٤.

(٧) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٥ / ١٢٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨.

(٨) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

فاستسقاهاهم منها، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلي»..
ثم ساق الحديث إلى أن قال:
«ثم أدخل إلى ابن زياد»^(١).

وفعل أبو الفرج الأصفهاني^(٢) مثل ما فعل المسعودي بعبارة قريبة منه.

القسم الثالث: الوقوف حتى خروج الإذن

وأفاد الشيخ المفيد في نصّه ما يُشعر بوقوفه على الباب حتى يخرج الإذن، فقال - بعد أن نقل خبر استسقاؤه :-
«وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه»^(٣).
وقد صرح النويري فقال:
«وجاء محمد بمسلم إلى القصر، فأجلسه على بابه ودخل هو إلى ابن زياد فأخبره بأمانه»^(٤).

المحصلة

تبين مما مضى أنّ أول من ذكر وقوف المولى الغريب عليه السلام على الباب

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٥٩.

(٢) مقاتل الطالبين للأصفهاني: ٦٦.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٦٠.

(٤) نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢.

- حسب فحصنا - هو الطبري في إحدى رواياته فقط، حينما ساق خبر استسقاؤه عليه السلام وما دار بينه وبين الباهلي، ثم قال: ثم جلس متسانداً إلى حائط^(١). وتبعه ابن الأثير والنويري كما سيأتي بعد قليل.

وربما يُستبعد حمل جميع تلك المصادر على الاقتضاب والاختصار، وفيها من المصادر التي أسهبت في الحديث عن تفاصيل حركته عليه السلام من ميدان القتال إلى داخل القصر، سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار فرحة ابن زياد بما حصل من جهة، وخوفه الشديد من التبعات وتوجّسه من عواقب ما جرى، واستعجاله في طي هذه الحقبة واختتام المعركة، ومتابعة مجريات الأحداث.

جلوسه على باب القصر

قال الطبري في إحدى رواياته، والشيخ المفيد في الإرشاد، والفتال في روضة الواعظين:

«ثم جلس متسانداً إلى حائط»^(٢).

وقال ابن الأثير في الكامل، والنويري في نهاية الأرب:

«ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرّة فيها ماء بارد،

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٠، روضة الواعظين للفتال: ١٥١.

فقال: اسقوني من هذا الماء» (١).

وقد ذكرت مصادر أخرى استسقاء المولى عليه السلام على باب القصر، من دون الإشارة إلى جلوسه هناك.

فيكون المصدر الأقدم - على ما يبدو - في ذكر ذلك هو الطبري في إحدى رواياته.

المتواجدون على باب القصر

ذكر الطبري والشيخ المفيد والفتال أنَّ المولى الغريب عليه السلام حينما انتهى إلى باب القصر، كان على باب القصر «ناس جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وعمرو بن حريث، ومسلم ابن عمرو، وكثير بن شهاب» (٢).

وقال المسعودي في مروج الذهب:

«فلما صار مسلم إلى باب القصر نظر إلى قلة مبردة، فاستسقاها منها، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلي - وهو أبو قتيبة بن مسلم - أن يسقوه، فوجّه عمرو بن حريث،

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٣، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٤٠١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٠، روضة الواعظين للفتال:

فأتاه».. (١).

وذكر أبو الفرج مثل قول المسعودي، وأضاف:

«قال: وحدّثني مدرك بن عمارة: أنّ عمارة بن عقبة بعث غلاماً يدعى نسيماً، فأتاه بـ» (٢).

وقال ابن كثير:

«قالوا: ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر، إذا على بابهِ جماعةٌ من الأمراء من أبناء الصحابة ممّن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤدّن لهم على ابن زياد» (٣).
وهذه النصوص ذكرت المتواجدين على باب القصر ذكراً عامّاً تارة، ونصّت على بعض الأسماء خاصّة.

فذكر الطبري «ناساً جلوساً ينتظرون الإذن»، وعبر عنهم ابن كثير بقوله:

«جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة!!».

أمّا الذين نصّوا على أسمائهم، فهم:

عمارة بن عقبة بن أبي معيط.

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٨.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٣) البداية والنهاية: ٨ / ١٥٦.

عمرو بن حريث.

مسلم بن عمرو الباهلي.

كثير بن شهاب.

نسيم غلام عمارة بن عقبة.

وهؤلاء جميعاً من أزلام بني أمية وعبيدهم.

عطشه عليّ

تنبيهات:

التنبیه الأول: الاستسقاء

الاستسقاء وطلب الماء ليس فيه هوان، ولانزول إلى الدنية، ولا يخالف الإباء والحفاظ والأنفة والعزّة، وهو يختلف عن شكاية الجوع وطلب الطعام!

فالماء قد وفّره الله وجعله للمخلوقات شرعاً سواءً، وغطى به وجه البسيطة حتّى صار الماء فيها أكثر من اليابسة، وجعل صبر الإنسان على الطعام أشدّ وأكثر من صبره على الماء والظمأ، وسرعان ما يؤثّر العطش في الأعضاء، فيحول بين الظمآن وبين السماء كالدخان، فلا

يقوى على النظر ويمنعه من الرؤية، ويفت الكبد ويلهبه بسعيه، ويحرق حبة القلب، ويحقف الفم واللسان، ويشل اليد والرجل وباقي الأعضاء، ويكبس الروح ويخنقها..

أما الطعام والكلاء فقد جعله الله لمن يجد ويعمل ويحاول ويحتال في طلبه، وأمره أن يسعى لتحصيله بحول الله وقوته.

قال الصادق عليه السلام - في حديث المفضل المعروف :-

«واعلم - يا مفضل - أنّ رأس معاش الإنسان وحياته الخبز والماء، فانظر كيف دبر الأمر فيهما، فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشدّ من حاجته إلى الخبز، وذلك أنّ صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر ممّا يحتاج إليه من الخبز، لأنّه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه، فجعل الماء مبذولاً لا يشتري، لتسقط عن الإنسان المؤونة في طلبه وتكلفه، وجعل الخبز متعذراً لا يُنال إلا بالحيلة والحركة» (١).

وقد نشأت الأخلاق والشيم عند الإنسان المتخلّق بالأخلاق الحميدة على ذلك، فهم لا يرون في الاستسقاء وطلب الماء عيباً ولا عاراً ولا منقصةً ولا مذلةً، ولا خادشاً للعفة والحياء والعزة والإباء، فيما

(١) التوحيد للمفضل: ٨٧.

يترفعون عن شكاية الجوع والاستطعام.

قال الشيخ التستري في الخصائص الحسينية:

«إِنَّ الطعام كان مفقوداً عندهم في ذلك اليوم، ولذا قال السَّجَّادُ (عليه السلام): "قُتِلَ ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً"، لكن من جهة شدة العطش لم يتحقق ذكر الاستطعام، لأنه مذلة عظيمة لا تتحملها النفوس الأبية، بل وتستنكف الإطعام وإن حصل بدون استطعام في هذه الحالة. ولذا لما أطعم أهل الكوفة الأطفال التمرَ والجوز، صاحت بهم أُم كلثوم (عليها السلام): "يا أهل الكوفة، إِنَّ الصدقة علينا حرام". وأخذت هي وزينب ما في أفواه الأطفال ورمته إليهم، فإنَّ الطعام في هذه الحالة صدقة فيها إهانة وذلة، فيحرم عليهم وإن لم يكن زكاة».

التنبيه الثاني: العطش وطبيعة الحرب

إِنَّ طبيعة الحرب والقتال، والمبارزة والمصاولة، وثوران النقع والنجيع، والنزف والجراحات.. تقتضي العطش، بغض النظر عن وقوع ذلك في الصيف أو في الشتاء، وفي الجوَّ البارد أو الجوَّ الحار، وفي القرأو الحرّ..

التنبية الثالث: الإباء الطالبِي

رغم ما أُلِّمَ بالبطل الهاشمي عليه السلام من جراحٍ وغربة، بحيث لم تسلم فيه من جارحة، وصار كأثمة الشجرة، لأنه كان مشتجراً للسهم والرماح، ورغم النزف الذي جعل من بدنه كالقوارة من الدماء، ورغم أسره بعد أن بذل غاية المجهود وأعذر في قتال الأعداء..

بيد أنه ردَّ على الوغد الوقح الذي تجاسر على ساحته، فلئن كَلَّ السيفُ والسنان فإنَّ سلاحه الماضي لا يكلُّ، فكان لسانه أشدَّ عليهم من السيوف والأسنَّة والرماح، فردَّ على الجبان قولته بقصفٍ عنيف، ونزلت كلماته عليهم أشدَّ من الصواعق وألذع من لهب النيران.

التنبية الرابع: مواساة سيّد الشهداء عليه السلام

المواساة طَبْعُ غرسه الله في الإنسان، وجعل معرفتها تحسّ بالفطرة، وجعل العلم بها ممّا يكون فيه صلاح الدين والدنيا.

قال الإمام الصادق عليه السلام - في حديث المفضّل المعروف :-

«فَكَرَّ - يا مفضّل - فيما أُعطي الإنسان علمه وما منع، فإنَّه أُعطي جميع علم ما فيه صلاح دينه ودنياه، فمّا فيه صلاح دينه: معرفة الخالق - تبارك وتعالى - بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافّة، وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلّة، وأشباه ذلك ممّا قد توجد معرفته

والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل أمة موافقة أو مخالفة»^(١).

ومواساة سيّد الشهداء ﷺ رتبةً ومقام ومنزلة ودرجة رفيعة لا تتسنى لكل أحد، فقد تنافس فيها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من قبل أن تزدهر هذه الدنيا بنور الوجود العنصريّ لسيّد الشهداء ﷺ.

روى ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: «إِنَّ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾، لم يكن إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله إلى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملكٌ عن الله - تبارك وتعالى - فقال: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكَ، فَرُنِّي بِمَا شِئْتَ. فقال: لي أَسْوَةٌ بما يُصَنِّعُ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢).

وروى المجلسي:

«إِنَّ آدَمَ لَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَرَ حَوَاءَ، فَصَارَ يَطُوفُ الْأَرْضَ فِي طَلَبِهَا، فَتَرَى كِبْرَاءَ، فَاغْتَمَّ وَضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَعَثَرَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى سَالَ الدَّمُ

(١) التوحيد للمفصل: ٨١.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ٦٤ باب ١٩.

من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي، هل حدث ممّي
 ذنبٌ آخَرُ فعاقبتني به؟! فَإِنِّي طفت جميع الأرض وما أصابني
 سوءٌ مثل ما أصابني في هذه الأرض!!

فأوحى الله إليه: يا آدم، ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في
 هذه الأرض وَلَدُكَ الحسين ظلماً، فسأل دُمُكَ موافقةً
 لدمه» (١).

وهكذا كان مع غيرهما من الأنبياء والأوصياء عليه السلام، فربما استعمل
 المواساة كما فعل إسماعيل عليه السلام، أو استعمل المحاكاة والموافقة كما
 حدث لآدم عليه السلام وغيره.

والمولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام في درجته الرفيعة، ومقامه
 السامي، ومنزلته الخاصة عند الله وعند الأئمة عليه السلام، تسنم دُرَى الشرف
 بمواساته لسيد الشهداء عليه السلام في غربته ووحدته وعطشه ومحاصرته
 وتكاثرهم عليه، وكثرة جراحاته، وافتراق القوم عليه فرقاً؛ ضرباً
 بالسيوف، وطعنًا بالرماح، ورمياً بالسهم، ورضخاً بالحجارة والنار..

التنبيه الخامس: شكا عطشه إلى الله أولاً

لقد بلغ العطش بمولانا الغريب عليه السلام مبلغاً عظيماً، فجعله يشكو

حاله إلى الله أولاً، «ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللهم! إنَّ العطش قد بلغ منِّي» (١).

وربما كانت الشكوى هذه تعبيراً عن «غاية المجهود» الذي بذله، بحيث أثر فيه العطش تأثيراً بالغاً عظيماً وجراحاته تشخب دماً، فحال دون استمراره في القتال، فجاءته الطعنة ليسقط إلى الأرض.

التنبيه السادس: امتناعه عن شرب الماء

أرأيت طهارةً ونبلاً وسمواً ورفعةً وخُلُقاً ربيعاً وتقوىً وورعاً وصبراً مثل ما ترى في رجال سيّد الشهداء ﷺ وسيوفه، وفي المولى الطالبيّ الغريب ﷺ؟

عطشٌ وجراح مَزَّتْ بدنه تمزيقاً، ونزف سيّال غسل أعضاءه غسلاً وضمّخه تضميخاً، حتّى صار كياقوتةٍ حمراء من رأسه حتّى قدميه - فداء لكلِّ جرحٍ من جروحه -، وهو مع ذلك يأبى أن يشرب الماء وقد امتزج بدمه المتدفّق من شفّتيه.

قاتلهم الله ولعنهم لعناً يرضي مولانا الغريب ﷺ وفوق الرضا..

أما كان فيهم مخلوقٌ قد شَمَّ في يومٍ من أيّام حياته رائحة الإحساس والوجدان، أو هبّت عليه في ساعةٍ من ساعاته نسمة من ضمير أو

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٩٢، مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ / ٢٠٨.

شعور؟!

أما كان فيهم من يستلّ نصلاً من تلك النصال التي غُرزت في بدن المولى الشريف، أو يتناول كسراً من الرماح المتكسرة عليه ويتخذ من أنابيب القنا وسيلة يطبق عليها المولى شفتيه، فيمرّ الماء إلى أحشائه ويبرد كبده قبل أن يختلط بها الدم؟

التنبية السابع: سقيه وهو مكتوف

يبدو أنّ الجبناء «لم يجسر أحداً منهم أن يسقيه الماء ولا قرب منه» (١) خوفاً وبقاً من المولى عليه السلام، ولم يقترب منه أحداً إلا بعد أن أوثقوه كتافاً، ويشهد لذلك أيضاً تعبير ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، قال:

«فسقاه، فتمضمض مسلم، فخرج الدم، فما زال يمسح الدم، ولا يسغ شيئاً منه، حتّى قال: أخروه عني»... (٢).

ولو كانت يد المولى عليه السلام خارج الكتاف لدفعه إليهم بيده وقال خذوه مثلاً، فلمّا قال لهم: «أخروه عني»، أي أخروا الإناء أو الماء وأبعدوه، يلزم أن يكون المتصرّف بالإناء غيره.

(١) أنظر: الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

التنبيه الثامن: سقوط ثناياه

«وسقطت ثناياه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل من شرب الماء».. (١).

لقد كانت ضربة اللعين بالسيف معترضاً وجه المولى المذكّر برسول الله ﷺ ضربةً قاسيةً همجيّة، نزلت على محيّا الغريب ﷺ لتشكّل زاويةً منفرجةً تقوم على حدّ السيف من جهة وأعلى الشفة دون الأنف الشامخ من جهةٍ ثانية، لأنّها استطاعت أن تقطع الشفة وتغوص إلى الأسنان الشريفة ثمّ تسرع في الشفة السفلى.

ويبدو أنّها كانت ضربةً بطرف السيف، وأنّ اللعين ضربه وهو في أقصى ما يكون مبتعداً عن المولى ﷺ، مستفيداً من مسافة مدّ يده منبسطةً وطول السيف كلّه، وبذلك يستطيع أن يوظّف انحناءيّين: إحداهما انحناء الضربة، والثانية انعطاف طرف السيف.

ورغم تعبير المؤرّخ عن الثنايا أنّها نصلت، غير أنّ سقوطها في الإناء يعني أنّها كانت لا زالت عالقةً في فمه الشريف.

فلما سُقي الماء، لابدّ أن يكون الإناء قد عمل فيها فأسقطها، إمّا لعدم وجود شفةٍ تحميها، أو لارتجاف الساقى وارتعاش يده خوفاً من

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٣ وما بعدها، مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

اقترابه من المولى عليه السلام، أو لفظاظته الساقية وتعامله بجلفيّة وقساوةٍ مع المولى عليه السلام بالخصوص إذا قلنا أنّ المولى سُقي وهو مكتوف الوثاق.

التنبيه التاسع: خسة العدو ونذالته

أتبلغ الخسة والنذالة واللؤم والانهطاط والتنكر للقيم بمخلوقٍ إلى حدٍ يمتنع فيه عن سقي الماء، ويمتنع عن سقي الماء العذب ويعدل عنه إلى ماء البئر؟ وماء البئر أججٌ مالح يزيد العطشان عطشاً، ويزيد الجرح حرقة وإيلاماً، وهم يعلمون أنّ المولى الغريب عليه السلام بطلٌ همام وضرغام من آل خير الأنام، وقد رأوا بطولاته وشجاعته وكرامته وكرمه.

هكذا هم أعداء سيّد الشهداء عليه السلام، لا ييغون حولاً عن سلاح الجبناء وطريقة الحقرء وأولاد البغايا الرخيصات التنتات.

لك الله يا غريباً، يا وحيداً، يا وتركوفان، يا عطشاناً، يا دمعة سيّد الرسل صلّى الله عليه وآله ودمعة الإمام الغريب العطشان عليه السلام..

بأبي أنت وأمي ونفسي ومالي وأهلي.. فداك روحي، يا مظلوماً على مرّ العصور وطول الزمان (١).

متى استسقى المولى الغريب عليه السلام؟

يمكن تقسيم النصوص الواردة في استسقاء المولى الغريب عليه السلام إلى

(١) منقول من: «مسلم بن عقيل عليه السلام.. الحرب الأخيرة».

ثلاثة أقسام:

الأول: أثناء الحرب

أفاد ابن أعثم والخوارزمي أنّ الاستسقاء كان أثناء القتال:

قالا:

«... ثمّ رجع موضعه، فوقف وقال: اللَّهُمَّ! إِنَّ العطش قد بلغ

مَنِّي.

قال: فلم يجسر أحدٌ أن يسقيه الماء ولا قرب منه ...

فجعل يقول: اسقوني شربةً من الماء!

فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله لا تذوق الماء يا ابن

عقيل أو تذوق الموت!

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظك

وأغلظك! أشهد عليك أنّك إن كنت من قريشٍ فإنّك ملصق،

وإن كنت من غير قريشٍ فإنّك مدّع إلى غير أبيك، مَنْ أنت

يا عدوّ الله؟

فقال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته،

وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي!

فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ آثرت

طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد ﷺ.

ثم قال مسلم بن عقيل عليه السلام: ويحكم يا أهل الكوفة! أسقوني شربةً من ماء!

فأتاه غلامٌ لعمر بن حريث الباهليّ بقلّةٍ فيها ماءٍ وقدح فيها، فناوله القلّة، فكلّمَا أراد أن يشرب امتلأ القدح دمًا، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع مسلم بن عقيل عليه السلام من شرب الماء (١).

فهو قد شكى العطش إلى الله، ثم استسقاهاهم، وهو لا زال يقاتل، ودار بينه وبين ذاك اللئيم ما دار من كلام، ثم استسقاهاهم، فسقى..

الثاني: بعد الأسر

قال ابن قتيبة:

«... فلما أسربعث الرجال، فقال: اسقوني ماءً».. (٢).

وقال ابن شهر آشوب:

«فضربه بكير بن حمران الأحمريّ على شفته العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله، وطعن من خلفه فسقط من فرسه

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣ وما بعدها، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠.

فأسر.

فقال مسلم: اسقوني شربةً من ماء. فأتاه غلام عمرو بن حريث بشربة زجاج، وكانت تملئ دماً، وسقطت فيه ثنيته» (١).

وعبارتهما واضحة بالاستسقاء بعد الأسر.

الثالث: على باب القصر

ذكر ذلك الطبري في تاريخه (٢)، والمسعودي في المروج (٣)، وأبو الفرج في مقاتل (٤)، والشيخ المفيد في الإرشاد (٥)، والفتال في الروضة (٦)، وابن الأثير في الكامل (٧)، والنويري في نهاية الإرب (٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٩).

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣١٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٨.

(٤) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٥) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٠.

(٦) روضة الواعظين للفتال: ١٥١.

(٧) الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٧٣.

(٨) نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠١.

(٩) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

وعباراتهم متقاربة تؤدّي جميعاً نفس المؤدّى، وتصرّح أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام لما انتهى إلى باب القصر وجد ثمة قلة، فاستسقى القوم..

مَنْ الذي ردّ على المولى الغريب عليه السلام؟

تفرّد ابن قتيبة بالنصّ على شهر بن حوشب من بني سليم، وقال: «فقال له شهر بن حوشب: لا أسقيك إلّا من البئر»^(١).

وقد ذكر ذلك ضمن الاستسقاء أثناء الحرب.

فيما ذكر الآخرون أنّ الرادّ على المولى هو مسلم بن عمرو الباهليّ، سواء في ذلك مَنْ جعلوا الاستسقاء بعد الأسر أو على باب القصر. وشهر بن حوشب هذا تابعيّ شاميّ الأصل من رجال البخاريّ ومسلم، ولا يبعد أن يكون قد ردّ على المولى الغريب عليه السلام إذ كان حاضراً ثمة قبل أن ينبري الباهليّ، وممّا يساعد عليه اختلاف عبارته مع عبارة الباهليّ، قال شهر: «لا أسقيك إلّا من البئر».

مَنْ الذي أمر له بالماء؟

ذكر المؤرّخون الذين تعرضوا لاستسقاء المولى عليه السلام شخصين أمراً بإحضار الماء له:

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥.

أحدهما: عمارة بن عقبة بن أبي معيط

كما في تاريخ الطبري بإحدى رواياته، ومقاتل الطالبين في إحدى رواياته، وابن الأثير في الكامل، والنويري في نهاية الإرب، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة بلفظ «المعيطي».

الآخر: عمرو بن حريث الباهلي

ذكر ذلك جملةً من المؤرخين، كالطبري، وابن أعثم، والمسعودي، وأبي الفرج في إحدى روايته، والشيخ المفيد في الإرشاد، والفتال في الروضة..

أمّا الطريحي في المنتخب^(١)، فقد جعل خطاب المولى الغريب ﷺ مباشراً إلى من يلي السقاية على باب القصر، ويبدو أنه اعتمد في ذلك على كتاب أبي مخنف المشهور^(٢).

من الذي باشر بسقيه؟

ذكر البعض الساقى من دون تسمية، واكتفوا بنسبته إلى مولاه، فقال ابن قتيبة:

«فأمر غلاماً له، فأتاه بإبريق من ماء وقدح قوارير

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧.

(٢) مقتل أبي مخنف المشهور: ٣٥.

ومنديل» (١).

وكذا فعل ابن أعثم والخوارزمي والشيخ المفيد والفتال وابن كثير،
بيد أنهم نسبوه إلى عمرو بن حريث.

ولم يذكر المسعودي وابن الأثير والنويري الغلام، واكتفوا بقولهم:

«فوجه عمرو بن حريث»، «فدعا عمارة بن عقبة بماء...».

أمّا الطائفة الثالثة من المؤرخين فقد اختلفوا في تسمية الغلام،
فقال الطبري في إحدى رواياته أنه غلام عمرو ويدعى: «سليمان»، وفي
رواية أخرى أنه غلام عمارة ويدعى: «قيساً» (٢).

واسم غلام عمرو عند الأصفهاني في المقاتل: «سليماً»، وغلام
عمارة: «نسيماً».

ولا يبعد أن يكون ثمة تصحيف «سليمان وسليم» و«قيس
ونسيم».

من أين جاؤوا بالماء؟

ذكر ابن الأثير والنويري أنّ المولى عليه السلام رأى على باب القصر جرة فيها
ماء بارد، فقال: «اسقوني».. ثم ساقا الكلام حتى قال:

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

«فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد»... (١).

فلا يُدرى أَدْعَا له من نفس تلك الجرة أو من مكان آخر؟
بيد أن ابن كثير قال أيضاً في سياق كلامه عن وصول المولى ﷺ
إلى باب القصر:

«وإذا قلّة من ماءٍ بارد هنالك، فأراد أن يتناولها ليشرب
منها...»، إلى أن قال: «فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط
مولىً له إلى داره، فجاء بقلّة عليها منديلٌ ومعه قدح...» (٢).
وفي المنتخب للطريحي ومقتل الحسين ﷺ: «لأبي مخنف المشهور:
«رفع الساقى الجرة الموجودة على باب القصر فدفعها إلى
المولى» (٣).

المحصّلة

لا يبعد أن يكون قد استسقى المولى ﷺ أكثر من مرّة، مع ملاحظة
شدّة عطشه وكثرة جراحاته ونزفه، ويمكن استفادة ذلك من النصوص
بعد ملاحظة سياقاتها وتفصيلها، سوى ما قد يقال من اتّحاد كلام
مسلم بن عمرو الباهليّ المشترك في بعض المصادر بين الاستسقاء بعد

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

(٣) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧، مقتل الحسين ﷺ لأبي مخنف: ٣٥.

الأسرو على باب القصر.

وربما قيل بإمكان تكرّر موقف الباهليّ كلّما استسقى المولى عليه السلام.
وكذا يقال بالنسبة لمن أمر بالماء، فربما كان أحدهما على باب القصر
والآخر في المعركة - وفق نصّ ابن قتيبة - أو بعد الأسر.
وإرسال الغلام إلى الدار أو إلى موضع آخر لإحضار الماء أوفق
بالاستسقاء بعد الأسر أو في المعركة منه بباب القصر، غير أنّ عبارات
المؤرّخين غير صريحة في ذلك، وعبارة ابن كثير تكاد تكون صريحة بأنّ
ابن أبي معيط بعث الغلام إلى داره وهو على باب القصر^(١).

استمرار عطشه من الحرب إلى الشهادة

قال الطريحي في المنتخب، وكذا في المقتل المشهور لأبي مخنف:
«فنظر مسلم إلى برادة هناك فيها ماء، وكان له يومان ما شرب
الماء»^(٢).

وفيه تصريحٌ بعطش المولى عليه السلام منذ يومين، ولو لم يكن منذ ذلك
الحين فهو - لا شك - قد استمرّ أثناء الحرب - وفق إخبار ابن قتيبة - إذ
استسقى وهو يقاتل، ويشهد له شكواه إلى الله - كما في رواية ابن أعثم
وغیره :-

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٥.

«ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْحَقَهُ بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ رَجَعَ مَوْضِعَهُ فَوَقَفَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنَّ الْعَطَشَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي» (١).

«فَلَمَّا جِيءَ لَهُ بِالْمَاءِ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ مِنْ كَثَرَةِ الدَّمِ، وَسَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ فِي الْقَدَحِ» (٢) ..

وهذا ما اتَّفقت عليه المصادر، وقد حاول أكثر من مَرَّةٍ ليشرب الماء ونزيف الدم يمنعه، فقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَوْ كَانَ مِنَ الرِّزْقِ الْمَقْسُومِ لَشَرِبْتُهُ» (٣).

واستمرَّ به العطش حَتَّى الشَّهَادَةِ، فَقَتَلَ ﷺ غَرِيباً وَحِيداً عَطْشَاناً ظَامِئاً، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَ قَاتِلِيهِ.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٤.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٦.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٨.

داخل القصر

دخول الأسد الهاشمي على الجرو الأموي

أُخِن المولى الغريب عليه السلام بالجراح، حتَّى صار جرحاً نازفاً من رأسه حتَّى قدميه، فقد مرّقت بدنه الشريف السهام، ورصّت عظامه وكدمته وجرحته الحجارة وأطنان القصب المتّقدة بالنيران، وكان قد ضُرب على فيه فكُسِر، وأسرع سيف اللعين في شفته السفلى بعد العليا، ونصّلت ثنيتاه، وكان مكتوفاً منذ أن دخل، بناءً على المصادر التي نصّت على أتهم أوثقوه كتافاً عندما أسروه، أو وفق المصادر التي نصّت على أن ابن الأمة الفاجرة اللعين أمر به فكتف (١).

ومع كلّ ما كان يقاسيه المولى الغريب عليه السلام من عطشٍ وجراحات

(١) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٢.

وإجهاد بعد أن بذل غاية المجهود في حربهم، وقد أوثقوه كتافاً، ولا زالوا يخشون سطوة البطل الهاشمي ويخافون صولته، فقد أدخلوه على الجبان الرعدي «وقد اكتنفه الجلاوزة»! (١)

ويستفاد من قولهم: «فنظر في وجوه الناس» (٢)، أي: المولى الغريب عليه السلام حينما أراد أن يوصي، وقولهم في نفس الموقف: «نظر إلى جلسائه» (٣)، أو: «فنظر ابن عقيل إلى القوم، وهم جلساء ابن زياد، وفيهم عمر بن سعد» (٤)، وما شاكلها من العبارات.. أنَّ المجلس كان مكتظاً، وربما أذن اللعين للناس إذناً عاماً ليستخفهم ويخوفهم ويستعرض ما يخاله نصراً، بشهادة قولهم: «فنظر في وجوه الناس»، فإنَّ كلمة «الوجوه» هنا سواء قصد بها «الشخصيات» أو الناس مطلقاً تفيد المعنى المذكور، فلو قصد الأول فهذا يعني أنَّ ثمة جماعة مختلطة من «الشخصيات» الذين عبّر عنهم بالوجوه وغيرهم من عامة الناس،

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨،

جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥،

الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، روضة الواعظين للفتال: ١٥١.

(٤) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

فاقتصر المولى الغريب عليه السلام في النظر إلى «الوجوه» منهم خاصّة، لإمكان الوصيّة لهم دون سائر من حضر.

وإذا كان المقصود من قولهم: «وجوه الناس»، أي أنّ المولى عليه السلام تصفّح وجوه الناس عامّة، فهو المقصود تماماً.

وكيف كان! فإنّ في عبارات من تعرّض لبيان ذلك ممّن ذكرناهم من المؤرّخين إشارات، بل دلالات واضحة، تؤكّد أنّ المجلس كان حاشداً يضمّ غير الجرو الأمويّ وحراسه وأفراده.

ويشهد لذلك أيضاً ما مرّ معنا من وقوف جماعة على الباب ينتظرون الإذن، وفيهم «الأمرء وأبناء الصحابة».

التفاته: مواساة عيال سيّد الشهداء عليه السلام

صلى الله عليك يا سيّدي ومولاي يا غريب كوفان! لقد واسيت إمامك وأخاك سيّد الشهداء عليه السلام في كلّ تفاصيل يومه في كربلاء، ولم يفتكّ مواساته في دخول هذا المجلس الذي سيشهد دخول الإمام زين العابدين عليه السلام ومخدرات الوحي وعقائل النبوة، والوقوف أمام هذا الطاغى الرذل الرعيد!

رفض السلام على ابن زياد

تنقسم المصادر في قصّة السلام على ابن زياد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لم تذكر السلام

ثمة جملة من المؤرخين لم يذكروا السلام، بل ولم يذكروا حواراً بين المولى الغريب عليه السلام وسفير الحسين عليه السلام وبين ابن الأئمة الفاجرة، من قبيل ابن سعد^(١)، والذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء^(٢)، وابن قتيبة^(٣)، والبلاذري^(٤)، والطبري في إحدى رواياته^(٥)، وابن عبد ربّه^(٦)، والباعوني^(٧)، والمسعودي^(٨)، وابن حبان في الثقات والسيرة^(٩)، ومسكويه^(١٠)، والشجري^(١١)، وابن شهر آشوب^(١٢)، وابن

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٠١.

(٣) الإمامة والسياسة: ٢ / ٥.

(٤) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٩، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٥) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٢.

(٦) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨.

(٧) جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨.

(٨) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩.

(٩) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨، السيرة النبوية: ٥٥٧.

(١٠) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٢.

(١١) الأُمالي للشجري: ١ / ١٦٧.

(١٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣٢٠ - بتحقيق: السيّد علي أشرف.

الجوزي^(١)، والبري^(٢)، وسبط ابن الجوزي^(٣)..

هؤلاء الذين سمعت أسماءهم من المؤرخين وكتبهم لم يذكروا السلام، ولم يشيروا إليه، وهم الأكثر والأقدم، كما سيّضح من خلال ملاحظة الأقسام الباقية.

القسم الثاني: رفض السلام

هذا القسم من المؤرخين انقسم إلى طائفتين، سنذكر هنا طائفة منهم ونترك الأخرى إلى القسم الثالث لتتم مناقشتهم في موضع واحد، إذ أنهم خلطوا الرفض بتمني الاستبقاء.

أما من ذكر رفض المولى عليه السلام، سليل الإياء والشهامة والنبيل والكرامة، فهو السيد ابن طاووس في اللهوف ومن تبعه، قال:

«فلما أدخل على عبيد الله لم يسلم عليه، فقال له الحرس: سلم على الأمير، فقال له: أسكت، ويحك، والله ما هولي بأمر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنيك مقتول.

(١) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

(٢) الجوهرة للبري: ٤٣.

(٣) تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قَتَلَ مَنْ هو شرُّ منك مَنْ هو خير مِنِّي».. (١).

وفي رواية أبي مخنف «المشهور» والطريحي في المنتخب - واللفظ للأول :-

«ثمَّ أدخلوه على ابن زياد - لعنه الله -، فلمَّا نظر مسلم إلى تجبّره قال: السلام على مَنْ اتَّبَعَ الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع المَلِكَ الأعلى. فتبسّم ابن زياد - لعنه الله -، فقال بعض حجابيه: يا مسلم، أما ترى الأمير ضاحكاً عليك (٢)، لو قلت: السلام عليك أيها الأمير. فقال مسلم: والله ما علمتُ أنّ لي أميراً غير الحسين عليه السلام، وإنّما يسلم عليه بالإمارة مَنْ يخاف منه. فقال ابن زياد - لعنه الله -: سواء عليك سلّمت أو لم تسلم، فإنّك مقتول في هذا اليوم» (٣).

(١) اللّهُوف للسّيّد ابن طاووس: ٥٥.

(٢) في المنتخب: «ضاحكاً في وجهك».

(٣) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف (المشهور): ٣٦، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧،
ينابيع المودّة للقندوزي: ٣ / ٥٨.

القسم الثالث: لم يسلم بشرط الاستبقاء

يمكن تقسيم هذا القسم من المؤرخين إلى طائفتين:

الطائفة الأولى:

يبدولنا - حسب فحصنا - أنَّ أوَّل من ذكر فرية تمَّيَّ الاستبقاء من خلال السلام على ابن الأمة الفاجرة إنما هو الدينوري في الأخبار الطوال، قال:

«فلَمَّا أُدخل عليه وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له: سلِّم على الأمير.

قال: إن كان الأمير يريد قتلي فما أنتفع بسلامٍ عليه، وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي.

قال ابن زياد: كأنك ترجو البقاء» (١).

ثم تلاه الطبري، فقال:

«وأدخل مسلم على ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير. فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثر سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلن. قال: كذلك!

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

قال: نعم» (١).

وتبعه على ذلك الشيخ المفيد في الإرشاد (٢)، وأبو الفرج الأصفهاني في مقاتل (٣)، والفتال في الروضة (٤)، والطبرسي في الإعلام (٥)، وابن الأثير في الكامل (٦)، وابن نما في المثير (٧)، والنويري في النهاية (٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٩).

الطائفة الثانية:

ذكرنا في القسم الثاني أنّ ثمة مصادر ذكرت رفضه عليه السلام للسلام على الوغد اللصيق، وأنّ المولى ردّ على مَنْ دعاه للسلام ردّاً قوياً، وأوعز ذلك إلى علتين:
إحداهما: أنّه ليس له بأمير.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٤) روضة الواعظين للفتال: ١٥١.

(٥) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٩.

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣.

(٧) مثير الأحزان لابن نما: ١٧.

(٨) نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢.

(٩) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

والثانية: أنه لا ينتفع بالسلام وابن زياد يريد قتله، فإن استبقاه فليكثر سلامه عليه.

قال ابن أعثم في الفتوح، والخورزمي في المقتل:

«فأدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد، فقال له الحرسي: سلم على الأمير! فقال له مسلم: أسكت لا أم لك! ما لك ولل كلام؟ والله ليس هولي بأمر فأسلم عليه! وأخرى فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي؟! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي.

فقال له عبيد الله بن زياد: لا عليك سلمت أم لم تسلم، فإنك مقتول. فقال مسلم بن عقيل: إن قتلتي فقد قتل شر منك من كان خيراً مني» (١).

فرية تمني الاستبقاء

إن من يعرف سيوف الحسين عليه السلام وإباء الطالبين وأخلاق العظماء من عترة سيد المرسلين عليه السلام، وخريجى مدرسة أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام، يستبشع هذه الفرية المفضوحة التي لا تصمد أمام النقد ولا تستحق المناقشة، ولا يستسيغ هذا اللون من الأكاذيب الممجوجة، ولا يحتاج إلى مناقشة الأقوال التي ترشح من قريح محابر الأمويين

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧، مقتل الحسين عليه السلام للخورزمي: ١ / ٢١١.

بروائحها التي تزكم الأنوف، وتخدش عفة المتعودين على السياحة في ساحات القدس والطهارة من شهداء الحق وأتباع الهدى.

ولكنَّ ضرورة البحث تقتضي- التوقّف عندها قليلاً، لمناقشتها باختصار من خلال الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: وجود نصوص لم تذكر السلام

رأينا في القسم الأول جملةً من المؤرخين ممّن هو أقدم من الدينوري والطبري، وهم لا يروون هذه القصة ولم يشيروا إليها.

وعرفنا أنّ أول من ذكرها إنّما هو الدينوري ثمّ الطبري، وتبعهما الآخرون ممّن جاء بعدهم، وجاءت عند ابن أعثم خليطاً غير متجانس من الردّ والقبول بشرط الاستبقاء.

ويبدو للمتأمل أنّ السيّد ابن طاووس قد نقل عبارة ابن أعثم، بيد أنّه أسقط منها ما لا يناسب المولى الغريب والبطل الهاشمي عليه السلام، فذكر الردّ واقتطع الاستبقاء، وهذا هو دأب السابقين في اختيار الأقوال، كما ذكرنا ذلك في أكثر من موضع من هذه الدراسات.

فإمّا أن يقال بما ذكره الذين سبقوا الدينوري، فتنفي قصة إكثار السلام من أجل الاستبقاء من رأس.

وإمّا أن يقال بقول السيّد ابن طاووس وأبي مخنف (المشهور) والطريحي من الردّ على من اقترح السلام، دون التورّط بذكر الاستبقاء،

إذ إنه لا ينسجم مع شيم المؤمن فضلاً عن الفقيه العالم والشجاع الباسل والأبّي الفاضل مسلم بن عقيل الهاشمي الطالبي عليه السلام.

الملاحظة الثانية: علم المولى بشهادته

لقد ذكرنا سابقاً في بحث «الحرب الأخيرة» وفي غيره بالتفصيل أن المولى الغريب عليه السلام كان عالماً بشهادته في الكوفة، وقد أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسيد الشهداء الحسين عليه السلام، ومن كان عالماً بشهادته منتظراً متطلعاً مترقباً بشوقٍ ولهفة لها لا يتخضع بالقول ليطلب من الرجس النجس والعفن المتكلس ويستجديه أياً ما قلائل يستبقيه فيها على قيد الحياة! الحياة الذليلة التي يُكثرفها السلام على أولاد البغايا الرخيصات!

الملاحظة الثالثة: مجريات الأحداث تؤكد إرادة قتله

ذكرنا أيضاً في بحث «الحرب الأخيرة» تفاصيل كافية تدل بوضوح أن مجريات الأحداث وطبيعة ابن زياد البطّاش ومهمته المخولة له من قبل القرد الأموي، الواضحة تماماً لدى المولى الغريب عليه السلام العالم، كلّها تؤكد أنه مقتول لا محالة، فلماذا يقف هذا الموقف الذي تأباه الأنوف الحميّة والنفوس الأبيّة والأرواح السامية؟!

الملاحظة الرابعة: طبيعة أخلاق الأحرار والأبوة

لماذا يتوسّل الأبّي الغيور ويتزلف العزيز الشجاع المصور إلى دعيّ يعرفه بخسّة النسب ونذالة الطبع؟

لا يمكن أن تتصوّر الصرح الشامخ والهامة العالية والقمة السامقة ينزل إلى القاع ويرغب في الدنيّة ويطلب من أولاد البغايا حياةً بإكثار السلام عليه بالإمرة، وهو يعلم أنّ الحياة بيد واهب الحياة! ليست هذه من أخلاق الأحرار الأبوة، الذين سمعوا من سيدهم صرخةً لا زالت تملأ سمع الزمان:

«والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل»، و«موت في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذلٍّ»..

إنّ غيرة المؤمن وحميّة وتنزّهه عن العيش في الأروقة الموبوءة وترفعه عن المذلة والهوان تأبى له أن يستعطي الحياة ويستوهب البقاء في الدنيا من ساقطٍ سافلٍ، قد غرز أقدامه - التي لم تخطُ إلى طاعةٍ لله قط - في بركة الدماء ووحل الدنيا القذرة الرخيصة.

يا لله! أيقال في حقّ الضرغام سليل الأنبياء، ومعلّم التاريخ دروس الشهامة والشجاعة والاستبسال في الدفاع عن الحقّ وأهله، والتائق إلى الشهادة ولقاء ربّه، هذا الكلام!!؟

وفي نصّ المقتل المشهور والطريحي تعبير رائع يردّ هذه المزاعم:

روى الطريحي أَنَّ مسلماً عليه السلام قال:

«والله ما لي أمير غير الحسين بن علي عليه السلام، وإنما يسلم عليه

بالإمرة مَنْ يخاف منه الموت».

وفي لفظ المقتل المشهور:

«والله ما علمتُ لي أميراً غير الحسين عليه السلام، وإنما يسلم عليه

بالإمرة مَنْ يخاف منه».

الملاحظة الخامسة: إذا سلّم عليه بالإمرة، فما فرقه عن

الخونة الذين خذلوه!!؟

لورضيّنا بما قاله المؤرّخ الخؤون الظالم للمولى الغريب عليه السلام، ويأبى

الله ذلك لأوليائه الذين جعل لهم العزة في كتابه الكريم..

فما هو الفرق إذن بين المولى الغريب عليه السلام وبين الآخرين الذين

خذلوه، وتخلّوا عن ريحانة الرسول صلّى الله عليه وآله وقرّة عين المرتضى والزهراء

البتول عليه السلام، وباعوا آخرتهم بالثمن الأوكس، وخسروا حظهم بالأرذل

الأدنى!!؟

أفعل أولئك الأوغاد والهمج الرعاع أكثر من أن سلّموا على أولاد

البغايا بالإمرة، ليستبقّهم أيّاماً قلائل!؟

وقولهم افتراءً على المولى الغريب عليه السلام: «ليكثرن سلامي عليه»

يعني الملازمة، وليس المقصود أن يكرّر عليه السلام في ذلك الموقف مرّة

بعد مرّة، كما هو واضح من سياق العبارة.

وهل يغدر ثقة الحسين عليه السلام - والعياذ بالله - ويتنصّل معتمد سيّد شباب أهل الجنّة عن المسؤولية الملقاة على عاتقه، ويترك السلام بالإمرة على إمامه الحسين عليه السلام، ويسلم على ذنب القرد الأمويّ بالإمرة؟ ماذا فعل الخونة الذين غدروا بالمولى الغريب عليه السلام وأعرضوا عن الحقّ وأشاحوا وجوههم عن وجه الله، هل فعلوا غير إكثار السلام على ابن الأئمة الفاجرة ليستبقيهم؟!

نستغفر الله ونتوب إليه من نسبة هذه النكبة النكدة الفقهاء الشوهاء العمياء التافهة إلى عترة النبي المختار صلى الله عليه وآله ومبعوث أبي الأئمة الأبرار عليهم السلام.

الملاحظة السادسة: تجنّي المؤرّخ على المولى عليه السلام بتأكيد

حبّه للحياة والبقاء

لقد ذكرنا - في مواطن عديدة من دراستنا لحياة المولى الغريب عليه السلام، فلا نعيد - تأكيد المؤرّخ وإلحاحه بسماجة، وإصراره بوقاحة، وإمعانه في ممارسة التزوير لرسم صورة مشوّهة للبطل الهاشمي، وتكدير إشعاع البدر العقيلي، وإبرازه في حلّة لا تليق به ولا تسبغ عليه ولو جهد الحاقدون، فحاولوا إخفات هذا النور الباهر وطمس حقائق البدر المتألّق بإشعاع الإمامة الزاهر، فصوّروه في أكثر من موقف وعرضوه في

أكثر من مشهد كواحدٍ منهم أو من أمثالهم - والعياذ بالله -، يحب الحياة ويريد أن يبقى في هذه الدنيا مهما كلفه الثمن، منذ قصة التطير وما قبلها إلى قصة قبول الأمان وما بعدها، وما بينهما من صور ممّوهة باهتة لا تليق بالمؤمن العادي من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام المخلصين، فضلاً عن ساداتهم ورجالهم وجماعهم ومفاخرهم وأوتادهم.

تتكرّر بن زياد للأمان الذي أمر به

قال ابن أعثم - وهو يروي أحداث المعركة واستمداد ابن الأشعث - :
«فأرسل إليه عبيد الله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان» (١).

وقال الخوارزمي في نفس السياق:
«فأرسل إليه ابن زياد أن أعطه الأمان، فإنّك لن تقدر عليه إلّا بالأمان المؤكّد بالأيّمان» (٢).

وفق هذا النصّ أمر ابن الأئمة الفاجرة الخبيث ابن الخبيث ابن الأشعث أن يعطي الأمان للمولى الغريب عليه السلام، وأكّد له أنّه لا يقدر عليه إلّا بذلك.

وبهذا كذب الجرو الأمويّ (ابن زياد) مرّةً بعد مرّة، والكذب ديدنه

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨ وما بعدها.

وطبعه، هو وأسياده الذين مكّنوه من رقاب المسلمين.

فكذب على المولى الغريب عليه السلام وافترى عليه، وزعم أنه سيغتّر بأمانهم، وقد تبين كذبه، وفضحه البطل الهاشمي حينما صرخ فيهم:

«لا حاجة لي في أمان العُدّة الفَجْرة»، وقال في رجزه:

«أخاف أن أخدع أو أغرأ».

فبين لهم أنه قد عرفهم وعركهم وقرأ صحيفتهم المشؤومة وعالجهم مع عمّه أمير المؤمنين وأخويه ^(١) الحسن والحسين عليهما السلام ^(٢).

وكذب مرّةً أخرى حينما أمر بإعطاء الأمان وهو لا يريده.

فقد تنكّر للعين بعد أن رأى الأسد الطالبيّ مكتوفاً في القصر مثخناً بالجراح، قد كظّه النظماء وفَتَّ كبده وتمزّقت أحشائه، وتسربل بالنبال والسهام، وتناثرت كدمات الحجارة ودمامل حروق القصب المشتعل بالنيران على بدنه كالنجوم كثرة..

تنكّر لابن الأشعث الغويّ الخائن والرعيديّ الجبان، فلم يُنفذ أمانه كما قال البلاذري:

«فأتى به ابن زياد، وقد آمنه ابن الأشعث، فلم ينفذ

(١) عبّر سيّد الشهداء عليه السلام عن المولى الغريب بـ «أخي»، ومن كان أخا الحسين يكون أخاً للحسن عليه السلام.

(٢) ناقشنا قصّة قبول الأمان في «الحرب الأخيرة» مناقشةً مفصّلة.

أمانه» (١).

بل تنكر له وزعم أنه لم يرسله ليؤمنه وإنما أرسله ليأتيه به، وكأن لم يأمره قبل ذلك بإعطاء الأمان بتاتاً.

روى الطبري في تاريخه، والشيخ المفيد، والفتال، وأبو علي مسكويه، والطبرسي في الإعلام، والخوارزمي في المقتل، وابن الجوزي في المنتظم، وابن الأثير في الكامل، والنويري، - واللفظ للأول - قال:

«فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان! كأننا أرسلناك تؤمنه، إنما أرسلناك تأتينا به. فسكت» (٢).

فاللعنة له ولابن الأشعث الذي «سكت»!! ولم ينتفض لشرفه وسمعته التي يدعيها.

من أين تخجل أوجه أموية سكبت بلذات الخمر حياءها

وهل للأدعياء وأبناء البغايا الرخيصات والمجنباء الأذلاء سمعة

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، روضة الواعظين للفتال:

١٥١، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٢، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٩، مقتل

الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦ - وفيه:

«عبد الرحمان بن الأشعث»، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية

الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٥.

وشرف ترتعش له الجوانح إذا مسّ أو خُدش؟!

الوصية

الوصية الأصل

لا شك أنّ المولى الغريب عليه السلام قد عهد بوصية من قبل أن يخرج من مكة، لاستحبابها الشرعي من جهة، ولأنه عالم بمآل أمره، ومنطلق إلى شهادته الموعودة، مجدداً نحو يومه الذي ينتظره في الكوفة.

ومن الطبيعي جداً أن يتقدم بالوصية لأهله وعياله وزوجته وأولاده وهم قادمون على الشهادة والسبي، وهو يعلم من سيرجع منهم ممن سيثوي في الأرض الطيبة مقيماً في رحال سيد الشهداء عليه السلام، «حتى يبعث الله قائماً، يفرج عنها همّ والكربات».

إذن، لمن أوصى؟ هل أوصى سيد الشهداء عليه السلام بعياله وأولاده في الفترة التي سيكونون في حمايته حتى تهوي الراية على العلقمي؟!

هل أوصى الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام، الولي بعد الولي، والإمام بعد الإمام، بعته (زوجة مسلم عليه السلام) وبمن سيبقى من أولاده؟

هل أوصى السيدة الحوراء الصديقة عليها السلام، باعتبارها حامية الركب الحسيني بعد الحماية بتفويض من سيد الشهداء والإمام السجاد عليه السلام حتى يعود الركب إلى المدينة؟

هل أوصى أولاده وهو يعلم أنهم سيقاتلون ويُقتلون بين يدي سيد الشهداء عليه السلام؟

هل أوصى أولاده بأهمهم وأخواتهم، وملازمتهم لركاب السعادة بين يدي إمام الشهداء عليه السلام؟

هل أوصى زوجته، بنت الإمام وأخت الإمام وعمّة الإمام، وبكى لخدمها المسلوب ولرحلها المنهوب، ولأولادها المقطعين آراباً والمذبّحين ظمياً، فحثّها على الصبر ودعا الله أن يربط على قلبها؟

هل أوصى بولديه الصغيرين محمد وإبراهيم، وأوصاهما على صغر سنّهما؟

وعشرات الأسئلة الأخرى التي لم نسمع لها في التاريخ جواباً، إلا أن يجمعنا الله وسيدنا ومولانا في الرجعة أو يوم القيامة، بفضله ومنّه وكرمه ومغفرته وجوده، لنستمع إليه!

الوصية قبل الشهادة

طلب الوصية وقبول ابن زياد

اختلفت المصادر التاريخية في تصوير هذا المشهد، وربما كان الاختلاف نتيجة الاختصار والإسهاب، أو لأي سبب آخر كان، بيد أنها - على كل حال - ترسم مشهداً يختلف عن المشهد الذي يرسمه الآخر. فهي تنقسم إلى مشاهد متعددة تعبر عن موقف واحد: منها: ما يعرض المولى عليه السلام يتقدم بطلب الوصية إلى ابن زياد، فيجيبه بالإيجاب..

ومنها: ما يعرضه متقدماً بطلب الوصية مبادراً بها، دون انتظار جواب اللعين..

ومنها: ما يعرضه مبادراً إلى الوصية دون طلب..

ومنها: ما يعرضه طالباً لها، وابن سعد متوثباً مبادراً لقبولها دون انتظار الإذن من ابن زياد..

ومنها: من لم يذكر الوصية بتاتاً، وكأن شيئاً لم يكن.

وسنسمع هذه الأقوال من خلال استعراض نصوص المؤرخين:

طلب المولى عليه السلام وإجابة اللعين

قال ابن سعد والذهبي:

«فقال: دعني أوصي، قال: نعم» (١).

وقال ابن قتيبة وابن عبد ربّه والباعوني:

«فقدّمه ليضرب عنقه، فقال: دعني حتّى أوصي، فقال:
أوص» (٢).

وقال الدينوري:

«فقال له مسلم: فإن كنت مُزْمِعاً على قتلي، فدعني أوص إلى
بعض من هاهنا من قومي، قال له: أوص بما شئت» (٣).

وقال أبو الفرج:

«قال: دعني إذا أوصي إلى بعض القوم، قال: أوص إلى من
أحببت» (٤).

وقال المفيد والفتال وابن الأثير والنويري في نهاية الإرب وابن كثير في
البداية والنهاية:

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨،
جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٤) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

«قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي، قال: افعل» (١).

وقال الشجري:

«فقال: ائذن لي في الوصية! فقال: أوص» (٢).

* * * * *

أقوال هؤلاء تتفق على طلب الإذن بالوصية، ولكنها تختلف في التعبير عن ذلك.

أما في التعبير عن قول المولى الغريب عليه السلام، فقد جاءت بصيغ: «دعني أوصي»، «دعني حتى أوصي»، «فدعني أوص إلى بعض من هاهنا من قومي»، «دعني إذاً أوصي إلى بعض القوم»، «فدعني أوصي إلى بعض قومي»، «ائذن لي في الوصية».

وهذه النصوص مع اتفاقها على المضمون، فإن فيها أدنى اختلاف في التعبير، حيث أطلقت بعضها طلب الوصية، وصرحت بعضها برغبة المولى عليه السلام في الوصية إلى «بعض القوم» من دون تحديد القوم، وصرحت بعضها برغبته عليه السلام في الوصية إلى بعض قومه بالخصوص ممن

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، روضة الواعظين للفتال: ١٥١، الكامل في التاريخ لابن

الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للتويري: ٢٠ / ٤٠٢، البداية والنهاية لابن كثير:

٨ / ١٥٦ - وفيه: «أوص» بدل «افعل»، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٥.

(٢) الأُمالي للشجري: ١ / ١٦٧.

حضر «بعض من هاهنا من قومي»، وبعضها نصّت على رغبته بالوصيّة إلى قومه من دون التقييد بالحاضرين منهم.

مبادرة المولى بعد الطلب دون انتظار الإذن

قال الطبري:

«قال: فدعني أوص إلى بعض قومي، فنظر إلى جلساء عبيد الله».. (١).

قال ابن نما:

«وإن كنت لأبدّ قاتلي دعني أوصي. فنظر إلى عمر بن سعد».. (٢).

وقال الخوارزمي:

«ولكن إن كنت عزمّت على قتلي ولأبدّ لك من ذلك، فأقم إليّ رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. ثمّ نظر مسلم إلى عمر ابن سعد»... (٣).

هنا طلب المولى عليه السلام من ابن زياد أن يفسح له من الوقت ما يوصي به، ولكنّه يبادر فوراً للنظر إلى الجلساء ويستدعي ابن سعد،

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٢) مشير الأحران لابن نما: ١٧.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

كما عند الطبري وابن نما، وامتاذا عنهما وعن غيرهما الخوارزمي مع اتفاهه في أصل المشهد بإيكال اختيار الوصي لابن زياد بشرط أن يكون الوصي من قريش: «فأقم إلي رجلاً من قريش أوصي إليه». ولكن المولى الغريب عليه السلام لم ينتظر حتى يختار له ابن زياد، وإنما يبادر هو بنفسه - فداه روعي - ليستدعي ابن سعد.

قول ابن أعثم

قال ابن أعثم والخوارزمي:

«ولكن إن كنت عذمت على قتلي ولابد لك من ذلك، فأقم إلي رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. فوثب إليه عمر» (١). اعتاد الخوارزمي في «المقتل» بالنقل عن ابن أعثم، وقد نقل هنا أيضاً عنه كما سمعنا قبل قليل، واتفق معه في طلب المولى عليه السلام أن يقيم له ابن زياد من يوصيه من قريش، بيد أن الخوارزمي لم ينقل عبارة ابن أعثم التي يصرح فيها أن ابن سعد بادر بشخصه التعيس لقبول الوصية.

وقد تفرد ابن أعثم بهذا النقل - حسب فحصنا -، إذ أن الغالب يصرحون - كما سيأتي - بأن ابن سعد تنكروا بأن يقبل الوصية إلا

بعد أن أذن له أو أمره ابن الأمة الفاجرة.

مبادرة المولى إلى الوصيّة دون طلب ذلك من اللعين

قال البلاذري:

«فأتى به ابن زياد، وقد آمنه ابن الأشعث فلم ينقذ أمانه،
فلما وقف مسلم بين يديه نظراً إلى جلسائه، فقال لعمر بن
سعد بن أبي وقاص: إنّ بيني وبينك قرابة أنت تعلمها، فقم
معي حتّى أوصي إليك».. (١).

وقال البري:

«لما قدّم ليقتل بين يدي عبيد الله بن زياد، وقد أنخن
جراحاً، نظر هل يرى أحداً من قريش، فرأى عمر بن سعد،
فقال: أدن منّي».. (٢).

صرّح البلاذري أنّ المولى الغريب عليه السلام بادر بالنظر إلى جلساء ابن
زياد، واختار منهم ابن سعد، ثمّ ذكر علّة اختياره للقرابة بينهما.
مسلم بن عقيل عليه السلام، فهو إنّما اختاره للقرابة بينهما.

أمّا في نصّ البري، فقد أجال المولى عليه السلام نظره ليرى هل يجد أحداً

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) المجوهرة للبري: ٤٣.

من قريش في المجلس، فرأى ابن سعد فوق الاختيار عليه.
ثمَّ إنَّه عليه السلام بادر إلى الوصية مباشرة، ولم يطلب ذلك من ابن زياد.

لم يذكر الوصية:

لم يذكر الوصية جملةً من المؤرخين، منهم:
المسعودي في المروج^(١)، وابن حبان في الثقات والسيره^(٢)، وأبو
علي مسكويه^(٣)، والطبرسي^(٤)، وابن شهر آشوب^(٥)، وابن الجوزي في
المنتظم^(٦)، والسيد ابن طاووس في اللهوف^(٧).

موقف عمر بن سعد

إنَّما نتناول موقف ابن سعد وفق أخبار من نقل الوصية خاصة،
وهم ينقسمون إلى أصناف في بيان موقفه وموقف أميره وسيد ابن
الأمة الفاجرة:

(١) مروج الذهب: ٣ / ٦٩.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨، السيرة النبوية: ٥٥٧.

(٣) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٢.

(٤) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٩.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣٢٠ - بتحقيق: السيد علي أشرف.

(٦) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

(٧) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٥٥.

الصنف الأول: مبادرة ابن زياد

قال ابن سعد وابن نما - واللفظ للأول :-

«فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: إن لي إليك حاجة، وبينني وبينك رحم. فقال عبيد الله: أنظر في حاجة ابن عمك!» (١).

يبدو من هذا النص أن المولى الغريب عليه السلام لما وجه الكلام إلى ابن سعد، بادرا بن زياد ليأمر ابن سعد ويدعوه للنظر في حاجة المولى الغريب عليه السلام، معللاً ذلك أنه ابن عمه.

الصنف الثاني: مبادرة ابن سعد

قال ابن أعثم:

«فأقم إلي رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. فوثب إليه عمر ابن سعد بن أبي وقاص، فقال: أوص إلي بما تريد يا ابن عقيل» (٢).

وفي المنتخب للطريحي والمقتل المشهور لأبي مخنف - واللفظ

للأول :-

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات: ٦٦، مثير الأحزان لابن نما: ١٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧.

«قال: أريد رجلاً قرشياً أوصيه. فنهض عمر بن سعد - لعنه الله - (١).

في هذا النص يبدو ابن سعد مبادراً لقبول الوصية، لأنه عرف أن المولى عليه السلام يبحث عن رجلٍ من قريش، فوجد في نفسه الكفاءة لذلك ونهض، أو «وثب» على حدّ تعبير ابن أعثم، ولم يلتفت إلى ابن زياد. بيد أن ابن أعثم نفسه يروي بعد سطرين تقريباً ما يؤكد أن الخبيث جبن وتردّد في إجابة الدعوة وقبول الوصية، قال:

«فأقم إليّ رجلاً من قريش أوصي إليه بما أريد. فوثب إليه عمر ابن سعد ابن أبي وقاص، فقال: أوص إليّ بما تريد يا ابن عقيل. فقال: أوصيك ونفسي بتقوى الله، فإنّ التقوى فيها الدرك لكل خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقرابتي أن تقضي حاجتي. قال: فقال ابن زياد: لا يجب (وفي نسخة: يجب) يا عمر أن تقضي حاجة ابن عمك، وإن كان مسرفاً على نفسه!!! فإنه مقتولٌ لا محالة. فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا ابن عقيل».. (٢).

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧.

يبدو من مداخلة ابن زياد، وتفريع قول ابن سعد للمولى الغريب عليه السلام: «قل ما أحببت يا ابن عقيل»، أنّ ابن سعد قد تلكأ وتردد أو أحجم عن قبول الوصيّة، ثمّ إنّ عاد ليسمعاها.

وبناءً على هذا يكون النصّ داخلاً في الصنف الرابع، كما سيأتي. وربّما يشهد لذلك أنّ الخوارزمي نقل هذه الأحداث عن ابن أعثم حرفياً، بيد أنّه تنبّه لما في هذا المقطع من الارتباك فغيّر النصّ هنا، ثمّ عاد إلى النقل عن ابن أعثم، فقال:

«فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمّك؟ فقام عمر إليه»... (١).

الصنف الثالث: قبول ابن سعد دون انتظار الإذن

قال ابن قتيبة:

«فنظر في وجوه الناس، فقال لعمر بن سعد: ما أرى من قريش غيرك، فادنّ منّي حتّى أكلمك. فدنا منه، فقال له: هل لك أن تكون سيّد قريش، ما كانت قريش»... (٢).

وقال الدينوري:

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥.

«فقال له: أتقبل وصيتي؟ قال: نعم».. (١).

قال ابن عبد ربّه والباعوني والبرّي - واللفظ للأوّل :-

«فقال لعمر بن سعد: ما أرى قرشيّاً هنا غيرك، فادنُ منّي حتّى أكلمك. فدنا منه».. (٢).

في هذه النصوص دعا المولى الغريب عليه السلام ابن سعد لقبول الوصية واختاره باعتبار قرشيّته - في ظاهر الأنساب -، فأجاب ابن سعد دون أن ينتظر الإذن من ابن زياد.

الصنف الرابع: امتناع ابن سعد إلا بعد الإذن

قال البلاذري:

«فقال لعمر بن سعد بن أبي وقّاص: إنّ بيني وبينك قرابة أنت تعلمها، فقم معي حتّى أوصي إليك. فامتنع».. (٣).

وقال الطبري:

«فنظر إلى جلساء عبيد الله، وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨، الجوهرة للبرّي: ٤٣، نفّس المهموم للقمّي: ١١٦، معالي السبطين للمازندراني:

١ / ٢٤١.

(٣) جمل من أنساب الأشراف: ٢ / ٣٣٩، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

عمر، إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نُجَحَ حاجتي، وهو سرّ. فأبى أن يمكّنه من ذكرها».. (١).
وقال أبو الفرج:

«فأبى أن يمكّنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك؟» (٢).
وقال الشيخ المفيد والفتال:

«فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك؟!» (٣).
وقال الخوارزمي:

«فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمك؟ فقام عمر إليه».. (٤).
وقال ابن الأثير والنويري:

«فلم يمكّنه من ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، روضة الواعظين للفتال: ١٥١، بحار الأنوار: ٤٤ /

٣٥٥، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٢٦، معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٤٠.

(٤) مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١ / ٢١١.

ابن عمّك».. (١).

وقال ابن كثير:

«فأبى أن يقوم معه حتّى أذن له ابن زياد» (٢).

هذه النصوص هي المشهورة، وهي لصنفٍ واحدٍ من المؤرّخين كما لاحظنا، ويبدو أنّ اشتهاها اعتضد بملابسات الظروف وطبيعة الأشخاص، من قبيل عمر بن سعد وجبنه وتحاذله وعبوديته، وغلطه ابن زياد وجبروته وسطوته وبطشه، وحراجه الموقف وثقل المهمة، كلّ ذلك يؤكّد أنّ ابن سعد أقلّ وأحقروأضعف وأجبن من أن يبادر إلى قبول الوصية قبل أن يأذن له سيّده ومولاه.

دواعي اختيار عمر بن سعد

قبل أن نتناول دواعي اختيار عمر بن سعد للوصية ودلالات ذلك، ينبغي التنويه إلى بعض النكات:

النكته الأولى: عمل أهل البيت ﷺ بظاهر الأنساب

لقد كان من لطف أئمة أهل البيت ﷺ ورفعتهم وعلوّ قدرهم

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢،

نفس المهموم للقمي: ١١٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

وعظم شأنهم، أنهم عملوا بظاهر الأنساب، ودعوا الناس إلى آبائهم المنسوبين إليهم المشهورين بهم بين الناس، وهم كجدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله تماماً الذي قال: «فسلوني، فوالله لا يسألني رجل عن أبيه وعن أمّه وعن نسبه إلا أخبرته به»^(١)، وهم أعرف الخلق بالخلق، يعرفون الناس طرّاً بأسمائهم وانتماءاتهم، وكانوا يكشفون ذلك على رؤوس الأشهاد إذا دعت الضرورة لذلك، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله حينما تعرّض الجلف الجافي لعَمَتِهِ^(٢)، وفي ذلك شواهد كثيرة وردت في كتب الحديث والتاريخ.

ولا يسلم النسب - في الغالب - عامّة بالقطع واليقين في طول الشجرة - أي شجرة كانت صعوداً ونزولاً، إلا الشجرة الطيبة التي بسقت في الحرم وأثمرت سادات الأمم محمداً وآله - عليهم أفضل الصلاة والسلام -، ثم من بعدهم شيعتهم الأبرار، الذين يدعون يوم القيامة بأبائهم لطهارة مولدهم ونجابة الأرحام التي حملتهم، كما صرّحت به الأحاديث الصحاح عن النبي وآله عليهم السلام، وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله لذلك علامة، فقال مخاطباً أمير المؤمنين وسيد الموحّدين وقائد الغر المحجلين عليه السلام بما مؤداه: «يا علي، لا يبغضك إلا ابن حيضٍ أو ابن زنا».

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢٣٧، بحار الأنوار: ٣٠ / ٣١٣.

(٢) أنظر: كتاب سليم بن قيس: ٢٣٧.

وكيف كان، فإن الأئمة عليهم السلام خاطبوا الناس وعاملوهم على ظاهر الأنساب لا على واقعها الذي يعرفونه ويعلمون به عن الله تعالى، فخاطبوا ملوك بني العباس بأبناء العم، وفيهم من لا يُشكّ في كونه منسوباً إلى غير عمّهم جزءاً، لأنّ قاتل الإمام لا يُشكّ أبداً في كونه ابن زنا، بل خاطبوا أحياناً بني أمية بهذا الخطاب.

وكذا فعل سيّد الشهداء عليه السلام:

«لما كان يوم الطّف، قال شمر بن ذي الجوشن الكلابيّ للعبّاس وإخوته: أين بنو أختي؟ فلم يجيبوه، فقال الحسين لإخوته: أجيبوه وإن كان فاسقاً، فإنّه بعض أحوالكم» (١).

وقد شهد سيّد الشهداء عليه السلام نفسه يوم الطّف أنّ شمر هذا ابن زنا، فقال الحسين عليه السلام - في خبر -:

«مَنْ هذا؟ كأنّه شمر بن ذي الجوشن! فقالوا له: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزى»... (٢).

من هنا لا يُفهم من تعبير المولى الغريب عليه السلام: «بعض قومي» أو «رجل من قريش» إقراراً منه بصحة انتساب عمر بن سعد وسلامة

(١) عمدة الطالب لابن عنبه: ٣٥٧، اللهوف لابن طاووس: ٥٤.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٩٦، أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ١٨٧، تاريخ

نسبه .

كما لا يُفهم منه إقرار المولى الغريب عليه السلام بإيمانه أو صحة إسلامه، فقد تداول أهل البيت عليهم السلام تعبير الرحم حتى مع المشركين والكفار وسكان جهنم والنيران، وقد اشتهر عن رسول الرحمة صلى الله عليه وآله أنه كان كلما أذاه قومه الكفار وبالغوا فيما يفعلون، قال - صلوات الله عليه وآله -: «اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون» (١).

وروى ابن شهر آشوب والطبري:

«إنه لما ضرب علي عليه السلام طلحة العبدري تركه، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لعلي عليه السلام: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الله والرحم حين انكشفت عورته، فاستحيته» (٢).

«ولما أرى عليه السلام عمرواً قال عمرو: يا ابن عم! إن لي إليك حاجة؛ لا تكشف سواة ابن عمك ولا تسلبه سلبه. فقال: ذاك أهون علي.

وفيه يقول عليه السلام:

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ١ / ٣٨٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٤ / ٣٢٢ - بتحقيق: السيد علي

أشرف، تاريخ الطبري: ٢ / ١٩٤، تفسير جامع البيان للطبري: ٤ / ١٦٦.

وعَقَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَتَنِي كُنْتُ الْمُقْطَرِبَ بْنِي أَثْوَابِي
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلَّا سَلَبْتَ دِرْعَهُ! فَإِنَّهَا تَسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ،
وَلَيْسَ لِلْعَرَبِ مِثْلُهَا؟
قَالَ: إِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَكْشِفَ ابْنَ عَمِّي» (١).

النكته الثانية: تَمَسَّكَ أَهْلُ الْبَيْتِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ وَإِنْ بَعْدَتْ

ورد في حديثٍ طویلٍ عن الصادق ﷺ في قوله تعالى:
«وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا»، كان بينهما وبين هذا الأب الصالح
سبعون أباً، فحفظهما الله بصلاحه» (٢).
«وعن الرضا، عن آبائه ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: لَمَّا
أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ رَجُلًا مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ تَشْكُو رَحِمًا
إِلَى رَبِّهَا، فَقُلْتُ لَهَا: كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا مِنْ أَبٍ؟ فَقَالَتْ: نَلْتَقِي فِي
أَرْبَعِينَ أَبًا» (٣).

وقد سَمَّى الْأُمَمَةُ ﷺ مُلُوكَ بَنِي الْعَبَّاسِ أَبْنَاءَ عَمٍّ، رَغْمَ بُعْدِ النِّسْبَةِ

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٤ / ٣٣١ - بتحقيق: السيد علي
أشرف، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٦٩ رقم ١٩٦.
(٢) علل الشرائع للصدوق: ١ / ٦٢.
(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢ / ٢٥٤، الخصال للصدوق: ٢ / ١١١، بحار الأنوار:

بينهم.

وسياقي فيما يلي الكلام في النسبة والقربة بين المولى الغريب عليه السلام وابن سعد - عليه لعائن الله - .

النكته الثالثة: ما هي القربة بين المولى الغريب عليه السلام وابن

سعد؟

إنّ المولى الغريب عليه السلام كَلَّمَهُ باعتبار انتسابه - في ظاهر الأنساب - إلى قريش، وبنو زهرة فخذٌ من أفخاذ قريش.

ونسب المولى الغريب عليه السلام هو: مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر^(١).

وظاهر نسب اللعين هو: عمر بن سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيّب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أبو حفص القرشيّ الزهريّ^(٢).
فهما يلتقيان في كلاب بن مرة.

نؤكد أنّ كلامنا كلّهُ وفق ظاهر الأنساب، وإلاّ فإنّا لا نشكّ أنّ عمر

(١) أنظر: «العبّاس بن أمير المؤمنين حامل لواء الحسين عليه السلام» للمؤلف: ٣٣.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساکر: ٤٥ / ٣٧.

ابن سعد دعِيَّ لصيق، وقد وردت النصوص الصحيحة الصريحة في أنَّ قاتل الإمام ربحانة النَّبِيِّ ﷺ الحسين بن عليٍّ عليه السلام، ابن زنا، وكذا قتلة الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام.

النكته الرابعة: تشكيك البعض

شكَّك البعض في صدور هذه الوصية من المولى الغريب عليه السلام لعمر ابن سعد، واستدلَّوا لذلك بعدم ورودها في بعض المصادر، كما مرَّ آنفاً، وأنَّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام يعرف ابن سعد وخبثه وخيانتَه وشخصيته ودناءته، فكيف يوصي له؟!

ولا يخفى أنَّ عدم ذكر بعض المؤرِّخين والعلماء لها يعدّ شاهداً، سيّما إذا كان على وزن المسعودي وابن شهر آشوب والسيد ابن طاووس، وهم إمَّا يذكرون ما يختارونه في كتبهم في الغالب.

ولكن ورودها عند مؤرِّخين آخرين قدماء ربما يكون عاضداً معتداً به، إذ ذكرها كثيرون وإن اختلفوا في التفاصيل، وقد أتينا على ذلك مفصلاً في بداية الحديث تحت عنوان الوصية.

أمَّا معرفة المولى الغريب عليه السلام بابن سعد وخبثه وخيانتَه فلا شكَّ في ذلك، ولكن ربما كان في الوصية لهذا الشخص بالخصوص فوائد تترتب بالرغم من وجود تلك الخصال الذميمة وأكثر فيه، وسنأتي على الإشارة إلى بعض تلك الفوائد والدواعي فيما يأتي إن شاء الله تعالى:

الداعي المنصوص عليه

إِنَّ مَنْ يلاحظ النصوص التي روت الوصية والكلام الذي دار حولها، يرى بوضوح أنَّ الداعي المنصوص عليه في أكثر عبارة المؤرخين على لسان المولى الغريب عليه السلام إنما هي القرابة ^(١)، وأنَّ ابن سعد هو القرشي الوحيد الحاضر في المجلس، وبذلك أخرج المولى الغريب عليه السلام ابن زياد من نسب قريش، كما صرح له بذلك فيما بعد حينما قال له: «أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلني» ^(٢).

فهو عليه السلام لم يناشد ابن سعد بالله ولا بدين ولا بالنبى الأمين عليه السلام، ولا بالأخلاق والشيم، ولا بأي خصلة تثبت له مزية أو كرامة أو حسن سيرة ومعرفة سوية، وإنما ناشده بالقرابة والنسب، وهو ما يستجيب له أجلاف الجاهلية وعتاة المردة، ويستقبح التنصل منه كل إنسان مهما كان، ومع ذلك تنصل عنها الخبيث إلا بإذن من مولاه السلطان.

وبالرغم من أنه عليه السلام لم يكلف ابن سعد أي عطاء خاص من عنده شخصياً - كما سنسمع في تفاصيل الوصية وبنودها -، وليس عليه

(١) لا حاجة في تكرار النصوص هنا بعد أن سمعنا مفضلاً خلال ما مر من

البحث قبل قليل.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٥.

سوى التنفيذ فقط، إذ لا مال يدفعه من عنده ولا عطية يطلبها منه المولى عليه السلام.

الدواعي غير المنصوص عليها

أمّا الدواعي غير المنصوص عليها، وهي ما يمكن استفادتها واحتمالها من خلال التأمل في الأحداث والمواقف والنصوص وتحليلها، فإن عضدته الشواهد وساعدت عليه القرائن والمؤيّدات، ووافق روح المشهد العامّ، فالحمد لله، وإلّا فلا ضرر في أصل احتماله وتصوّره وتصويره، فربما أقنع بعض الاحتمالات بعضاً، واقتنع آخرون بأخرى. وينبغي أن نقسّم الدواعي إلى قسمين لتكتمل الصورة وتّضح معالم الموقف أكثر، إذ أنّ ثمة دواعي تنتج أصل الإقدام على الوصية، فيما تنتج دواعي أخرى اختيار هذا الوغد الرعديد ابن سعد بالذات لها دون غيره.

والقسم الأوّل يساعد بالتالي على إدراك القسم الثاني.

القسم الأوّل: الدواعي العامّة

الداعي الأوّل: العمل بالتكليف الشرعيّ

رُوي عن النبيّ ﷺ:

«مَن مات ولم يوصِ، مات ميتةً جاهليّةً».

وقال صلى الله عليه وآله: «الوصية حق على كل مسلم».

وقال صلى الله عليه وآله: «مَن مات ولم يوصِ، فقد ختم عمله بمعصية» (١).

فالوصية أدب شرعي أكدت عليه الشريعة أيما تأكيد، وهي في الوقت ذاته سيرة متعارفة وسلوك ثابت عند المتشريعة، وعند الناس حتى من غير المتشريعة، وقد تعارف واشتهر إلى يوم الناس هذا أن من يحكم عليه بالقتل يؤذن له بالوصية أو يبادر هو بها.

والمولى الغريب عليه السلام فقيه عالم من فقهاء آل محمد صلى الله عليه وآله، لا يفوته هذا الأدب الشرعي، وقد عمل به بغض النظر عن الموصى إليه ومدى التزامه بالتنفيذ أو التنصل، إذ أن الوصية ذاتها تكليف.

الداعي الثاني: الرد على شبهات الأعداء وتضليلهم

إن العدو المتسلط العنيد دأب في حربه المضللة على عرض أهل بيت النبوة في زي الخوارج والخارجين عن الإسلام، فكانت الوصية - مطلقاً ولا بن سعد خاصة - رداً على تلك المزاعم الباطلة وكسراً لوسائل التضليل المتمحلة، وتديلاً على خلاف ما يقوله المبطلون، فهو يوصي كأي مسلم من المسلمين، ويشهد بالوحدانية لله رب العالمين وبالنبوة لخاتم المرسلين.. وهذا ما التزمه أهل البيت عليهم السلام أمام أعدائهم

أعداء الله، والتزمه سيّد الشهداء عليه السلام وأصحابه النجباء عليهم السلام، وكان آخر رجز لسيّد الشهداء عليه السلام:

«أمضي على دين النبي صلّى الله عليه وآله...».

الداعي الثالث: وجود ضرورة في بعض موارد الوصية

يلاحظ أنّ بنود الوصية كلّها ضرورات ملحة وموادّ مؤثّرة، ووصايا فاعلة، لا ينبغي التهاون فيها والتغافل عنها، لعمق تأثيرها في حركة التاريخ وكشفها عن فراغ الذمة أمام الله في تنفيذ أوامر الإمام المفترض الطاعة، أو فراغ الذمة الشخصية من مطالبات الناس عامّة، وتبرير حقّ لمواقف المولى الغريب عليه السلام وتفسيرها على مدى التاريخ وكرّ العصور والدهور.

إضافة إلى ما تضمّنته من تعريض وإشعار وتنويه وتحذير وإقامة للحجة على الخارجين على إمام زمانهم.

الداعي الرابع: ابلاغ سيّد الشهداء عليه السلام لإتمام المهمة وانجازها

على أكمل وجه

هذا الداعي يندرج تحت العنوان السابق، وإنّما أفردناه هنا للأهميّة وإلفات النظر إليه، فربما كان هو الداعي الأساسي والأصل في الوصية، باعتباره الفرصة الأخيرة للتأكّد والاحتياط في إنجاز المهمة، وطمأنة النفس المتألّمة الحزينة الوهّلى على سيّد الشهداء عليه السلام وركبه، وقد أتينا

على بيان هذا الداعي مفصلاً في «مسلم بن عقيل - ثائرٌ أم سفير».

الداعي الخامس: إقامة الحجّة على ابن زياد وغيره من

الأذنان

إنّ المولى الغريب عليه السلام يعلم أنّ أمر الوصيّة سيّضح بالمآل للجميع، ونحن نظمناّ بلا تردّد أنّه عليه السلام كان يعرف ابن سعد وخيانتته، وأنّ الوصيّة سيفشى بها، فلا تكون خفية ولا تبعد عن الطغام الذين احتوشوه وتكاثروا عليه، وكان ابن سعد نفسه من المقرّبين عند الجرو الأمويّ، ومن أدواته القذرة وأعوانه والكلاب التي تلهث في ديوانه، وقد كلّمه المولى الغريب عليه السلام بألفاظ متينة ومعاني جزلة رصينة، يفهمها كلّ من سمعها.

وكان بفعله ذاك قد أقام الحجّة عليهم جميعاً، وعلى ابن سعد خصوصاً، وأبان لهم المحجّة، وعرض عليهم غدرهم وخيانتهم وخذلانهم للحقّ وأهله، وأراهم ما هم عليه من سوء العاقبة، وغبّ المواقف الجانحة، وأتهم قوم متذبذبون كاذبون متقلّبون، دينهم الدنيا وأتمّتهم أربابها.

وبخطابه هذا قد أتمّ عليهم الحجّة، ووعظهم أبلغ الموعظة، ولكّتهم قد استحوذ عليهم الشيطان، فأعماهم وأصمّهم وأمات قلوبهم.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾،

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

لقد عرّفهم المولى ﷺ بحقيقة أمرهم، وأخبرهم عن دخائل أنفسهم ومعاقد ذواتهم التي عقدت على الخيانة والغدر، كما فعلوا من قبل بأمر المؤمنين وابنه الحسن الأمين ﷺ، وأنهم لن يجانبوا مقارفة الأخلاق الذميمة وارتكاب الدنية في دينهم ودنياهم، فعلمهم من خلال ما رفعه لسيد الشهداء ﷺ في الوصية وطلب الرجوع منه، بناءً على ما أمره به الإمام نفسه ﷺ، إذ أمره أن يرى ما عليه الناس فيخبره بالإقدام أو بغيره، كما ورد في نصوص تكليفه بالمهمة.

وكأنه ﷺ يريد أن يقول لهم: إنكم إن كنتم عاجزين عن نصر الحق والوقوف في صف أولياء الرحمان، فلا تركنوا إلى الذين ظلموا وتمنعوا الإمام ﷺ وتكونوا ضمن جند السقيفة الذين يدعوه إلى ما يدعوه إليه أربابها، ويقترحون عليه النزول على حكم أولاد الأدعياء، فإن سيد الشهداء ﷺ قال لهم مرة بعد أخرى - لإتمام الحجة عليهم -: «دعوني»^(١)، فأبوا إلا أن ينزل على حكم أربابهم، والحسين ﷺ سيد

(١) أنظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٧٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ /

٦٢، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٣٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٨٥، روضة

الواعظين: ١ / ١٨١، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩٧ ط قديم،

الكائنات يومها والإمام المفترض الطاعة على الخلق أجمعين!

فكأنَّ المولى الغريب عليه السلام يقول لهم: لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم عذاب أليم، إذا قال لكم: دعوني، دعوه، ولا تكونوا خاذلين قاتلين، فإنِّي أخبرته بكم وبغدركم، وأنتم تعرفون أنفسكم وما انطوت عليه قلوبكم من الغدر والخيانة، فاعملوا على خلاصكم من التورط في حربه ولا تقتلوه (١).

الداعي السادس: كانت وصيته عليه السلام بمثابة تبليغ بحركة الإمام

والدعوة إلى نصرته

حينما يؤسّر الإنسان الحرّ الأبّي والشجاع القويّ، يبقى ثابتاً راسخاً، تسربله السكينة وتحيطه الطمأنينة، لا يتزعزع ولا يتلجلج ولا يتردّد في القيام بمهمّته، والإمعان في التنكيل بعدوّه، وتنفيذ ما أُسرّ لأجله.. فالمولى الغريب عليه السلام أكبر من الطغاة، فلا يقاس بوقوفه أسيراً أمام الجرو الأمويّ الرعديد الجبان..

فقد أقدم المولى الغريب عليه السلام - رغم غربته ومحنته وألمه وجراحاته - على فعلٍ زلزل الأرض تحت أقدام القزم وليد المومس التنتنة، إذ وبّخ

الناس على لسان قاتل الحسين عليه السلام، وكشف لهم زيفهم، ودعاهم وحرّضهم من خلال إعلانه لسيد شباب أهل الجنة عليه السلام أن القوم قد نكثوا، وأنهم لم يفوا بما وعدوا، وأنهم تركوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مرجانة!

وفي ذلك تحريض واضح، وشحن للهمم، وإثارة لكوامن النفوس إن كان فيها بقية من ذمم ورواسب من الحمية والشعور بالندم، وصعقة شاحنة للقلوب الخاوية إذا كان فيها ذبالة خافتة من الروح أو آثار من بقايا الحياة..

وبكلمة أخرى: كان مشهد المولى الغريب عليه السلام هنا في وصيته تماماً كمشهد السفير الغريب قيس بن مسهر الصيدائي، إذ «أقبل بكتاب الحسين عليه السلام إلى الكوفة، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن غير، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له ابن زياد: اصعد إلى أعلى القصر فسبّ الكذاب ابن الكذاب!!! علي بن أبي طالب وابنه الحسين.

فصعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقتُ بالحاجر من بطن ذي الرمة، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا. ثم لعن عبيد الله بن زياد

وأباه، واستغفر لعليّ والحسين.

فأمر به ابن زياد، فألقي من رأس القصر، فتقطع، ويقال: بل تكسرت عظامه، وبقي فيه بقية رمق، فقام إليه عبد الملك بن عمير البجلي فذبحه» (١).

الداعي السادس: كشف خبث ابن زياد وجراته على الجثة

والتمثيل بها

لقد كشف المولى الغريب عليه السلام - من خلال بعض بنود الوصية - عن عمق معرفته بأعدائه عموماً وبابن الأمة الفاجرة خصوصاً، ومعرفته بعمق العداوة والحقد والبغضاء المتجذرة في شعاب الأرواح الشريرة المتولدة على فُرْش ذوات الأعلام المحملة بالضغائن المتقيحة على عترة النبي صلّى الله عليه وآله وسادات الأنعام، فنصّ على أخذ جثته المقدسة لتوارى في التراب، وإلا فن يُقتل يُدفن!

وفي بعض المتون: أوصى باسترجاع فرسه وسيفه لتسديد دينه، ليعلن بذلك على مسامع الزمن أنّ القوم قد سلبوه عدواناً وغلبةً لا استحقاقاً، وأنّ سلبه ليس حلالاً لهم، وأنها لا زالت ملكه يتصرف بها. وفي ذلك دلالة على علمه بما يجري عليه قبل وبعد الشهادة،

فالعجب مَن يجعل مشاهد المولى الغريب عليه السلام في الكوفة كلّها مفاجآت كأنّها الصواعق تنزل عليه في كلّ خطوة، فتتهمر عليه السماء وتنفجر الأرض أمامه، فلا يدري كيف يتعامل معها ولا يهتدي إلى سبيل للخروج من غمراتها والنجاة من دوّامتها!!

فقد أنبأ المولى الغريب عليه السلام - بوصيته باستنقاذ جثته من براثن الوحش الكاسر والوغد المتوحّش - أنّه على علم تامّ بما سيجري عليه، فهو عليه السلام يعرف عدوّه تماماً، ويعلم بمصيره وحركته وما يؤول إليه أمره، ويعرف تفاصيل شهادته، إمّا بالأخذ عن إمامه عليه السلام الصادق المصدّق والمعصوم عن الخطأ الذي لا يكذب ولا يكذب، وإمّا بمتابعته للأشخاص ومعرفته بالأعداء وسلوكياتهم وخلفياتهم وأخلاقياتهم، ومعرفته لمجريات الأحداث، أو للاثنين معاً.

فهو عليه السلام - على كلّ حالٍ وفي أيّ تقدير - ليس غريباً عن الواقع الذي يتحرّك فيه، ولا مستغرباً من الوقائع ولا متفاجئاً بما يراه من القوم قادةً وأتباعاً.

وبهذا أصاب المولى الغريب عليه السلام أهدافاً شتى، كالكشف عن حقيقة الأعداء، والكشف عن عمق معرفته، ليكون واضحاً للأجيال المتعاقبة، والعيون المراقبة، والأقلام التي تريد الخوض في معرفة شخص المولى الغريب عليه السلام، أنّه لم يكن كما يصوّره المؤرّخ ويحلّله الكتاب

ويَتَّهِمُهُ به المغرضون والسُّدُج وغير المغرضين: إِنَّهُ عَالِمٌ عَارِفٌ بِكُلِّ
التفاصيل!

القسم الثاني: الدواعي الخاصة

الداعي الأول: القرابة بين سيّد الشهداء عليه السلام وابن سعد

قال الشيخ المظفر في هامش كتابه «مسلم بن عقيل سفير
الحسين عليه السلام»: «

«القرابة المشار إليها أَنَّ أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْنَةُ وَأُمُّ حَمْزَةَ هَالَةَ مِنْ
بَنِي زَهْرَةَ» (١).

ونسب مولاتنا المظلومة أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو:

«أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ زَهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ
كَعْبِ بْنِ لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ» (٢).

فهي من بني زهرة، وبنو زهرة أحوال سيّد الشهداء عليه السلام، وقد صرّح
بهذا الداعي الشجري في أماليه، فقال:

«فدعا عمر بن سعد للقرابة بينه وبين الحسين» (٣).

(١) سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام للمظفر: ١١٦.

(٢) الكافي للكليني: ١ / ٤٣٩.

(٣) الأمالي للشجري: ١ / ١٦٧.

وهذه القرابة لها دورٌ كبير عادةً في إثارة الهمم والحمية والحماس للذب والدفاع عن القريب والمتنسب.

الداعي الثاني: إقامة الحجّة على ابن سعد

إنّ المولى الغريب عليه السلام - لقربه من معادن العلم وينايع الحكمة ومهابط الوحي وأخبار الغيب، وباعتباره واحداً من المؤمنين والمسلمين - كان يعلم علم اليقين أنّ عمر بن سعد قاتل ریحانة النبي صلى الله عليه وآله وسيد شباب الجنّة أجمعين، وقد شاع هذا الخبر وذاع وعرفه القريب والبعيد، فقد روى عبدالله بن شريك العامريّ قال:

«كنتُ أسمع أصحاب عليّ عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي عليه السلام، وذلك قبل أن يُقتل بزمان» (١).

وفي تاريخ دمشق) والكامل في التاريخ - واللفظ للأوّل -، مسنداً عن عبدالله بن شريك، قال:

«أدركتُ أصحاب الأردية المعلّمة وأصحاب البرانس من أصحاب السواري، إذا مرّ بهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين، وذلك قبل أن يقتله» (٢).

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ١٣٥، كشف الغمّة للأربلي: ٢ / ٩، إثبات الهداة للحرّ العاملي: ٢ / ٤٧٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٢٦٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ٤٨ / ٣٢، والكامل في التاريخ لابن الأثير: ←

والأخبار في ذلك والدلالات كثيرة، ولهذا جعل المولى الغريب عليه السلام هذا القاتل اللعين مكلفاً، وأخبره بما سيجري، وأقام عليه الحجّة، وأخذه من كلّ جهاته، وقد ذكرنا قبل قليل وجه إقامة الحجّة، كما أشرنا إلى ذلك في «مسلم بن عقيل - الحرب الأخيرة»، و«مسلم بن عقيل - نائزاًم سفير»، وغيرهما، فلا نعيد.

الداعي الثالث: موقع ابن سعد

باعتبار أنّ عمر بن سعد بن أبي وقاص له موقعٌ خاصّ بامتداداته الاجتماعيّة والسياسيّة، وانتسابه إلى سعد بن أبي وقاص بمكانته الخاصّة عند الأمويين والكوفيّين من أتباع العجل والسامريّ، ورتبته العسكريّة والاجتماعيّة عند ابن الأمة الفاجرة، وانتسابه القرشيّ في ظاهر الأنساب، وارتباطاته بالمجتمع المدنيّ والمكيّ بالحيث العشائريّ والقبليّ، وحاجة ابن زياد له في القريب العاجل في حربه على الله ورسوله وإمام زمانه سيّد الشهداء الحسين عليه السلام وأنصاره، كلّ ذلك يؤهّله للاضطلاع بتلك المسؤوليّة والقيام بتلك المهمّة الخطيرة، لما له من قوى تميّزه عن غيره من الحاضرين في ذلك المجلس المشؤوم.

الداعي الرابع: إخراج ابن سعد أمام الملأ

لقد دعا المولى الغريب عليه السلام ابن سعد اللعين على رؤوس الأشهاد،

واستوصاه على مرأى ومسمع من الحاضرين، فإمّا أن يقبل ابن سعد أو يردّ، ولا خيار آخر له.

فإن ردّ، فسوف يتعرّى أمام الجميع، ويكشف عن طويّته وسقوطه ودناءته وجبنه وتحلّله عن أيّ التزامٍ يدخله في حضيرة البشر من أمثاله من الأوغاد.

لأنّ ردّه لوصيّة قريبٍ ينتمي إليه في العشيرة والنسب، وهو غريب ليس له من أبناء قومه سواه، وهو عازمٌ على الموت ولا محيص من قتله، لا يحتمله أيّ مخلوقٍ مهما كان ضيعاً.

وإن قبل وصيّته، فسوف يخرجه أمام أميره وسيّده البطّاش، ويخرجه أمام الناس، فسرعان ما يقدم اللعين على قيادة العسكر لقتال ربحانة النبيّ القرشيّ ﷺ، والحال إنّ كان بالأُمس القريب يرسل إليه الرسل، ويبلغه بما جرى على مسلم ﷺ، ويدعوه على لسان مسلم ﷺ أن يعود ولا يقدم، ويقوم بمهامّ تخصّ مسلم ﷺ مبعوث الحسين ﷺ، وهو القرشيّ الذي يمتّ إلى الحسين ﷺ بصلّةٍ في ظاهر الأنساب.

دواعي قبول الوصيّة من قبل ابن سعد

اتّفقت المصادر التي ذكرت الوصيّة أنّ عمر بن سعد قد قبل الوصيّة على التفصيل المذكور آنفاً في «موقف عمر بن سعد»، ومن البديهيّ أنّ ثمة دوافع دفعته إلى قبول هذه المهمّة العسيرة في ساعة

العسرة والظرف المخرج العسير..

ونحن نتوقع جملةً من الدواعي قد يكون أحدها كافٍ في تفسير الموقف، وقد يكون بعضها أو جميعها، فربما اقتنع القارئ بوحدة أو بأكثر، وربما قنع آخر بغير ما اقتنع به الأول، وهكذا هو الحال في كل ما نذكره من احتمالاتٍ في دراساتها.

وعلى كل حال، لابدّ من ملاحظة العامل الغيبيّ دوماً في تحليل كلِّ حالٍ أو تفسير أيِّ مقال، فربما كان قبول ابن سعد - لعنه الله - للوصية - بالإضافة إلى الاحتمالات التي سنأتي على ذكرها - من باب إقامة الحجة عليه من قبل رب العالمين - جلّ وعلا -، فهو يجري الحقّ على لسان المخالفين، ويقيم عليهم الحجة باختيارهم المحجة والإعراض عنها على علم، ليهلك مَنْ هلك منهم عن بيّنة..

الداعي الأول: الداعي المنصوص

تصرّح النصوص التاريخية التي ذكرناها مفصلاً تحت عنوان «موقف عمر بن سعد» أنّ ابن سعد إنّما قبل الوصية امتثالاً لأمر ربّه ومولاه وسيّده ابن الأئمة الفاجرة، وإطاعةً له، وتصرّح جملةً منها أنّه امتنع من إجابة المولى الغريب عليه السلام، ثمّ عاد فقبل إطاعةً لمولاه الزعيم ابن زياد.

وبناءً على هذا تصوّر يكون القبول وفق معايير الذلّ التي ارتضاها ابن سعدٍ لنفسه، وهي العبوديّة للقروذ الأمويّة وأذنانها، فلا

تدل حينئذٍ على أيِّ تأثيراتٍ في شخصيته كقابل، وينتقل الكلام في تفسير الموقف للبحث عن دوافع ابن الأمة الفاجرة.

كما أنَّ هذا الدافع المنصوص سيلغي الحاجة إلى التمعّن في الدوافع الأخرى، وينتهي الكلام هنا إذا كان الدافع الأصلي هو الطاعة للسلطان الغاشم.

الداعي الثاني: التفاخر والمباهات

ورد في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«قسم الله - تبارك وتعالى - أهل الأرض قسمين، فجعلني في خيرهما، ثم قسم النصف الآخر على ثلاثة، فكنْتُ خير الثلاثة، ثم اختار العرب من الناس، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبد المطلب» (١).

وقد ورد بهذا المعنى أحاديث متظافرة كثيرة عند الخاصّة والعامة، وقد سمعها ابنُ سعدٍ ووعاها، فلمّا عمل المولى الغريب عليه السلام بظاهر الأنساب ونماه إلى قريش أمام الناس، نفخ فيه روح الزهو والفخر

والمباهاة، وحمّلتها الحميّة على التشبّث بهذا الانتساب تكبراً على الحاضرين وتمطّياً على ابن زياد اللعين، فإنّ في نسبة ابن سعد دون غيره إلى قريش تعريضاً واضحاً بكبير الأقزام الحقراء في ذلك المجلس.

الداعي الثالث: الإخراج أمام الملأ

ربما يقال: إنّ المولى الغريب عليه السلام دعا ابن سعد أمام الحاضرين في المجلس ونسبه إلى قريش، وهو في تلك الحال والموقف الاستثنائي؛ غريباً وحيداً فريداً، لا أهل يحضرونه ولا عشيرة يؤوونه، ولا ناصر ولا معين، وقد حضرته المنية واقترب منه الأجل المحتوم بين أناسٍ جُفّة أجلاف، فلورّد الوصيّة في مثل تلك الظروف التي يصعب تصويرها، لكانت عاراً عليه وعلى أهله وعشيرته، لا تستره الأيام ولا تمحوه السنين، ولبقيت سُبّةً على مرّ العصور.

بيد أنّ هذا الداعي يكذّبه موقف اللعين من ريحانة النبي صلّى الله عليه وآله وجنایاته التي ضجّ لها الملكوت الأعلى، وترعزع لها عرش الرحمان، ونكب بها الأرض ومن عليها إلى يوم القيامة، فهو مخلوقٌ لا يرعى إلّا ولا ذمّة، ولا يحتوي وجوده إلّا الخسّة والضعّة والرجس والوحشيّة والتنكّر للقيم، وهل يكون فيمن سبي حرم الله ورسوله ما يحمله على الفخر والمباهاة بالانتساب إلى الأعراق؟! إلّا أن يكون فخراً بالجاهليّة الجهلاء!

الداعي الرابع: الطمع في تكذيب الصادقين

إنَّ اللعين ابن سعد كان يعلم - من خلال ما سمعه من النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والصالحين - أنَّ الحسين عليه السلام مقتولٌ في كربلاء لا محالة، وأنَّ عمر بن سعد سيكون قائداً لذلك الجيش المنكوس المغضوب عليه الذي سيقتل حبيبَ الله الحسين عليه السلام، وقد ورد في ذلك النصوص الكثيرة المتطافرة المستفيضة، لا نريد الإطالة هنا بذكرها وهي موجودةٌ في مضائنا لمن أرادها.

فربما طمع اللعين في أن يكون هو السبيل لإبلاغ الإمام سيّد الشهداء الحسين عليه السلام بما جرى على أخيه مسلم عليه السلام، فيثني ويرجع فلا يُقتل! وبهذا يكذب النبي ﷺ ويكذب الأئمة الصادقين عليهم السلام - والعياذ بالله -، فيجاهر بالحجة والبراهين، وينفي أخبار الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، فيعود الناس بذلك إلى ما فارقه ظاهراً من دين آبائهم المشركين..

الداعي الخامس: أن تكون له يدٌ عند الهاشميين

إنَّ ابن سعد اللعين يعرف جيّداً مكارم أخلاق الهاشميين عموماً والطالبيين خصوصاً، ويعلم جيّداً أنَّهم أوفياء لا يتركون عملاً إلا جزوه بالإحسان، وهو لا يعرف ماذا سيجري في مستقبل الأيام، وإن كان يعرف أنَّه قاتل الحسين عليه السلام، كما نصّت عليه الأخبار وعلمه الناس أجمعين..

فأراد بقبول الوصية أن تكون له يدٌ عند الطالبين، تكون له ذخراً
ربما ينتفع بها في يومٍ من أيام عمره النحس.

هل كانت الوصية سرّاً؟

أعرض بعض المؤرّخين عن ذكر الوصية من رأس، وأعرض آخرون
عن الإشارة إلى ما يفيد السرية أو غيرها^(١)، رغم أنهم ذكروا الوصية،
وجاءت بعض العبارات بلفظ: «فادنُ مَنّي حتّى أكلمك، فدنا
منه»^(٢)، و«فقم معي حتّى أوصي إليك، فامتنع، فقال ابن زياد: قم إلى
ابن عمّك، فقام»^(٣)، وفي مثل هذين التصريحين لا يمكن استفادة
قصد المولى عليه السلام أن تكون وصيته سرّية، إذ أنّ موضع وقوف المولى

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٩٧، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد:

٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩، مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩،

الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٢، الأمالي

للشجري: ١٠ / ١٦٧، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٩، مناقب آل أبي طالب لابن

شهر آشوب.. وغيرها، إضافة إلى المصادر التي لم تذكر الوصية من رأس.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨،

جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨، نفس المهموم للقمي: ١١٦.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، مقتل الحسين عليه السلام

للخوارزمي: ١ / ٢١١.

الغريب عليه السلام لا شكّ غير موضع جلوس الوغد التعيس ابن سعد، فلا بدّ أن يستدنيه أو يأمره بالقيام ليقترّب منه فيكلّمه ويوصيه، فتكون هذه الطائفة مندرجة ضمن الثلّتين السابقتين.

بيد أنّ عبارة الدينوري تفيد أنّهما اختلّيا في ناحية، وأنّ المولى الغريب عليه السلام أمر ابن سعد أن يخلو معه في «طرف البيت»، «فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقّاص فقال له: أخلّ معي في طرف هذا البيت حتّى أوصي إليك ... فتنحّى معه ناحية»^(١)، والظاهر من العبارة أن يقصد البيت الذي هم فيه، بقرينة قوله: «فتنحّى معه ناحية»، ولم يذكر أنّهما خرّجا من الموضع الذي هما فيه إلى بيت آخر.

وفي مثير الأحزان لابن نما: «فتنحّى بحيث لا يراها أحد»^(٢)، ولا ندري أين اختفيا وهما في المجلس العامّ؟! وهو يباين تماماً ما ذكره الطبري كما ستسمع.

وكعاداته فقد نَمَقَ الطبري عبارة الدينوري، وصرّح على لسان المولى الغريب عليه السلام أنّ وصيته سرّاً:

«فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة.. وقد يجب لي عليك نصح حاجتي، وهو سرّ فأبى أن يمكّنه من ذكرها.. فقام معه

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ١٧.

فجلس حيث نظر إليه ابن زياد...» (١).

والوصية لا تحتوي على ما يكون سرّاً يخشى عليه أن يفشى، إلا ما يخص حركة سيّد الشهداء عليه السلام وقدمه وبيان خذلان الناس وتنمر الجرو الأمويّ، ولا يكاد يكون في شيء من ذلك سرّ، لأننا نجزم بالوجدان ومن خلال معرفة البطل الهاشميّ والعالم الطالبيّ أنّ المولى الغريب عليه السلام يعرف ابن سعد معرفة جيّدة، ويعلم أنّه ليس موضعاً للسرّ، ويعلم بمجريات الأحداث، وأنّ كلّ ما قاله في شأن سيّد الشهداء عليه السلام للوعد الأمويّ الحقير هو مشهورٌ معروفٌ معلّن على رؤوس الأئمه، فالناس قد علموا بعزم سيّد الشهداء عليه السلام وتوجّهه إليهم، وعلموا أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام سفيرٌ مخدول يريد إخبار مولاه بما جرى عليه وإعلامه بوضع الناس.

فلو كانت الوصية سرّية، كما صرح الطبري ومن جاء بعده أو أخذ عنه، فربما كانت للأسباب التالية:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠، الإرشاد للمفيد: ٢

/ ٥٩، روضة الواعظين للفتال: ١٥١، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ /

٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

السبب الأول: خبث ابن سعد

لفضح خبث ابن سعد وعدم رعايته للأمانة والسرّ، فإنّ إفشاء السرّ سقوط^(١)، بل حقيقة النيمة إفشاء السرّ وهتك السترة كما يُكره كشفه^(٢)، فيعلم دور هذا الوغد الوقح في إذكاء نار الحرب على سيّد الشهداء عليه السلام وإغراء الذئاب المفترسة في نهش الأبدان الطيبة والولوغ في الدماء الزكية الطاهرة.

السبب الثاني: عزّة مسلم عليه السلام

أو أنّه من فيض ينابيع الحشمة والإباء والعزّة الهاشمية تسامياً ورفعةً على الأدعياء، وازدراءً بأبناء البغايا المتسلّطين، واحتقاراً لابن زياد بالذات، وغيره من حضّار مجلسه الموبوء.

السبب الثالث: رعاية لمقام سيّد الشهداء عليه السلام

أو أنّها رعايةً لمقام سيّد الشهداء عليه السلام وتعظيماً للإمام وتنزيهاً للخطاب الدائرين السفير والمرسل المقدّس من أن تدسّ فيه أنوف الأعداء العفنة وتسمعه الأذان الملوّثة، ولا بدّ أن يحصّن الخطاب المرسل من هؤلاء المجرمين رعايةً للأدب مع الإمام عليه السلام وصاحب المقام.

(١) تحف العقول لابن شعبة: ٣١٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٦٩.

مواد الوصية

قال ابن سعد والذهبي - واللفظ للأول :-

«هذا الحسين بن عليّ قد أظلك، فأرسل إليه رسولاً
فلينصرف، فإنّ القوم قد غزوه وخدعوه وكذبوه، وأنّه إن قُتِل لم
يكن لبني هاشم بعده نظام، وعليّ دين أخذته منذ قدمت
الكوفة فاقضه عني، واطلب جثتي من ابن زياد فوارها» (١).

وقال ابن قتيبة:

«إنّ الحسين ومَن معه وهم تسعون بين رجل وامرأة في
الطريق فارددهم، واكتب إليهم بما أصابني» (٢).

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥.

وقال البلاذري:

«إِنَّ عَلِيَّ بالكوفة دَيْنًا، سبعمائة درهمٍ أخذته منذ قدمتها، فاقضها عَنِّي، وانظر - إذا ما قُتِلْتُ - جَتِّي، فاطلبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين مَن يرده» (١).

وقال الدينوري:

«إِنَّ عَلِيَّ هَاهُنَا دَيْنًا مقدار ألف درهم، فاقض عَنِّي، وإذا أنا قُتِلْتُ فاستوهب من ابن زياد جَتِّي لئلا يُمَثَّلَ بها، وابعث إلى الحسين بن علي رسولاً قاصداً من قبلك، يُعَلِّمه حالي وما صرْتُ إليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم شيعة، وأخبره بما كان من نكثهم بعد أن بايَعني منهم ثمانية عشر ألف رجل، لينصرف إلى حرم الله فيقيم به، ولا يغتر بأهل الكوفة» (٢).

وقال الطبري في إحدى رواياته:

«إِنَّ عَلِيَّ بالكوفة دَيْنًا استدنته منذ قدمْتُ الكوفة، سبعمائة درهم، فاقضها عَنِّي، وانظر جَتِّي فاستوهبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى حسين مَن يرده، فَإِنِّي قد كتبتُ إليه أُعَلِّمه أَنَّ الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً» (٣).

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

وقال ابن أعثم:

«أوصيك ونفسي بتقوى الله، فإنَّ التقوى فيها الدرك لكلِّ خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقرابتي أن تقضي حاجتي.

قال: فقال ابن زياد: لا يجب - يا عمر - أن تقضي. حاجة ابن عمك، وإن كان مسرفاً على نفسه، فإنه مقتولٌ لا محالة.

فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا ابن عقيل!

فقال مسلم رضي الله عنه: حاجتي إليك أن تسترد فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم، فتبيعه وتقضي. عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم، وأن تستوهب جثتي إذا قتلتني هذا وتواريني في التراب، وأن تكتب إلى الحسين بن علي أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي» (١).

وقال ابن عبد ربّه والباعوني:

«إنَّ حسيناً ومَن معه وهم تسعون إنساناً ما بين رجلٍ وامرأةٍ في الطريق، فارددهم واكتب لهم ما أصابني» (٢).

(١) الفتوح لابن أعثم: ٩٧ / ٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٣٧٨ / ٤، جواهر المطالب للباعوني: ٢/٢٦٨،

نفس المهموم للقمي: ١١٦.

وقال أبو الفرج:

«إِنَّ عَلِيَّ بالكوفة دَيْنًا اسْتَدْنَتْهُ مَذْقَمَتُهَا تَقْضِيهِ عَنِّي حَتَّى يَأْتِيكَ مِنْ غَلَّتِي بِالمدينة، وَجِئْتِي فَاطِلْهَا مِنْ ابْنِ زِيَادِ فَوَارِهَا، وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ مَنْ يَرِدُّهُ» (١).

وقال الشيخ المفيد والفتال:

«إِنَّ عَلِيَّ بالكوفة دَيْنًا اسْتَدْنَتْهُ مِنْذَ قَدَمَتِ الكوفة سَبْعُمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَبَعَثَ سَيْفِي وَدُرْعِي فَاقْضَاهَا عَنِّي، وَإِذَا قُتِلْتُ فَاسْتَوْهَبْ جِئْتِي مِنْ ابْنِ زِيَادِ فَوَارِهَا، وَابْعَثْ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام مَنْ يَرِدُّهُ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلَمُهُ أَنَّ النَّاسَ مَعَهُ وَلَا أَرَاهُ إِلَّا مُقْبِلًا» (٢).

وقال الشجري:

«إِنَّ الْحُسَيْنَ قَدْ أَقْبَلَ فِي سَيْفَةٍ وَتَرَّاسَةٍ، وَأُنَاسٍ مِنْ وَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِ مَنْ يَحْذَرُهُ وَيَنْذَرُهُ فَيَرْجِعُ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ خَذْلَانِ أَهْلِ الكوفة مَا قَدْ رَأَيْتُ» (٣).

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، روضة الواعظين للفتال: ١٥١، بحار الأنوار: ٤٤ /

٣٥٥.

(٣) الأمالي للشجري: ١ / ١٦٧.

وقال الطريحي والقندوزي وفي مقتل أبي مخنف المشهور - واللفظ للأول :-

«فقال له: أول وصيتي: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وأنَّ علياً وليَّ الله ووصيَّ رسوله وخليفته في أمته. وثانياً: تأخذ درعي تبيعه، وتقضي عني سبعمائة درهم استقرضتها منذ دخلت إلى مصركم هذا. وثالثاً: أن تكتب إلى سيدي الحسين يرجع ولا يأتي إلى بلدكم فيصيبه ما أصابني، فقد بلغني أنه توجه بأهله وأولاده إلى الكوفة» (١).

الوصية في نقاط:

يمكن جمع مواد الوصية في النقاط الرئيسية التالية:

- ١ - الوصية بتقوى الله، فإنَّ في التقوى الدرك لكل خير.
- ٢ - إبلاغ سيّد الشهداء (عليه السلام) بخيانة القوم وخديعتهم وغدرهم وتكذيبهم.
- ٣ - إبلاغ سيّد الشهداء (عليه السلام) بما أصاب المولى الغريب (عليه السلام).
- ٤ - قضاء دينه.

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤١٧، ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٥٨ - بتحقيق:

السيد علي أشرف، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف المشهور: ٣٦.

٥ - طلب الجثة من ابن زياد ومواراتها.

والآن نتناول كلّ واحدةٍ من النقاط المذكورة بشيءٍ من البيان المختصر:

النقطة الأولى: الوصيّة بتقوى الله

الوصيّة بتقوى الله أدبٌ دأب عليه أهل بيت النبوة ﷺ وصنائعهم المنتجبة، بيد أنّها هنا لها وقعٌ مميّز، ودلالات محدّدة، وتأثيرات فعّالة، وتلويحات نافذة، فهو يخاطب عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام المعروف المشهور بفعلته هذه منذ عهدٍ بعيد، وقد عرفه بذلك الناس أجمعون^(١)، فعليه أن يتّقى الله، وينفذ الوصيّة بحذافيرها، فهو خائنٌ غير مؤتمن عند المولى الغريب عليه السلام، ومفشٍ للسرّ، إضافةً إلى تحذيره من مغبة فعلته التي ستنتهي به إلى الدرك الأسفل من الجحيم.

ولو أضفنا إلى الوصيّة بالتقوى الشهادات الثلاثة التي ذكرها القندوزي والطريحي والموجودة في المقتل لأبي مخنف المشهور، لتبيّن لنا إتمام الحجّة البالغة على اللعين.

النقطة الثانية: إبلاغ سيّد الشهداء عليه السلام بخيانة القوم

وخديعتهم وغدرهم وتكذيبهم

تبيّن لنا من خلال دراسةٍ سابقة أنّ البطل الهاشمي وكبير آل عقيل

(١) مرّت الإشارة إلى مصادره.

«مسلماً ﷺ» لم تكن «مهمته الأساسية هي الثورة بأهل الكوفة ضد السلطة المحليّة الأمويّة فيها والتمهيد للقضاء على الحكم الأمويّ كلّهُ» (١)، ولم يكن مكلفاً بذلك من قبل سيّد الشهداء ﷺ، بإجماع المؤرّخين وما وصل إلينا من نصوصٍ أتينا على ذكرها مفصّلاً في محله..

وقد انكشف لنا - من خلال معرفتنا بصلب مهمته - مدى دقّة العالم الفقيه الأمين، وثقة سيّد شباب أهل الجنّة مسلم بن عقيل ﷺ، في أداء مهمته وتنفيذ ما شرّفه به ربحانة النبيّ ﷺ من تكاليف ومسؤوليّات.

وقد أدّى مهمته ووفى وقام بما أنيط به أحسن قيام، ولم يهن ولم ينكل، وإنّما مضى على بصيرةٍ من أمره مقتدياً بالصالحين..

وكان من مهمته أن يقيّم الوضع، وينظر حال الناس، وما هم عليه من المواقف الموالية لأبي عبد الله ﷺ، حسب ما يُظهره الناس من التودّد والاستعداد لا حسب واقع الأمور؛ لأنّه والإمام ﷺ كانا يعرفان تماماً بما ستؤول إليه عاقبة المنكوسين.

وقد أتمّ ذلك ووفى، وقام به أحسن قيام، حيث نقل الصورة التي شاهدها بعينه، وصوّر الحالة التي عاشها بنفسه، ورسم ما لمسّه فيهم من الهيجان والغليان وإظهار الاستعداد والإعلان عن نصرة سيّد

الشهداء عليهم السلام، وكتب بذلك إلى الحسين عليه السلام بعبارة واضحة صريحة دقيقة مختصرة رصينة.

وحينما خذله الناس وخذلوا إمامهم عليه السلام، ونكثوا بيعتهم، وضيّعوا حظهم.. كتب مسلم بن عقيل عليه السلام الثقة الأمين بذلك إلى سيّد الشهداء عليه السلام، وأوصل خبره من خلال الرسل أو الكتب التي كتبها.. وقد كتب عن طريق عبد الله بن يقطر^(١)، وكان الإبلاغ الثاني عن طريق ابن الأشعث - لعنه الله - بعد الأسر^(٢)، ثم كان الإبلاغ الثالث هنا عند الوصيّة.

وقد ترتّب على هذه الإبلاغات من الفوائد العظيمة والآثار الجمة الحسيمة، غير ما فيها من إقامة الحجّة وكشف المحجّة وبذل غاية المجهود واتّخاذ كلّ ما يلزم واستخدام جميع الوسائل لتنفيذ المهمة واستقراء الوضع وتبليغه لسيّد الشهداء عليه السلام، على أكمل وجه^(٣).

(١) أنظر: إِبْصَارُ الْعَيْنِ لِلْسَّمَاوِيِّ: ٩٤، مع الركب الحسيني: ٣ / ٩٠.

(٢) أنظر: الإِرشَادُ لِلْمُفِيدِ: ٢ / ٥٩، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٣، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ١٠٧، إعلام الوری للطبرسي: ١ / ٤٤٣.

(٣) أنظر للزيادة والتفصيل: «مسلم بن عقيل عليه السلام.. ثائرٌ أم سفير».

النقطة الثالثة: إبلاغ سيّد الشهداء عليه السلام بما أصاب المولى

الغريب عليه السلام

ورد هذا البند من الوصية في بعض المصادر، وهو يحمل الشكوى ويبيّن الألم لسيّده ومولاه عليه السلام، ويبلّغه بتفاصيل ما جرى عليه، ليكون دقيقاً في نقل الصورة، وشاملاً في رسم المشهد بكلّ جزئياته وملاحمه، فكلّ أمرٍ يمكن أن يكون له علاقة بتنفيذ المهمّة الموكولة، وهي استطلاع الوضع وإبلاغ الإمام سيّد الشهداء عليه السلام بمواقف الناس، فهو لا يألوا جهداً في إيصاله.

إضافةً إلى ما يتضمّنه هذا الإبلاغ من الإشارة إلى تسجيل مواقفه عليه السلام وإطلاع أهله وذويه والمترقبين لسماع أخباره عبر التاريخ.. ولا يخفى ما فيه من إقامة الحجّة على ابن سعدٍ نفسه والرسول ومَن سيستمع إليه بعد تسريب الوصية، إذ يصرّح المولى الغريب عليه السلام بخذلان القوم ونكثهم البيعة وخضوعهم لابن الأئمة الفاجرة..

النقطة الرابعة: قضاء دينه

المصادر التي ذكرت الوصية كلّها ذكرت قضاء الدّين كبنديّ من بنود الوصية، فلماذا استدان المولى الغريب عليه السلام، ولأيّ غرض؟ هل كان بحاجةٍ شخصيّة، أو كان لإنجاز عملٍ ما له علاقة بحركته في الكوفة؟ والحال أنّهم يزعمون أنّه كان يجمع المال ويقبضه عنه بعض خواصّ

أصحابه وأنصاره، كما يصوّرونه في قصة مَعْقِل (١) الجاسوس.

مَمَّن استدان؟

المصادر كلّها لم تذكر في متونها - إشارةً ولا تلويحاً - أسماء أصحاب المال الذين ينبغي أن يرده عليهم ابن سعد، والمبلغ - كما يبدو - لا يُعَدّ مبلغاً ضخماً! ولم يذكر التاريخ أيضاً ولو بالإشارة إجمالية إليهم، كأن يقول: فذكرهم له، وما شاكل.

ليس في الدّين منقصة

كيف كان! فإنّ الاستدانة والاستقراض لا تعدّ منقصة، فقد قضى الأئمّة المعصومون عليه السلام وكانت عليهم ديون وعِدات للناس، ولا يخفى ذلك على من اطلع على الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليه السلام وروايات التاريخ.

أمّا ما رُوي في الخبر عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام:

«عن أبي الجحّاف، عن أبيه، أنّ رجلاً من الأنصار أتى

الحسين عليه السلام، فقال: إنّ عليّ ديناً، فقال: لا يقاتل معي من

عليه دين» (٢).

(١) أنظر مناقشة قصّة معقل في: «مسلم بن عقيل عليه السلام .. قصّة معقل».

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٧١.

«وعن موسى بن عمير، عن أبيه قال: أمر الحسين منادياً، فنادى: لا يُقبل معنا رجلٌ عليه دين. فقال رجل: إنَّ امرأتِي ضمنت ديني، فقال حسين عليه السلام: وما ضمان امرأة؟» (١).

فإنَّها أخبار عامية السند والمصدر، ولم أقف عليها في كتبنا فضلاً عن طرقنا، بل ورد في كتبنا وطرقنا وغيرنا ما هو خلاف ذلك تماماً. فقد روي مسنداً عن معاوية بن وهب قال:

«قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّه ذكر لنا أنَّ رجلاً من الأنصار مات وعليه ديناران ديناً، فلم يصلَّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وقال: صلُّوا على أخيكم، حتَّى ضمنهما عنه بعض قراباته.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ذاك الحق. ثم قال عليه السلام: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّما فعل ذلك ليتَّعظوا، وليردَّ بعضهم على بعض، ولئلاَّ يستخفُّوا بالدين، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه دين، وقُتل أمير المؤمنين عليه السلام وعليه دين، ومات الحسن عليه السلام وعليه دين، وقُتل الحسين عليه السلام وعليه دين» (٢).

«وعن عمر بن علي بن حسين، عن أبيه قال: قُتل الحسين بن علي عليه السلام وعليه دين كثير، فباع فيها علي بن حسين عين كذا

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ١٢٣.

(٢) الفقيه للصدوق: ٣/١٨٢، الكافي للكليني: ٥/٩٣، التهذيب للطوسي: ٦/١٨٤.

وعين كذا» (١).

«وروي عن جعفر بن محمد ؑ أنه قال: «أصيب الحسين ؑ

وعليه دين بضْع وسبعون ألف دينار» (٢).

«وعن أبي جعفر ؑ: إنَّ الحسين ؑ قُتِل وعليه دين، وإنَّ عليَّ

ابن الحسين زين العابدين ؑ باع ضيعةً له بثلاثمائة ألف ليقضي

دين الحسين ؑ وعدات كانت عليه» (٣).

وقال ياقوت الحموي:

«عين يحنس كانت للحسين بن علي بن أبي طالب ؑ،

استبطنها له غلامٌ يقال له: "يحنس"، باعها عليُّ بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب ؑ، من الوليد بن عتبة بن أبي

سفيان بسبعين ألف دينار، قضى بها دين أبيه، وكان

الحسين ؑ قُتِل وعليه دينٌ هذا مقداره» (٤).

«وروي أنَّ جابراً قال: استشهد والدي بين يدي رسول

الله ﷺ يوم أحد وهو ابن مائتي سنة، وكان عليه دين، فلقيني

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣ / ١٢٣.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ٢٦٩.

(٣) كشف المحجة لابن طاووس: ١٢٥، بحار الأنوار: ٤٣ / ٣٢١.

(٤) معجم البلدان لياقوت: ٣ / ٧٦٤.

رسول الله ﷺ يوماً فقال: ما فعل دين أبيك؟ قلت: على حاله. فقال: لمن هو؟ قلت: لفلان اليهودي. قال: متى حينه؟ قلت: وقت جفاف التمر. قال: إذا جففت التمر فلا تحدث فيه حتى تعلمني، واجعل كل صنف من التمر على حدة.

ففعلت ذلك، وأخبرته ﷺ، فصار معي إلى التمر وأخذ من كل صنف قبضة بيده وردّها فيه، ثم قال: هات اليهودي. فدعوته، فقال له رسول الله ﷺ: اختر من هذا التمر أي صنف شئت، فخذ دينك منه. فقال اليهودي: وأي مقدار لهذا التمر كله حتى آخذ صنفاً منه؟ ولعلّ كله لا يفي بديني! فقال: اختر أي صنف شئت فابتدئ به.

فأومأ إلى صنف الصيحاني، فقال: أبتدئ به؟ فقال: افعل باسم الله.

فلم يزل يكيل منه حتى استوفى منه دينه كله، والصنف على حاله ما نقص منه شيء.

ثم قال ﷺ: يا جابر، هل بقي لأحد عليك شيء من دينه؟ قلت: لا. قال: فاحمل تمرك، بارك الله لك فيه.

فحملته إلى منزلي، وكفانا السنة كلها، فكنا نبيع لنفقتنا ومؤونتنا ونأكل منه، ونهب منه ونهدي، إلى وقت التمر

الحديث، والتمر على حاله إلى أن جاءنا الحديث (١)
[المجديد]» (٢).

والأحاديث والأخبار في ذلك كثيرة، ولا نريد الإطالة هنا في مناقشة
ما رواه العامة عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

مقدار الدين!

عرفنا فيما سبق أنّ جملةً من المؤرخين والعلماء لم يذكروا الوصية
من رأس، وأنّ الذين ذكروها اختلفوا في ذكر الدين في بنودها بين من لم
يذكره أصلاً، من قبيل ابن قتيبة وابن عبد ربّه والباعوني والشجري
والبري (٣).

وبين من ذكره إجمالاً ولم يحدّد مقداره: «وعليّ دين منذ قدمت
الكوفة، فاقضه عني»، من قبيل ابن سعد والذهبي وأبي الفرج وابن
نما (٤).

(١) الخرائج للراوندي: ١ / ١٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٨ / ٣١.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨،
جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨، أمالي الشجري: ١ / ١٦٧، الجوهرة للبري:
٤٣.

(٤) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام
←

وبين من حدّده بسبعمائة درهم، من قبيل البلاذري والطبري وابن
أعثم والمفيد والفتال والخوارزمي وابن الأثير والنويري والطريحي (١).
وفي الأخبار الطوال للدينوري، والمقتل المشهور لأبي مخنف:
«مقدار ألف درهم» (٢).

قضاء الدين من أي مال؟

جاء بند قضاء الدين في جملة من المصادر مطلقاً من دون تحديد
لمصدر المال الذي سيُقضى منه الدين: «فاقضه عني» (٣).

للذهبي: ٢ / ٢٦٩، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، مقاتل الطالبين لأبي
الفرج: ٧٠، مشير الأحزان لابن نما: ١٧.

(١) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، أنساب الأشراف: ٢ / ٨١، تاريخ
الطبري: ٥ / ٣٧٥، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩،
روضة الواعظين للفتال: ١٥١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١، الكامل
لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢، المنتخب للطريحي:
٢ / ٤٢٧.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦.

(٣) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات: ٦٦، جمل من أنساب الأشراف
للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١، تاريخ الطبري: ٥ /
٣٧٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، مشير الأحزان لابن نما: ١٧،
نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، البداية
←

وجاء في مصادر أخرى بلفظٍ يفيد توفير المال من بيع الفرس
والسلاح والدرع:

«تستردّ فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم، فتبيعه وتقضي-

عني»^(١)، «فبع فرسي ودرعي، فاقضها عني»^(٢)، «تبيعون

درعي هذا وتوفون عني»^(٣).

وفي نقل أبي الفرج:

«تقضيه عني حتّى يأتيك من غلّتي بالمدينة»^(٤).

ومن البديهي أنّ المولى الغريب عليه السلام لم يكن محتاجاً لابن سعد ولا
غيره، والدّين في الكوفة لم يكن نتيجة الحاجة والفقر - والعياذ بالله -،
تماماً كما كان يستدين أهل البيت عليه السلام لا عن فقرو عوز، والمولى
الغريب عليه السلام أنبل وأعزّ وأجلّ وأكرم، والإباء الهاشمي الساري في دمه
وعروقه، والشمم الطالبيّ المتجدّر في شخصه وشعوره، تأبى له أن يطلب
من أحدٍ من الناس - فضلاً عن اللعين ابن سعد - مالاً، وهذا الطلب

والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، روضة الواعظين للفتّال: ١٥١، بحار الأنوار:

٤٤ / ٣٥٥، العوالم للبحراني: ١٧ / ٢٠٤.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦.

(٤) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

يختلف تماماً عن أصل الوصيّة، وفي حال دفع المولى الغريب عليه السلام الدين من ماله بأيّ طريق لا يكون ابن سعد سوى منفذاً للوصيّة، ليس إلّا. فلا يبعد أن يكون هذا الأمر والتكليف صدر من المولى الغريب عليه السلام لابن سعد باعتبار ما لديه من النفوذ عند الناس والحظوة عند ابن الأئمة الفاجرة، ممّا يؤهّله لاستعادة سلاحه وفرسه الذي يفي بدينه، وهو يتضمّن التشنيع عليهم والمطالبة بحقه، إذ لا يرى لهم حقّاً في سلبه والاستحواذ على أمواله الشخصية من فرسٍ وسلاح.

كيف كان! فإنّ المولى الطالبيّ الأبّي أمر بتسديد الدين من ماله، إمّا بالاسترداد أو بالغلّة القادمة من المدينة على رواية أبي الفرج.

النقطة الخامسة: طلب الجنّة من ابن زياد ومواراتها

نصّ على هذا البند من الوصيّة كلّ من ابن سعد والذهبيّ والبلاذري والدينوري والطبري وابن أعثم وأبي الفرج والشيخ المفيد، ولم يذكره ابن قتيبة وابن عبد ربّه والباعوني والشجري والطريحي والقندوزي. وقد صرح الدينوري في نقله لكلام المولى الغريب عليه السلام عن سبب ذلك فقال:

«وإذا أنا قُتلت فاستوهب من ابن زياد جثتي لئلا يمثّل بها».

وفي ذلك إشارة واضحة من المولى الغريب عليه السلام إلى علمه بنذالة ابن الأئمة الفاجرة وبما سيجري على جثته المقدّسة، وإلاّ فمن يقتل

يدفن ولا يحتاج إلى وصية تؤكّد على دفن جثته.

النقطة السادسة: الشهادة الثالثة

ذكر الطريحي والقندوزي وأبي مخنف في مقتل المشهور وهم ينقلون نصّ وصية المولى عليه السلام أنّه قال:

«أول وصيتي: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّ عليّاً وليّ الله ووصيّ رسوله وخليفته في أمّته»..

ولا يبعد بعد المتابعة أن يكون المصدر الأول لهذا النقل هو مقتل لأبي مخنف النسخة المشهورة المتداولة، فالقندوزي يصرّح أنّه يروي ذلك عن أبي مخنف ^(١)، واتّحاد النصّ ودأب الشيخ الطريحي على النقل عن النسخة الشائعة لأبي مخنف يؤكّدان أنّه المصدر له، فيكون مقتل المشهور هو المصدر الأول لذكر الشهادة الثالثة.

(١) قال القندوزي: «الباب الحادي والستون: في إيراد ما في الكتاب المسمّى بمقتل أبي مخنف الذي ذكر فيه شهادة الحسين وأصحابه مفصّلاً، وقال: ...»، ثمّ يبدأ بسرد مقتل، وقد وجدنا - عند تحقيق كتاب «ينابيع المودة» - أنّ نسخته لا تتطابق كاملاً مع النسخة المشهورة ولانسخة الطبري، بيد أنّ تقارب النصّ نسبياً يؤكّد أنّ نسخة الينابيع مختصرة عن النسخة الشائعة، والله العالم.

ومع إثبات صدورها عنه عليه السلام تكون سابقة تاريخية^(١) كتسجيل لسيرة المتسرعة والتزام المؤمنين بالشهادة الثالثة ومقارنتها للشهادتين والتصريح بها والإعلان عنها في الوصية وغيرها.

كما يستفاد من إصهار المولى عليه السلام بها علناً أمام هذا الوغد الدنيء ابن سعد وسيده وراعيه ابن زياد، ليقيم الحجة عليهم بإسماعهم - ومن بلغ - الحق ودحض الباطل، وردم السقيفة على من فيها بقوله:

«وَأَنْ عَلِيّاً وَلِيَ اللَّهُ وَوَصَّى رَسُولُهُ وَخَلِيفَتُهُ فِي أُمَّتِهِ».

النقطة السابعة: عدد من خرج مع الحسين عليه السلام

ذكر ابن قتيبة ضمن الوصية قولاً للمولى الغريب عليه السلام يصرح فيه بعدد القادمين مع سيد الشهداء عليه السلام، فقال:

«إِنَّ الْحُسَيْنَ وَمَنْ مَعَهُ وَهُمْ تَسْعُونَ (إنساناً)^(٢) بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ فِي الطَّرِيقِ، فَارْدُدْهُمْ»...^(٣).

ثم جاء من بعده ابن عبد ربّه والباعوني فذكروا نصّ عبارته تقريباً.

(١) أقول: سابقة تاريخية، أما روائياً وعقائدياً فثبت ذلك صار من الضروريات والبدهيّات عند المؤمنين، زاد الله نورهم وإيمانهم.

(٢) الزيادة بين القوسين في «العقد الفريد» و«جواهر المطالب» و«نفس المهموم».

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨،

جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨، نفس المهموم للقمي: ١١٦.

وقال البري:

«فإني تركته ومن معه وهم تسعون إنساناً على الخروج من

مكة، وإتاهم الآن في الطريق» (١).

وأجل الشجري فلم ينص على عددٍ معيّن، فقال:

«إنّ الحسين قد أقبل في سيّافه وتزاسه وأناسٍ من ولده وأهل

بيته» (٢).

ولم ترد الإشارة للعدد في بقيّة المصادر - حسب فحصنا - لا إجمالاً

ولا تفصيلاً، ويمكن مناقشة ذلك بالمناقشات التالية:

المناقشة الأولى: ما هي الضرورة لذكر العدد؟

غاية ما كان يهتمّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام أن يوصل إلى

سيد الشهداء عليه السلام الصورة التي آلت إليها عاقبة المنكوسين في الكوفة،

إذ إنّّه كان مكلفاً بهذه المهمّة من قبل سيد الشهداء عليه السلام، ويكفي في

ذلك أن يبلغه بمجريات الأحداث وخذلان الأعداء، فأيّ ضرورة تدعو

لكشف عدد القادمين - رجالاً ونساءً - للأعداء؟! وماذا سيترتب على

هذا الكشف من فوائد لسيد الشهداء عليه السلام أو للمولى الغريب

(١) الجوهرة للبري: ٤٣.

(٢) الأمالي للشجري: ١ / ١٦٧.

مسلم عليه السلام، وهل أنّ هذا العدد القليل من السيّافة والتراسة القادم سيؤثر على الجرو الأمويّ أو سيّده القرد القابع في الشام؟!

المنافشة الثانية: العدد أكبر من ذلك

ثمّ إنّ العدد المذكور على لسان المولى الغريب عليه السلام لا يتجاوز التسعين إنساناً رجلاً ونساءً، وقد عدّ الشيخ الحائري في «معالي السبطين» الذين خرجوا مع سيّد الشهداء عليه السلام من المدينة فأنهاتهم إلى مائةٍ واثنين وعشرين، ثمّ قال:

«فهؤلاء الذين ذكرناهم غير أولئك الذين صحبوا الحسين عليه السلام

بمكة من الرجال والنساء حين إقامته هناك» (١).

واحتمال أن يكون العدد الخارج في الركب الحسينيّ من المدينة أكبر ممّا ذكره الشيخ الحائري رحمته الله قريبٌ جداً لو تسنّى للباحث أن يحصيهم ويعدّهم عدّاً دقيقاً.

وكيف كان، فإنّ العدد الأقلّ في الإحصائيات لمن خرج بهم سيّد الشهداء عليه السلام من المدينة أكبر من العدد المزعوم الذي يفترضهم قد خرجوا معه من مكة.

(١) معالي السبطين للحائري: ٢ / ٢٣٧.

المناقشة الثالثة: فإنّي تركته ومن معه!

قوله: «فإنّي تركته ومن معه ... على الخروج من مكّة...»، والحال أنّ مسلم لم يتركه على الخروج! بل كان خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة يوم شهادة مسلم عليه السلام أو قبلها بيوم، فهو لم يقل أنّي أرسلتُ له كتاباً أدعوه فيه للقدوم، وقد وصل إليه الكتاب فربما استجاب وهو على الخروج الآن، وإنما يقول حسب النصّ: «فإنّي تركته ... على الخروج من مكّة».

المناقشة الرابعة: كيفية خروج الحسين عليه السلام!

مشهد خروج الإمام الحسين عليه السلام من المفاصل الضرورية في دراسة قيام سيّد الشهداء عليه السلام، ويمكن من خلال معرفتها بشكلٍ دقيق تمييز الكثير من التصورات والانعكاسات المهمة والمؤثرة في فهم القيام، بيد أنّ دراسة ذلك لا يسعها هذا البحث، ويمكن أن نقول هنا بكلمة واحدة:

إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج من المدينة بسيّافه ولا ترأسه، وإنّما خرج من المدينة خائفاً يترقب في أهل بيته، وقد أمر القرد الأمويّ التائه في قصر دمشق واليه على المدينة بأخذ البيعة من سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام أو إرسال رأسه المقدّس مع جواب الكتاب، فبات الإمام عليه السلام في مدينة جدّه مهدّداً، مُباح الدم، مطلوباً للقتل، ومعرّضاً في كلّ آنٍ لأنّ تُهتَكَ به حرمة المدينة المنورة، فخرج - فداه العالمين - متوجّهاً إلى

مكة، ولم يبد على حركته عليه السلام من المدينة أنه عازمٌ على القيام أو ما يسمونه بـ«الثورة»، ولم يصرح أيّ تصريح يفيد ذلك.. وغاية ما فعله ثمة أنه تقبّض عن البيعة، ثم شكى لجده النبي صلى الله عليه وآله أن القوم استضعفوه وخذلوه وضيّعوه، كما في الفتوح لابن أعثم.

وكذلك الأمر في خروجه من مكة، حيث أبيع دمه، ودُبر اغتياله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فخرج منها متوجّهاً إلى الكوفة، حيث كانت ثمة بعض الأصوات الواعدة بالنصر والدفاع عنه وفق ما ورد عليه من كتبهم ورسلمهم، وهو عالمٌ جازمٌ متيقنٌ تماماً وعدّ الله وأنه مقتول، فأصرح لمن معه وللعالمين بما قاله في البيان العظيم يوم قام فخطب وقال:

«خُطّ الموت على ولد آدم...»، إلى قوله عليه السلام: «فمن لحق بي

استشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح».

ولم ينقل لنا التاريخ أن ركب سيّد الشهداء عليه السلام كان ركب حربٍ وقتال وهجومٍ مدججٍ بالسلاح ومثقل بالحديد والرماح، بل كان صورته في المنطلقين «المدينة ومكة» على العكس من ذلك تماماً، فهو مجموعة من النساء والأطفال وعدد من الشبان والفتيان من ذوي الأعمار التي لا تبلغ مرحلة الشباب أحياناً، من أمثال القاسم بن الحسن وأترابه من أولاد عقيل وأحفاده عليهم السلام، وأكثرهم كان ممن لم يباشروا يوم الحسين عليه السلام قتالاً ولا مارس حرباً، رغم أنهم أبهروا العقول وأذهلوا

التاريخ وأبدوا مهارات قتالية عالية لم يعهد صناديد عسكر السقيفة - ولا غيرهم - لها مثيلاً، لكن بالرغم من ذلك فإنّ يوم الطفّ لم يكن هؤلاء الأبطال معروفين كرجال حربٍ بين الناس، فهم بين شابّ فتى وبين فتى لم يبلغ الحلم أو أنّه راهق، فالركب في ظاهر الحال لم يكن ركباً عسكرياً إلّا في بعض رجاله، من قبيل نفس الإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام.

وحمل مقدارٍ من السلاح يحمي به المسافر نفسه ومن معه كان من ضروريّات السفر يومئذٍ، فلا يُعدّ المسافر الحامل للسيف أو الرمح أو كنانة النبل والقوس محارباً، وإنّما هي طبيعة الحركة في صحراء قاحلة معرضة للسلب والنهب والتبييت.

ومن الواضح أنّ العدد الكبير من النسوة والأطفال الذي ربما كان يربو كثيراً على عدد الرجال الكبار، وقد خرج هؤلاء النسوة في كفالة من معهنّ من الرجال، فلا بدّ أن يحملوا السلاح لحماية الركب رجالاً ونساءً وشبّاناً وأطفالاً.

هذا، والركب ليس ركباً عادياً يقطع الصحراء ليصل إلى مدينةٍ ما، بل هو ركبٌ مهتدّد قد خرج من المدينة والوالي مأموراً بقتل سيدهم وإمامهم، وخرج من مكّة بعد أن بيّتوا قتله واغتياله، وأزلام القرد الأمويّ ينتهزون منه الغرّة، ولا زالت كلاب السقيفة تعوي وتنتشر في كلّ منزلٍ

وماءٍ وقرية ومدينة، بل إنَّ ذئاب الغابة الأموية كانت تجوب الصحراء. فمن الطبيعي إذن أن يحمل الركب معه مقداراً من السلاح ليحمي نفسه ومن معه، وهذا المقدار من السلاح لا يعبر عنه: «بالسيّافة والتراسة»، لما في هذا التعبير من إيقاع حربيٍّ وجرس تحذيريٍّ، وهو مُشعرٌ بالإعداد والتسربل بالسلاح، وكأنّهم جيشٌ يُقلق الصحراء باصطكاك عدّته وصهيل خيالاته ورجّالته.

وهل يُعدّ التسعون إنساناً رجالاً ونساءً أ جيشاً قد خرج بالسيّافة والتراسة؟!!

هذا باختصار ربما يكون مخلاً، غير أنّه كافٍ هنا لما نحن فيه، إذ يكشف لنا أنّ حركة سيّد الشهداء عليه السلام من مكّة لم تكن في صورة جيش وعسكر قادم على حرب وقتال، ولم يبدُ عليها أنّها كانت حركةً هجوميةً، وربما كان هذا التصوير كلّهُ من أضاليل الأمويين (١).

ندالة ابن سعد وإفشائه السرّ

استعرضنا قبل قليل تحت عنوان «هل كانت الوصية سرّاً» أقوال المؤرّخين، وربما يرجح للمتأمل أنّ الوصية لم تكن سرّاً من قبل المولى

(١) قد أتينا على بيان ذلك في كتاب يبحث مفصلاً ظروف خروج سيّد الشهداء عليه السلام من المدينة (مخطوط).

الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، إلا على ما صرح به الطبري، فربما كان للعدو غرض في عرض الوصية كسر ليوحي إلى الناس أن ثمة أموراً كانت تحدث في الخفاء، وأن ثمة دسائس تُحاك، وأن أموراً عظيمة خفيت على الناس وانكشفت للوغد القابع في قصر الخبال، فسوّغت له قلقه وإقدامه على جريمة قتل البطل الهاشمي عليه السلام.

فتحويل الأمر، واستجاشة القوم بالغوامض، وإثارة هواجسهم بالأسرار، وتحريك مخاوفهم بالألغاز، وإرعابهم بما يخفى لهم المستقبل القريب القادم مع ركب الشهادة الحسيني، كلّ هذا وغيره من الأغراض المهمة التي يوظفها الجرو الأموي في الحرب النفسية والتعبئة للأيام القادمة، وتسويق التجيش والفروض الاحترازية التي ينوي الإقدام عليها، بما فيها قتل المولى الغريب عليه السلام والطيبين من شيعة سيد الشهداء عليه السلام والمناصرين لمسلم بن عقيل عليه السلام آنئذٍ.

* * * * *

كيف كان! فإن جملة من المصادر اعتبرت الوصية سرّاً من قبل الأوغاد، وبناءً عليه فإن جرد شجرة القروذ الأموية القذر قد أفشاه مع تأكيده على سرّيته، وقد انقسمت المصادر كالعادة، فمنها من جعلته هو المبادر، ومنها ما جعلته مستجيباً لأمر الجرو الأموي ابن زياد.

الإفشاء بعد طلب من ابن زياد

قال ابن سعد وتبعه الذهبي:

«فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ فأخبره بما قال...» (١).

وهو يفيد أنّ ابن زياد هو الذي بادر وحثّ على الإفشاء، وكأنّه كان ينتظر انتهاء اللقاء بين المولى الغريب عليه السلام وابن سعد ليطلع على ما قاله وما أوصى به.

مبادرة ابن سعد

جاءت مبادرة ابن سعد في المصادر بصورتين:

الصورة الأولى: بإلقاء الخبر مباشرة

ورد في جملة من المصادر أنّ عمر بن سعد لم يستأذن ولم ينتظر موقفاً من ابن زياد، وإنّما بادر بدنائه وخسّته ولؤمه إلى إلقاء الخبر مباشرة، وإفشاء السرّ فوراً، وكأنّه جاسوس مخوّل وعين مكلف بمهمّة يلزمه أن يقدّم عنها تقريراً فور الحصول على أيّ معلومة، فهو مستعجل في أداء الواجب.

وقد اختلفت عبارات المؤرخين في التعبير عن هذه المبادرة الهابطة،

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام

غير أنّها اتّفقت على أنّ ابن سعد هو المبادر:

قال البلاذري وابن نما:

«فقالوا: فأخبر عمر بن سعد ابن زياد بما قال له» (١).

وقال الدينوري:

«فانصرف إلى ابن زياد، فأخبره بكلّ ما أوصى به إليه

مسلم» (٢).

قال ابن أعثم والخوارزمي وابن الأثير - واللفظ للأول :-

«فالتفت عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد، فقال: أيها

الأمير! إنه يقول كذا وكذا» (٣).

وقال ابن كثير:

«فقام عمر، فعرض على ابن زياد ما قال له» (٤).

وفي مقتل أبي مخنف المشهور:

«ثمّ التفت إلى ابن زياد - لعنه الله - وأخبره بما أوصاه» (٥).

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، مثير الأحزان لابن نما: ١٧.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١، الكامل

لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نفّس المهموم للقمي: ١١٥.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

(٥) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦.

الصورة الثانية: الإلقاء بعد الاستئذان

هنا أيضاً العبارات متقاربة، وهي تحكي قصةً واحدةً مؤداها أن
الرجس الزنيم ابن سعد سأل ابن زياد عما إذا كان يريد سماع الوصية.
قالوا:

«وألقاه عمر لعبيد الله وقال: أتدري ما قال؟» (١).

«فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟» (٢) «إِنَّه ذكر كذا
وكذا» (٣).

«فلما انصرف عنه عمر بن سعد قال لابن زياد: أتدري ما قال
لي مسلم؟» (٤).

«فقال عمر لابن زياد: أتدري ما سارني؟» (٥).

وصيغة السؤال هنا إما أن تكون استئذاناً للإفشاء، باعتبار خسة
ابن سعد ودناءته وتعلقه البارد لمولاه.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨،
نفس المهموم للقمي: ١١٦، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٥،
روضة الواعظين للفتال: ١٥١.

(٤) الجوهرة للبري: ٤٣.

(٥) نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢.

أو إته استثارة وتهويل وتحريض واستجاشة للجرو الأمويّ، وتحريش
يفضي إلى الإقناع بضرورة الاستعداد للحرب القادمة، ويؤكد قول ابن
سعد:

«قال: هو أعظم من ذلك».

* * * * *

تبين من خلال استعراض النصوص أنّ ابن سعد وحده أكّد على
أنّ المبادر كان ابن زياد، وباقي النصوص جميعاً تؤكد أنّ المبادر هو
الدعي المتوّب لقتال سيّد الشهداء عليه السلام ابن سعد.

وقد جمع الشجريّ بين الحالتين، فجاءت عبارته مرتبكة، قال:
«فقال له عبيد الله: ما قال لك هذا؟ قال: قال لي: كذا وكذا.
وجاء عبيد الله، فأخبره الخبر، فقال عبيد الله: إته لا يخون
الأمين، ولكنّه قد يؤمن الخائن» (١).

ففي المقطع الأوّل من عبارته يذكر أنّ ابن زياد بادر فسأله، وفي
المقطع الثاني يقول: جاء عبيد الله فأخبره الخبر، والتفريع في «فأخبره»
على المجيء يفيد مبادرة ابن سعد.

وبالرغم من تفرّد ابن سعد فإنّ عبارته لا تفيد الجزم، إذ يمكن أن
يكون «ما قال لك» التي قالها ابن زياد بعد تدقّق عفن ابن سعد في

(١) الأملّي للشجري: ١ / ١٦٧.

الإفشاء كما هو في سائر المصادر الأخرى، بيد أنّها اختصرت أو حذفت عند ابن سعد.

موقف ابن زياد من الإفشاء

قال ابن قتيبة:

«قالوا: فقال عبيد الله: اكنم على ابن عمك. فقال عمر: هو أعظم من ذلك. فقال ابن زياد: فأَيُّ شيء هو؟ قال: أخبرني أنّ الحسين»... (١).

«قال: اكنم على ابن عمك. قال: هو أعظم من ذلك. قال: وما هو؟ قال: قال لي: إنّ حسيناً أقبل».. (٢).

وقال أبو الفرج:

«اكنم ما قال لك. قال: أتدري ما قال لي؟ قال: هات، فإنّه لا يخون الأمين ولا يؤتمن الخائن. قال: كذا وكذا» (٣).

وقال البري:

«فلما انصرف عنه عمر بن سعد قال لابن زياد: أتدري ما قال

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباغوني: ٢ / ٢٦٨، نفس المهموم للقمي: ١١٦.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

لي مسلم؟ قال: اكنتم على ابن عمك. قال: الأمر أعظم من ذلك. قال: اكنتم على ابن عمك. قال: الأمر أعظم من ذلك. قال: اكنتم على ابن عمك. فلما أكثر على ابن زياد فيما قال له مسلم، قال له: قل.. (١).

وقال النويري:

«فقال عمر لابن زياد: أتدري ما سارني؟ فقال: اكنتم على ابن عمك. فقال: الأمر أكبر من هذا. قال: اكنتم على ابن عمك. قال: الأمر أكبر من هذا. وأخبره بما قال» (٢).

وقال الدينوري:

«فقال له ابن زياد: قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك، وقد قيل: إنه لا يخونك، إلا الأمين، وربما اتئمتك الخائن» (٣).

وقال الطبري وجماعة:

«قال له ابن زياد: إنه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن» (٤).

(١) الجوهرة للبري: ٤٣.

(٢) نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، مقتل الحسين عليه السلام ←

وفي المقتل المشهور لأبي مخنف:

«فقال ابن زياد - لعنه الله -: قبحك الله من مستودع سرّاً،

والله لو إتيته باح إليّ سرّه لكتمتُ عليه وقضيتُ حاجته» (١).

يمكن ملاحظة عدّة إشارات وردت في هذه النصوص:

الإشارة الأولى: تملّق ابن سعد وتوثّبه

ذكرت بعض المصادر - وأقدمها الإمامة والسياسة لابن قتيبة - أنّ ابن سعد عرض على الجرو الأمويّ الاستماع إلى الوصية، وكأنّه قد اكتشف سرّاً عظيماً واستخرج كنزاً ثميناً يعادل في أقلّ تقاديره حياة الجرو اليزيديّ، ويحتوي على أسرار القضاء على القرد الأمويّ، واستئصال الشجرة الخبيثة الملعونة، وتفريق القرد المترخّة على أغصانها.

وليس في وصية المولى الغريب عليه السلام ممّا يابّه له ابن زياد سوى قضية الإخبار بخروج سيّد الشهداء عليه السلام من مكّة، أمّا باقي البنود فهي وصايا شخصيّة لا تهّم ابن زياد من قريبٍ ولا من بعيد، بل لقد تظاهر بعدم اكتراثه بالبند الخاصّ بخروج سيّد الشهداء عليه السلام كما سيأتي بعد

للخوارزمي: ١ / ٢١١، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٥، روضة الواعظين

للفثال: ١٥١، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٢٠،

نفس المهموم للقمي: ١١٥.

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦.

قليل إن شاء الله.

بيد أنّ الوحش الكاسر ابن سعد كان يريد أن يسجّل موقفاً يُثبِت به يداً عند ابن الأمة الفاجرة، ويصحر بالولاء المطلق والاهتمام الحاسم الجادّ في شأنٍ من الشؤون الحسّاسة المؤثّرة في مجريات الأحداث. ونسي أو تناسى الوحش المسعور من أجل تحقيق أغراضه أنّ قصّة خروج سيّد الشهداء عليه السلام من المدينة وعزمه على التوجّه إلى الكوفة باتت من أكثر الأخبار شيوعاً في الكوفة، وقد تداولتها المخدّرات في خدورهنّ، وكاتب أهلها سيّد الشهداء عليه السلام ودعوه دعواتٍ متتالية متوالية، ولم يهزّ الكوفة ويزلزلها آنذٍ إلّا هذا الخبر الذي قدم من أجله المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة حتّى أدخل إلى القصر وأوصى لابن سعد.

فما معنى هذا التهويل والتعظيم لخبرٍ لا يكاد يخفى على أحد يومذاك؟!؟

الإشارة الثانية: تنكّر الطاغية للأخلاق

إنّ ابن زياد الطاغية النزق الأرعن لا يعرف القيم ولا يحترم شرعة ولا يلتزم منهاجاً، فهو أبعد ما يكون حتّى عن أبسط القيم الجاهليّة الخرقاء، فضلاً عن القيم الإنسانيّة أو الموازين الإسلاميّة.

وقد ثبت ذلك كأوضح ما يكون في سلوكياته وتعامله من قبل،

وبان بما لا يحتاج إلى شاهدٍ وبرهان خلال تعامله مع قيام سيّد الشهداء عليه السلام.

فلا يمكن أن يُتصوّر فيه إصراره على الكتمان وإعراضه عن سماع السّروابن سعد يؤكّد له أنّ الأمر أعظم من ذلك، للأسباب التالية:

السبب الأوّل: بناؤه الشخصي

هذا ما أشرنا إليه قبل قليل، إذ أنّ دعياً تنعقد نطفته من سيول مياه الزناة ويكتنفه رحمٌ شهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه لأمةٍ فاجرة، وهو يتوارث هذه النطفة القذرة من أبيه ابن سميّة صاحبة الراية حتّى تنازع فيه الزناة، فلصقه معاوية - وهو ابن هند - بأبي سفيان، وكان ولا زال لم يُعرَف له أب، فدُعي: «زياد ابن أبيه».

لقد شبّ وكبر في مستنقع آسن يزكم الأنوف، ورعى في دمن القرود الأمويّة الفاجرة الخليعة، متقلّباً بين أحضان المومسات الرخيصات، يرضع منهنّ صديد الخيانة ويرتوي من قيء القرود الثملة مسكرات الدسائس والغوائل والتنكّر للحقّ وأهله.

كيف يكون مثل هذا النبات المشوّه المسوخ الغاطس في أوحال الدناءة والخسّة واللؤم، والمتشبّث بلزوجة قاع النسب الخامل اللثيم، والمرتكس في مزابل الخلق الذميم، والمغروز في خمائر المكرواحيلة والغشّ والاحتيال، كيف يكون مثل هذا متمسكاً بالأمانة، ومؤكّداً على رعايتها،

ومعرضاً عن الخيانة وخائفاً من عواقبها، حتّى لا يرضى لابن سعد أن يفشي سرّ ابن عمّه! ويشيح بوجهه القبيح عنه ثلاث مرّات! ولا يقبل منه الخيانة إلّا بعد إصرار!؛

السبب الثاني: ضرورة الموقف

إنّ ابن الأمة الفاجرة كان في موقفٍ حرج، وقد سارت مجريات الأحداث بشكلٍ جعلته خائفاً مرتبكاً لا يدري ماذا يخبّؤه القدر من مواجهة تعقب شهادة المولى الغريب عليه السلام إن قتله، فهو في أمس الحاجة لاستطلاع أيّ خبرٍ يمكن أن يعينه على مستقبل أئامه، بل الساعات القليلة القادمة من يومه.

فكيف يُغضي عن خبرٍ ربما يؤدي تجاهله بحياته وحياة القرد الشاميّ المجذور، ويأتي على جذور الشجرة الملعونة فيجثّها ويظهر المنبر النبويّ من نزوها؟!؛

السبب الثالث: ممارسته التجسس

كان ابن زيادٍ في مواجهةٍ حقيقيّةٍ مع المولى الغريب وسيّد الشهداء عليه السلام، وهو يترصدّ كلّ شاردةٍ وواردةٍ يمكن أن يوظّفها في تسريع القضاء على خامس أصحاب الكساء عليهم السلام، وقد بثّ - كما يقولون - جواسيس وعيوناً، ونظم الصحراء بالخيّل والرجال، وزرع في كلّ مناطق

الكوفة ما يستكشف به واقعها المتحرّك في الشوارع والأزقة أو المكنون خلف جدران الدور وأسوار الضياع.

فهو قد مارس التجسس، وقد شهد له التاريخ بذلك، والتجسس واستجماع المعلومات بأيّ طريقٍ كان من ضرورات الحروب سابقاً ولاحقاً، فكيف يأنف عن إفشاء السّر وهو يدفع لاستكشاف الأسرار المال والرجال؟!

الإشارة الثالثة: رياء الطواغيت

للطواغيت سلوكيات خاصّة، فربما تظاهروا في تصرّفاتهم بسلوكٍ لا يابّهون به ولا يقيمون له وزناً، إمّا لموقفٍ سياسيٍّ أو لمكاسب اجتماعيّة أو مراعاة مصالح شخصيّة أو حكوميّة، وغير ذلك من الدواعي.

وربما تعمّد الطاغوت سلوكاً معيّناً ليكون طُعماً يلقمه الراوي والمؤرّخ، فيرويه عنه ويسجّل له فضيلةً ومنقبةً وسلوكاً حسناً، ويتبجح بمستوى رفيع من التحليّ بالمحاسن والمكرّمات، وهذا الرياء ينطوي على البسطاء السذج، ويتلقّفه المصلحيّون والوصوليّون والمتملّقون والنفعيّون، ويعتقد به أصحاب القلوب المريضة والمطعونون.

لذا ترى الطاغية يحسب له ألف حساب، وقد رأينا ذلك جليّاً في سلوك إفراوات السقيفة من الحكّام، إذ التزموا الصلاة والصيام، وتظاهروا

بالنسك والعبادة والتهجد والقيام، وهم بعد لحظاتٍ تضجّ لياليهم بالمزامير والقيان وتبادل كؤوس المدام، وكم من موقفٍ تحلّم فيه وهو يتميز حقداً وغيضاً ليسجل له عبر روايات المؤرخين، ثم يبادر إلى دسائس كوامنه وضغائنه وأحقاده فيقتل أو يغتال.

فلا يبعد أن يكون تصرف ابن الأمة الفاجرة في هذا الموقف من هذا القبيل، إذ أنه واثق من حصوله على المعلومة التي تغلي في صدر ابن سعد الحقود، وهو عبد قنّ حقير سافل بين يديه، فلماذا لا يسجل له موقفاً في مثل هذا الظرف الحساس ليبدو في صورة ممّوهة للتاريخ باعتباره رجلاً لا يحبّ الخيانة وإفشاء السر؟!

الإشارة الرابعة: تحقير ابن سعد

ربما كشفت هذه المحاورّة بين الجرو الأمويّ وذيله عن نوع من الحرب النفسيّة والمغالبة والتكالب ومحاولات ثني السواعد وكسر العظام بينهما.

فمن جهةٍ يحاول ابن سعد من خلال التهويل والترميز أن يوحى إلى ابن زياد أنه يحتفظ بأسرار مهمّة تمكّنه من التسلّط على موقع ابن زياد، وتعرّض وجوده وكيانه للخطر.

ومن الجهة الأخرى يحاول ابن زياد احتقار ابن سعد والازدراء به وبمحتوياته والاستهانة بموقعه وأسراره ومعلوماته، فهو يعرض عنها ثلاث

مرّات تأكيداً على عدم الاحتفاء به وبأسراره، وتعبيراً عن عدم اكتراثه. وهو يعلم عاقبة الأمر مع ابن سعد وضعفه وتراميه على أقدام القردة، فهو سيّوح له على كلّ حال، وفي ذات الوقت يعلم أنّ ما في جعبته لم يغب عنه، لأنّه قد استوعب ما يهّمه من أخبار حركة سيّد الشهداء عليه السلام، فلا تهّمه معلومة يزعم ابن سعد أنّه اكتشفها.

الإشارة الخامسة: معرفة ابن زياد بالمولى الغريب عليه السلام

إنّ ابن الأئمة الفاجرة يعرف سيوف الحسين عليه السلام وليوث آل أبي طالب، ويعرف البطل الهاشميّ مسلم بن عقيل عليه السلام، ويعلم من خلال مجريات الأحداث أنّ مسلماً سوف لا ولن يكشف سرّاً من أسرار سيّد الشهداء عليه السلام، وهو المقاتل المجرب في ساحات الوغى أيام الجمل وصفين، والمجاهد الثابت في ولاية الأئمة الطاهرين عليهم السلام، والخبير الحاذق والمحنّك العميق الغور، وليس لابن سعد ولا غيره من الأوغاد أن يستخرجوا من صدره ما هو أقلّ من السرّ، ويتعرّفوا من خلال وصيّته على ما يؤثّر في عرقلة حركة سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام، فلماذا إذن يكثر بما جاء به هذا الرخيص الهابط؟

أجل! ربما كان يلتفت إليه أو يستحثّه على الكلام والبوح إذا كان ابن سعد قد زعم أنّه حاز معلومةً عن غير سبيل مسلم بن عقيل عليه السلام.

الإشارة السادسة: لا يخونك الأمين

لما أُلحَّ ابن سعد على كشف ما زعم أنه سرّاً، قال له ابن زياد: هات، وعقّب - حسب نصّ الدينوري - قائلاً:

«قد أسأت في إفشائك ما أسرّه إليك، وقد قيل: إنّه لا يخونك إلاّ الأمين!! وربما ائتمنك الخائن» (١).

وفي نصّ الطبري وجملته من المؤرّخين:

«قال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن» (٢).

وفي مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف المشهور:

«فقال ابن زياد - لعنه الله - قبّحك الله من مستودع سرّاً، والله لو إنّه باح إليّ سرّه لكتمت عليه وقضيت حاجته» (٣).

وفي المقاتل:

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٥، روضة الواعظين للفتال: ١٥١، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٢٠، نفس المهموم للقمي: ١١٥.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦.

«هات، فإنّه لا يخون الأمين، ولا يؤتمن الخائن» (١).

وفي عبارة الشجري:

«فقال عبيد الله: إنّهُ لا يخون الأمين، ولكنّه قد يؤتمن

الخائن» (٢).

ويلاحظ هنا عدّة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: كلام النبي ﷺ

يُلاحظ أنّ ما نُسب لابن زياد إنّما هو مؤدّى قول خاتم النبيّين

محمّد الأمين ﷺ كما رواه عنه ابنه الصادق عليه السلام، فيما أخرجه الحرّ

العالمي قال:

«عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ قال:

ليس لك أن تتهم من قد اتّمتنّه، ولا تأتمن الخائن وقد

جرّبته» (٣).

وورد بلفظ قريب جداً عن معمر بن خلاد قال:

«سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «لا

يخونك الأمين، ولكن اتّمتنت الخائن».

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٢) الأمالي للشجري: ١ / ١٦٧.

(٣) الكافي للكليني: ٥ / ٢٩٨، وسائل الشيعة للحرّ العاملي: ١٩ / ٨١ ح ١٠.

وروي بالألفاظ وتركيبات أخرى أيضاً عنهم عليهم السلام (١).

وربما كان قول النبي صلى الله عليه وآله قد ذهب مذهب المثل كما هو اليوم، فهي ليست من كلمات ابن زياد وإبداعاته، وهو أحقر من أن يدرك هذه الحقائق من ذات نفسه.

الملاحظة الثانية: تمثله بالكلمة

أمّا سبب تمثله بهذه القولة فقد يوعز إلى عدّة أسباب على نحو الاستقلال أو المجموع:

السبب الأول: التعبير عن الموقف

لا يبعد أن يكون قد شاهد موقف الخيانة من ابن سعد، فذكر هذه القولة باعتبارها تصف الموقف وصفاً دقيقاً، فهو تعبيرٌ عن موقف الوغد

(١) في الكافي للكليني: ٥ / ٢٩٨: عن محمد بن هارون الجلاب قال: سمعتُ أبا

الحسن عليه السلام يقول: «إذا كان الجور أغلب من الحق، لم يحل لأحدٍ أن يظنَّ بأحدٍ خيراً حتّى يعرف ذلك منه».

وعن ذكرنا بن إبراهيم رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام في حديثٍ له أنّه قال لأبي عبد الله عليه السلام: «مَنْ اتَّئَمَّنْ غَيْرَ مُؤْتَمِّنٍ فَلَا حِجَّةَ لَهُ عَلَى اللَّهِ».

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مَنْ عَرَفَ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ كَذِباً إِذَا حَدَّثَ وَخُلُفاً إِذَا وَعَدَ وَخِيَانَةً إِذَا اتَّئَمَّنْ، ثُمَّ اتَّئَمَّنَهُ عَلَى أَمَانَةٍ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَبْتَلِيَهُ فِيهَا، ثُمَّ لَا يَخْلِفَ عَلَيْهِ وَلَا يَأْجُرَهُ».

وغيرها من الأحاديث.

ووصفاً له، والتمثّل ببيت شعراً أو بمثّلٍ أو بالمأثور أمرٌ معتاد عند الناس.

السبب الثاني: الطعن بابن سعد

قد يكون قصد من خلال التمثّل أن يوعز إلى ابن سعد بحقارته ويُشعره بنذالته وسقوطه وتجذّر الخيانة في كيانه العفن، وبذلك يعرف الوغد قدره عند ابن زياد، فلا يتناول ولا يدسّ أنفه أكثر ممّا يسمح له، فيتكوّر على حجمه، ولا يتصوّر أنّه قد جعل يداً ومثّةً له عند ابن زياد، وهو يعرف ابن زياد أيضاً ويعرف قذارته وخيانتته ودناءته، وقد وصفه بالخيانة والتملّق الرخيص، فويل لمن كفره النمرود!

السبب الثالث: تقييم ابن سعد

إنّ هذا التمثّل في مثل هذا الموقف له دلالاته بالنسبة للتمثّل وللمتمثّل له، وكلاهما يعلمان من خلال مجريات الأحداث وما وردهما من كتب وأخبار أنّهما مقبلان على أمرٍ عظيم، يحتاج كلّ منهما للآخر. ولابدّ لابن زياد من الاستخفاف بالوغد الكاسروالأفعى الرقطاء ليمسك بها من رأسها، فيغرز أنيابها فيمن أحبّ من دون أن تلدغه، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾.

فهو في تمثّله هذا كشف لابن سعد أنّه قد قرأه إلى آخر سطر، وعرف مقداره ووزنه وأخلاقه، فأعلن له عن تقييمه له ليكون محذراً له من الخيانة فيما يستقبل من الأيام، وما تحوّل له من المهام، ويفهمه أنّه لا

يثق به ولا يتعامل معه إلا بحذر تام، لأنه قد انكشف له تماماً، وسوف لا يأتمن خائناً.

الملاحظة الخامسة: زيادة الرواة

يمكن أن تكون هذه العبارة من زيادة الراوي والمؤرخ تحت ضغط النصب والعقيدة الفاسدة أو حب الدنيا والتزلف إلى السلطان، فأضافها على أمل أن يزيّن وجوه القروء والجراء الأموية المشوهة المرعبة، ويعرض الدمن من وجهه الأخضر في صورة من يعرف شيئاً مهماً من القيم والأخلاقيات، ويتقزز من عظام المنكرات، وينكمش وجهه من ممارسة الخيانة، وينتفض عند مقارفة الرذيلة، فيلوم المرتكب وكأنه خلو منها، ويقول قد أسأت!! وهيئات ثم هيئات، وقد كشف الصبحُ فحمة الدجى.

إفشاء السرّ بعد الشهادة

تفرد ابن قتيبة في صياغة ما جرى بين القزمين الحقيرين، فعرضها في تركيبةٍ يُستظهر منها أنّ إفشاء السرّ كان بعد شهادة المولى الغريب عليه السلام.

«قال: فضرب عنقه وألقاه عمرو لعبيد الله وقال: أتدري ما

قال: ... قال: أخبرني أن الحسين ومن معه قد أقبل... (١).
فذكر الشهادة أولاً، ثم قال: «وألقاه عمر لعبيد الله».. وهو يفيد أن الإلقاء تم بعد ضرب العنق.

وهو بعيد، لتفرد ابن قتيبة من جهة، واستبعاد أن يصبر الخبيثان على ذلك، فلا ابن سعد يصبر على الكتمان مع خزينة النتن، ولا ابن زياد يصبر وهو يبحث عن أي سبب يضيفه إلى مسوغاته في حربه مع سيد الشهداء عليه السلام وقتله المولى الغريب عليه السلام.

دواعي الإصرار على الإفشاء

صوّر ابن سعد وصية المولى الغريب عليه السلام كسرٍ عظيم، وهول الأمر على ابن زياد، وعرضه كتهديدٍ مروّع لا يسعه تجاهله والتغافل عنه؛ «فالأمر أعظم من ذلك»! وأصرّ على كشفه وإطلاع ابن الأمة الفاجرة عليه، فلا بد أن تكون ثمة نوازع تدفعه لهذا التصوير والتهويل والإلحاح على الإفشاء.

وقد ذكرنا جملة من نوازعه وأغراضه في ثنايا الحديث قبل قليل، ويمكن أن نجملها هنا بعبارةٍ مقتضبة:

إنّ ابن سعد يريد أن يحجز لنفسه عوداً من أعواد الشجرة الملعونة،

فيتسلّق إليه من خلال التمسك بذيل القرد الأمويّ، وذيل القرد الأمويّ مشدودٌ بذيل جروه ابن زياد، فلا يسلك طريقاً إلى أيّ موقع في حديقة القروء ما لم يرَضَ هذا الجرو القابع في قصر الخبال.

وإنّما يتمّ ذلك من خلال إثبات خالص الولاء من جهة ولو على أساس القيم والشيم والأخلاق إن كانت بهم شمةٌ من ذلك، ومن ثمّ التملّق إليه بما يقنعه بالتمخّض في الخدمة.

وهو يريد أيضاً أن يجعل نفسه رقماً ينبغي لابن زياد أن يلتفت إليه من حيث كونه حاملاً لأسرار مؤثّرة ومعلومات مدمّرة، لا يسع ابن زياد تجاهله ولا التغافل عنه.

هذا، عدا معدنه النجس ومنبته النحس ونطفته القدرة التي تدعوه لارتكاب أيّ خيانةٍ ومجانبة أيّ شرفٍ وتنكّب الرذيلة وتعقّب المواقف الدليلة.

ومن هنا ربما نكتشف وازعاً ودافعاً مهمّاً يدعو الدعيّ للوشاية وإفشاء السرّ، وهو النصب والحقد والضغينة والعداوة المتجذّرة في ذاته النكراء لأهل البيت عليهم السلام، وربما كان هذا من أهمّ الأسباب، إذ لا يألوا مثل ابن سعد الناصبيّ النجس جهداً في إيذاء كلّ من يمتّ إلى أهل البيت عليهم السلام بصلةٍ ويحاربه ويمثّل به.

إنّ العداوة والنصب والبغضاء والشحناء والحقد الكامن في أعماق

ابن سعد الحبيث يعدّ المحرك الأساس في جميع مواقفه إزاء سيّد الشهداء عليه السلام وأنصاره وأهل بيته، وهو ما يمكنه أن يفسّر لنا جرائمه وجنایاته وعظيم ما ارتكبه من سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته في كربلاء. أمّا إقدامه على جميع ذلك طمعاً في الريّ!! والريّ فقط! فهو كلام ينبغي التأمل فيه، من دون تنكّر لظواهر التصريحات، وليس هذا موضعه.

أثر إفشاء السرّ

إفشاء السرّ جنایة كبرى وإثم كبير له آثاره التكوينية وتبعاته الوضعيّة وعواقبه وأوزاره، وهو ينمّ عن سوابق غير مرضية في المفشي، وإفشاء السرّ هو في حقيقته نيمة ^(١)، فتشمله نصوص ذمّ النيمة وما يترتب عليها، وقد ورد في إفشاء السرّ الكثير من الأحاديث الدائمة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

«فقد ورد عن عبد الله بن سنان قال: قلت له: عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: نعم، قلت: تعني سفليه؟ قال: ليس حيث تذهب، إنّما هو إذاعة سرّه» ^(٢).

(١) أنظر: مرآة العقول للمجلسي: ١١ / ٥٨.

(٢) الكافي للكليني: ٢ / ٣٥٨ - عنه: بحار الأنوار: ٧٢ / ١٦٩.

«وإفشاء السرّ سقوط»^(١).

«وثلاثة لا ينبغي للمرء الحازم أن يتقدّم عليها: شرب السمّ
للتجربة وإن نجا منه، وإفشاء السرّ إلى القرابة الحاسد وإن نجا
منه، وركوب البحر وإن كان الغنى فيه»^(٢).

«وستّ خصالٍ تُعرف في الجاهل: الغضب من غير شرّ،
والكلام من غير نفع، والعطيّة في غير موضعها، وإفشاء السرّ،
والثقة بكلّ أحدٍ لا يعرف صديقه من عدوّه»^(٣).

«وإفشائك سرّاً أخيك خيانة، فاجتنب ذلك»^(٤).

«ومن أفسى سرّاً استودعه فقد خان»^(٥).

وبناءً على ما ورد في المصادر التاريخية، فإنّ هذا الوغد المتوحّش
ابن سعد قد ارتكب هذه الرذيلة، وقد جاءت النصوص بصياغةٍ مرعبة
وتعليّلٍ مخيف، يرتجف لها الكيان، ويهتزّ بها الوجدان، ويرتعش منها
الفؤاد، ويخلع القلب من مستقرّه، ويشيب لهوله الرضيع، ويجهض من

(١) تحف العقول: ٣١٥.

(٢) تحف العقول: ٣٢١.

(٣) معدن الجواهر: ٥٣.

(٤) الأمالي للطوسي: ٥٣٧ المجلس ١٩.

(٥) غرر الحِكَم: ٦٠٨، عيون الحِكَم والمواظ: ٤٤٦.

سماعه المجنين، ويكاد لا يصدّقها إنسانٌ لعظم وقعها وشدة وطأتها..

يا لله! يا للهول! يا للخيبة والخسران!

«قالوا: فقال ابن زياد: أما والله إذ ذلك عليه لا يقاتلهم أحدٌ

غيرك» (١).

«قال ابن زياد: أما إذ أخبرني فوالله لا خرج لقتاله

غيرك» (٢).

«وقالوا: ثم أن ابن زياد سمع بذلك، فقال: قبّحك الله من

مستودع سرّاً، وحيث أنك أفشيت سرّه فلا يخرج إلى حرب

الحسين غيرك» (٣).

تفريع وتعليل: إذ دلت عليه.. لا يقاتلهم أحدٌ غيرك.. وحيث أنك

أفشيت سرّه.. فلا يخرج إلى حرب الحسين غيرك..

ترتيب للقتال وللخروج إلى الحرب على الإفشاء مباشرة، وكأنّه

النتيجة الطبيعية للدلالة عليه، والحاصل الضروري من الإفشاء.

(١) الإمامة والسياسة: ٢ / ٥، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٩، جواهر

المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٨، نفس المهموم للقمي: ١١٦. في الثلاثة الأخيرة:

«يقاتله».

(٢) الجوهرة اللبري: ٤٣.

(٣) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦.

هل يعني أنّ إفشاء السرّ يبلغ هذه الخطورة وهذا المدى الرهيب!

يبلغ هذا الحدّ من المعقبات والتوالي؟!

أفشى السرّ فأعان على نفسه، وأعطى الذريعة بيد الطاغية ليكلّفه

- في الظاهر- ليقا تل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، فجزّه عمله - حسب

تصريح ابن الأمة الفاجرة ومجريات الأحداث في الظاهر المنظور- إلى

قتل ريحانة النبي صلّى الله عليه وآله وأهل بيته وصحبه عليهم السلام؟!!

نعوذ بالله ونستجير به!

الجواب على الوصية

تنقسم المصادر في تحديد مَنْ ردّ على المولى الغريب عليه السلام بعد أن انتهى من وصيته إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ردّ ابن زياد على ابن سعد

بعد أن أفشى الوحش المتعطش لدم سيّد الشهداء الحسين عليه السلام السرّلسائسه ابن زياد، سمع منه الردّ على بنود الوصية الأساسية، وقد صرّح ابن سعد في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات والذهبي في تاريخ الإسلام أنّ ابن زياد وجّه خطابه لابن سعد باعتباره واسطةً بينه وبين المولى الغريب عليه السلام، فقال:

«قل له: أمّا مالك فهو لك لا نمنعك منه، وأمّا حسين فإن تركنا

لم نرده، وأمّا جثته فإذا قتلناه لم نبال ما صنع به» (١).

فيكون الخبيث ابن سعد مجرد ناقل رسالة ليس إلّا، ويكون المقصود بالمال في قوله: «أمّا مالك فهو لك»، أي: أمّا مال مسلم بن عقيل عليه السلام، وهذا يؤكّد أنّ مسلماً قد أوصى بقضاء الدين من ماله شخصياً، وأنّ له مالاً يمكنه أن يوصي به!

وأمّا الآخرون فلم يذكروا عبارة: «قل له»، فيكون الخطاب حينئذٍ مع ابن سعد بالذات باعتباره قابلاً للوصية، ويؤكّد ذلك قول ابن زياد فيما يخصّ الجثة المقدّسة: «فإنّا لا نشقّعك فيها»، أي: لا يشقّع ابن سعد كما هو واضح من العبارة.

قال البلاذري وغيره:

«فقال: أمّا مالك فهو لك، تصنع فيه ما شئت، وأمّا حسين! فإنه إن لم يردنا لم نرده، وأمّا جثته فإنّا لا نشقّعك، لأنّه قد جهد أن يهلكنا. ثمّ قال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه» (٢).

وفي رواية الطبري وآخرون:

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩.

(٢) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، بأدنى تفاوت: الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٢٠، نفّس المهموم للقمي: ١١٥.

«قال له ابن زياد: ... أمّا مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأمّا حسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده»^(١)، وإن أردنا لم نكفّ عنه، - وفي رواية أنّه قال: وأمّا الحسين، فلا ولا كرامة^(٢)، وأمّا جثته فإنّا لن نشقّك فيها، إنّه ليس بأهل ممّا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا، وجهد على هلاكنا^(٣). وزعموا أنّه قال: أمّا جثته فإنّا لا نبالي إذ قتلناه ما صُنِعَ بها»^(٤).

وقال ابن نما:

«فقال: ماله له، لا نمنعه أن يصنع به ما شاء، وأمّا الحسين إن تركنا لم نرده، وأمّا جثته، فإذا قتلناه لا نبالي ما صُنِعَ بها»^(٥).

وقال ابن كثير:

«فأجاز ذلك له كلّ، وقال: أمّا الحسين فإنّه [إن] لم يردنا لا نرده، وإن أردنا لم نكفّ عنه»^(٦).

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١، البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٥، روضة الواعظين للفتال: ١٥١.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠ باختلاف طفيف جدّاً.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٥) مثير الأحرار لابن نما: ١٧.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

ويلاحظ في النصوص المذكورة عدّة أمور:

الأمر الأول: المبادرة بالجواب

بمجرّد أن عرض الوغد الرذيل بنود الوصيّة على ابن زياد بادر ابن زياد بالجواب، وكأنّ ابن سعد إنّما عرض عليه البنود بقصد الاستئذان في التنفيذ، وإجراء ما يوافق مصالح مولاه، والإعراض عمّا لا يوافق عليه ولم يعطِ الإذن فيه.

فإنّما أن يكون ذلك هو ما فهمه من موقف ابن سعد فبادر للإجابة، أو باعتبار طغيانه وتجبره وتمردّه على أولياء الله، أو إبلاغاً منه لابن سعد وتفهيماً له أن ليس له من الأمر شيء، وإنّما هو تحت إمّته وطوع إرادته وليس له أن يفعل أو لا يفعل إلّا بعد صدور الموافقة من أميره الفاجر.

الأمر الثاني: المال

سواء كان المخاطب في النصوص المذكورة ابن سعد - كما في المصادر - أو المولى الغريب مسلم عليه السلام - كما في نصّ ابن سعد والذهبي -، فإنّ الرجس المتغطرس صرّح أنّه لا يتدخّل في التصرف بالمال، وله أن يفعل ما أحبّ أو ما شاء.

الأمر الثالث: الوصية لسيد الشهداء عليه السلام

فيما يخص وصية المولى الغريب عليه السلام في إبلاغ سيد الشهداء عليه السلام
بجذلان أهل الكوفة وما آل إليه أمره، وردت النصوص في ثلاث
مفادات، فذكر ابن سعد والبلاذري وجماعة آخرون:
«وأما حسين! فإنه إن لم يردنا لم نرده» (١).
وأضاف الطبري وابن كثير على ما مضى قوله:
«وإن أرادنا لم نكف عنه» (٢).
وفي المقتل للخوارزمي بعد ذكر الفقرة الأولى:
«وفي رواية أنه قال: وأما الحسين، فلا ولاكرامة» (٣).
وينبغي الالتفات هنا إلى ما يلي:

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام
للذهبي: ٢ / ٢٦٩، جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، بأدنى تفاوت:
الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٢٠، نفس المهموم
للقمي: ١١٥، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١،
البحار للمجلسي: ٤٤ / ٣٥٥، روضة الواعظين للفتال: ١٥١، مثير الأحزان لابن
نما: ١٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

أولاً: الطغيان وسوء الأدب

ماذا يُنتظر من دعيّ ينشأ مرتضعاً من صديد المومسات، وجرو يتعرع بين القروء، أن يفقه من سيّد الشهداء عليه السلام ويعرف من مقامه ومنزلته، ولذا تراه ينظر في عطفه، وينتفخ سحره، وهو الرعديد الجبان لمجرد ذكر سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، فيغطي خوفه، ويحاول أن يتماسك أمام ذيله بذكر سيّد الشهداء عليه السلام بالاسم مجرداً من «ال» التحلية والتعظيم، وقد صار الاسم مع «ال» علماً للحسين عليه السلام، فيقول: «حسين»، «يردنا»، وفي المقابل يذكر نفسه بالتعظيم فيقول: «يردنا».. لقد عتي وطغى وتكبر وتجرّ على الله، وهوابن الأمة الفاجرة المعروف بالجبن والنسب اللئيم القذراً!!

ثانياً: إن لم يردنا لم نرده!

ماذا يقصد الخبيث بقوله: «إن لم يردنا لم نرده»؟

إن كان يقصد أنه ما دام في مأمن من صولة سيّد الشهداء عليه السلام وأن الإمام لم يقصد إسقاط الحكم والاستيلاء على السلطان، فهو إذن لا يتعرّض له بسوء، فلماذا تعرّض له وخيّر بين النزول على حكمه أو القتل؟

لأنّ مجرد دخول قافلة تضمّ عدداً قليلاً من الرجال وعدداً من النساء والأطفال إلى الكوفة لا يعدّ تهديداً للسلطة، وقد أحكم اللعين

قبضته على الكوفة وضواحيها، بل على الطرق المؤدية إليها والصحراء المحيطة بها، وأعلن الناس خضوعهم وخنوعهم واستسلامهم له ولزبانيته، وتوافرت لديه العساكر وأعلنت العشائر بالولاء والانصياع.

ثالثاً: متى أرادته سيّد الشهداء (عليه السلام)؟!

مَنْ هو هذا الوضع القزم المتهالك في خدمة القرد الأمويّ الأجرّب، حتّى يريده أو يرده الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) أو يقصده بأيّ مستوى من المستويات التي تجعله قريباً لسيّد الكائنات يومها وسيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام)؟!

ثمّ إنّ كذب وفجر - لعنه الله -، إذ إنّّه طلب دم سيّد الشهداء (عليه السلام) من دون أن يريده أو يرده الإمام (عليه السلام)، وإلاّ فما الذي دعاه أن ينظم الصحراء خيلاً ورجالاً، ويرسل الكتائب تجوب الفيافي، ويفرض على الحرّ أن يمنعه من الرجوع أو التوجّه إلى أيّ جهةٍ إلاّ أن ينزل على حكم الأدعياء أو يُقتل هو ومن معه؟!

ومتى أرادهم الإمام الأبيّ؟ في المدينة أبي البيعة وقال: «مثلي لا يبيع مثله»، فطلب دمه، وأمر القرد الشاميّ الأجرّب أن يبعث له الوالي برأس ريحانة النبيّ (صلى الله عليه وآله) مع جواب الكتاب (١)، فخرج - فداه روعي -

(١) أنظر: الفتوح لابن أعمش: ٥ / ١١، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١ / ١٨٠.

من المدينة وقد ضيَّعوه وخذلوه وتركوه وحيداً (١).

توجَّه إلى مكَّة، وفيها طلبوا دمه ودبَّروا لقتله ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة (٢)، فخرج حبيب الله متوجَّهاً إلى حيث أمره الله، حيث وصلت كتب الكوفيتين ورسلمهم تدعوه إليهم.

وبعد أن قطعوا عليه الطريق في الصحراء عرض عليهم أن يرجع إذ خذلوه وكرهوا قدومه! فأبوا إلا أن ينزل على حكم ابن زياد أو يزيد، فأبى أن يعطيهم بيده إعطاء الذليل (٣).

فتى - إذن - أرادهم وقصدهم؟ (٤) وهل يمكن أن يكون مثل ابن زياد رقماً يعتدّ به سيّد الشهداء عليه السلام ويحسب له ويجعل نفسه بإزائه؟ إنَّ هذا هو البهتان العظيم!

بل على العكس تماماً كان ابن زياد مأموراً بملاحقة سيّد الشهداء عليه السلام، وكان متوثّباً هو وأزلامه من قبيل عمر بن سعد للقضاء عليه واستئصال شأفة النبي صلى الله عليه وآله وآل الله عليهم السلام جميعاً، وكانوا ينتظرون أن

(١) أنظر: الفتوح لابن أعمش: ٥ / ١٨.

(٢) أنظر: بحار الأنوار: ٤٥ / ٩٨.

(٣) أنظر: الإرشاد للمفيد: ٢ / ١٠٠، إعلام الوری للطبرسي: ٢٤٠.

(٤) هذا كلّه مبنيٌّ على أن قيام سيّد الشهداء عليه السلام كلّه كان دفاعاً ولم يكن هجوماً أو ما يصطلح عليه عند المتأخرين بـ «الثورة»، ولإثبات ذلك موضع آخر.

تعلق مخالبتهم به، فيقطعون أوصاله ويملؤون منه أكراشاً، ويشبعون
نهمهم لدماء آل أبي طالب، وينتقمون من سيّد الأنبياء ﷺ وسيّد
الأوصياء ﷺ ويثأرون لبدر وأحد والمشاهد الأخرى.

أليس ابن زياد هو القائل:

«الآن إذ علقت مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص!» (١)

رابعاً: إذنه بإرسال الرسول

ربما يُستفاد من قوله: «إن لم يردنا لم نرده» أنه أذن لعمران يرسل
إلى سيّد الشهداء ﷺ من يبلغه رسالة سفيره، بمعنى أنه يقول لابن
سعد: أرسل الرسول فلا مانع من ذلك، فإن بلغه الرسول فامتنع سيّد
الشهداء ﷺ عن القدوم إلى الكوفة فإنه سيكف عنه، وإن جاء فإنه
لا يكف عنه، وقد كذب هنا أيضاً، وهو كذوب، ويعرف كذبه من
التعرض لسيّد الشهداء ﷺ، ومحاصرته في البداء، ومنعه من الرجوع أو
التوجه في أرض الله الواسعة، حتى أنزل في كربلاء ومُنِع من الانتقال
عنها بأمر من ابن الأئمة الفاجرة (٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤١١، الكامل لابن الأثير: ٤ / ٥٣.

(٢) أنظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٢ - ٣٠٥، مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ /

٢٣٠، روضة الواعظين للفتال: ١٧٩ و ١٨٠، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٧٧، إعلام

الورى للطبرسي: ١ / ٤٥٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٨١، الأمالي للصدوق: ٢١٨.

خامساً: فلا كرامة

في رواية للخوارزمي أنه قال:

«وأما الحسين، فلا ولا كرامة» (١).

فإن كان الخبيث يقصد: لا كرامة لابن سعد في هذه القضية، أي إنه سوف لن يشقعه بها، فإن ابن سعد أحقر من أن يعترض هنا ويقول له: إنك أمرتني بالاستماع إلى وصيته.

وهو مع ذلك قد صرح برفضه هذا أنه يريد سيد الشهداء عليه السلام ويلاحقه ويتربص به، ليقته ويُرضي بذلك أعداء الله ورسوله.

وإن كان يقصد الأخرى، ولا يبعد أن تصدر هذه الجسارة والطغيان والعدوان من مثل هذا الحقير الدنيء والرجس النجس في حق سيد الشهداء عليه السلام، وقد كان ابن زياد بؤرة الحقد والضغينة على معدن الطهر والعفاف والفضيلة، ولم يترك جنايةً وجريمةً ورذيلةً إلا وارتكبها الخبيث في حياته، فلعنة الله عليه وعلى من سلطه على رقاب المسلمين. اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك.

الأمر الرابع: الجثة

من روى الوصية روى بند استيهاب الجثة المقدسة، وفي ذلك

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١١.

دلالة واضحة أنَّ المولى الغريب العالم العارف مسلم بن عقيل عليه السلام يعرف عدوّه جيّداً، وهو عالمٌ بما سيجري عليها بعده، إمّا بالإخبار من قبل المعصومين عليهم السلام، فيكون الاستيهاب إتماماً للحجّة، وإمّا لمعرفته بنذالة ابن زياد وسلوكياته، وهو إتمام حجّة وإبلاغ.

وقد نصّ ابن سعد في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام وغيره أنَّ ابن الأُمّة الفاجرة قال:

«فإذا قتلناه لم نبال ما صنّع به» (١).

وخالفهم البلاذري وغيره، فنقلوا عنه أنّه أبى ذلك وقال:

«وأما جثته فإنّا لا نشفعك، لأنّه قد جهد أن يهلكنا» (٢)، ثمّ

إنّه تراجع وقال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه» (٣).

وفي تاريخ الطبري والمقاتل:

«وأما جثته فإنّا لن نشفعك فيها، إنّه ليس بأهل ممّا لذلك،

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩، مثير الأحزان لابن نما: ١٧.

(٢) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، بأدنى تفاوت: الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٢٠، نفس المهموم للقمي: ١١٥.

(٣) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، بأدنى تفاوت: الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٢٠، نفس المهموم للقمي: ١١٥.

قد جاهدنا وخالفنا وجهد على هلاكنا^(١). وزعموا أنه قال:
أما جثته فإنا لا نبالي إذ قتلناه ما صنع بها^(٢).
ويلاحظ أن التعليل في رد الوصية في خصوص الجثة، كما عند
البلاذري وغيره:

«لأنه قد جهد أن يهلكنا»^(٣)،

وعند الطبري وغيره:

«إنه ليس بأهل منا لذلك، قد جاهدنا وخالفنا وجهد على
هلاكنا»^(٤).

فهي تتفق على تعليله بأنه جهد على إهلاكه، أما ما ذكره الطبري:
«إنه ليس بأهل منا» و«إنه جاهدنا وخالفنا»، فهي مقدمات للتعليل
الأخير.

ثم إنهم ذكروا أنه تراجع وقال: «وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه؟»^(٥)

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠ باختلاف طفيف جداً.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٣) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، بأدنى تفاوت: الكامل لابن

الأثير: ٣ / ٢٧٣، نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٢٠، نفس المهموم للقمي: ١١٥.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥.

(٥) جمل أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩، بأدنى تفاوت: الكامل لابن

أو إنّه قبل ذلك من رأس، كما نصّ عليه ابن سعد والذهبي، ويكذّبه
أمور:

المكذب الأول:

أنّ الطبري ذكر التراجع بعد أن أبى التنفيذ بلحن: «وزعموا»، وهو
تضعيفٌ ظاهر.

المكذب الثاني:

ويكذّبه أيضاً - وهو الأهمّ -: نفس تقدّم المولى مسلم بن
عقيل عليه السلام بهذه الوصية، فهو لولا إنّه يعرف حقد ابن زياد وتشفيّه
وشماتته ونذالته إذا شاط به الغيظ وتمكّن بعد انهيار، لما تقدّم باستنقاذ
الجثة واستيهاها.

المكذب الثالث:

الواقع التاريخي المروي، حيث إنّه اعتدى على الجثتين الطاهرتين
الزاكيتين لمسلم وهاني عليه السلام، ودفعهما إلى الجند والغوغاء والسفلة
وغيرهم من أهل الكوفة، فجرّوهما وسحلوهما في الشوارع، وهتكوا
حرمتهما بما سنأتي على ذكره إن شاء الله تعالى.

المكذب الرابع:

نحن نعرف المؤرخ جيداً، ونشكّ فيه شكّاً مؤكّداً، ونرتاب في كلّ ما يرويه، وفيه كنس لجرائم الطاغوت وتلميع لوجهه المشوّه، إذ يعتبر هذا القدر من النزاهة في التعامل مع جثّة عدوّه الذي أرغم أنفه في وحل الذلّة وتركه يقرض ذيله من شدّة الخوف والهلع، وبدا يحسب الأيام والساعات للانحجار والانقراض..

إنّ هذا المقدار من التنازل عن التغطرس والخيلاء والتكبر والتجبر، بحيث يتجاوز عن الجثّة المقدّسة ويتغافل عن أخذها ودفنها دونما التشفّي بها والإمعان في تفرّغ الأضغان والدفائن، يعدّ ميزةً ترفعه عن قاعه العفن، وهو ما لا يكون لمثل ابن الأمة الفاجرة.

بالخصوص إذا عرفنا أنّ هذا السلوك الوحشيّ المترديّ في الرذيلة كان دأباً يمارسه الخبيث مع أعدائه، وقد أكّده بفعلته الشنيعة التي زلزلت الأرض وكادت السماء تتفطّر لهولها يوم أمر برضّ جسد سيّد الشهداء عليه السلام والتمثيل به، فامتثلوا وفعلوا^(١). قال في كتابه لابن سعد:

(١) اللهمّ العن أول ظالمٍ ظلم حقّ محمّد وآل محمّد، وآخرتابعٍ له على ذلك، اللهمّ العن العصابة التي جاهدت الحسين عليه السلام، وشايعت وبايعت وتابعت على قتله، اللهمّ العن بني أميّة قاطبة، والعن آل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان إلى يوم القيامة، وعذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، آمين ربّ العالمين.

«وأوطئ الخيل صدره وظهره (١)، ومثل به» (٢).

فلا يُصدّق إذن دعوى من زعم أنّه رضي، أو أنّه رجع فأذن بدفن الجثة، بحجة أنّه إن قتلّه لا يبالي، فإنّ مجرد القتل لا يُرضي هؤلاء الأوغاد المولعين بالتشفيّ والشماتة والحقْد على الأطهار الأبرار، وقد سمعنا ما فعله بالجثة الطاهرة - كما نقله المؤرّخ -، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس لكذبٍ أمانة، ولا فجور صيانة» (٣)، وقديماً قيل: «لا حافظة لكذب».

الأمر الخامس: كذبة ابن كثير

أمّا ابن كثير الذي يسمّي يزيداً: «أمير المؤمنين» (٤)، فقد عرض ابن

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٩٠، تاريخ الطبري: ٥ / ٤١٤، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٩٠، روضة الواعظين للفتال: ١٥٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٩٠، إعلام الوری للطبرسي: ٢٣٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٤٥، المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣٣١ - بتحقيق: السيّد عليّ أشرف، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٣٦، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٨٤، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٤٣٠ ...

(٢) تذكرة خواصّ الأمة لسبط ابن الجوزي: ١٤١، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٦٦.

(٣) غرر الحكم: ٥٥٩.

(٤) أنظر: البداية والنهاية: ٨ / ٢٤٨.

زياد في صورةٍ لا يتوقعها ابن زياد لنفسه، فأوجز في عبارةٍ واحدة موقفه، فقال:

«فأجاز ذلك له كلّ، وقال: أمّا الحسين فإن لم يردنا لا نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه» (١).

ومن كان يزيد - لعنه الله - عنده أمير المؤمنين، فلا بد أن يكون هذا النغل المدلل عند بني أمية بهذه الصفة عند أتباعه!! والقدر كلّ واحد.

القسم الثاني: الردّ على المولى ابن عقيل عليه السلام

تفرّد ابن أعثم - حسب فحصنا - بجعل الردّ مباشراً من ابن الأمة الفاجرة يخاطب به سليل إبراهيم الخليل مسلم بن عقيل عليه السلام:

«فقال ابن زياد: أمّا ما ذكرت يا ابن عقيل من أمر دينك، فإنّما هو مالك يُقضى به دينك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأمّا جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثثك، وأمّا الحسين فإن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكف عنه» (٢).

ويمكن أن يفيد النصّ عدّة فوائد:

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧.

الفائدة الأولى: المال

يفيد قول ابن زياد في أمر الدين أنَّ المولى الغريب عليه السلام قد أوصى بقضاء الدين من ماله خاصّة، سواء كان من خلال بيع فرسه أو انتظار الغلّة حتّى تأتي من الحجاز، كما ورد في بعض المصادر التي ذكرناها آنفاً، أو وجود مالٍ مجوزته فعلاً، المهمّ أنَّ تصريح الرجس وقوله: «فإنّما هو مالك يُقضى به دينك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت» يفيد بوضوح أنَّ المال الموصى به لقضاء الدين إنّما هو مال مسلم بن عقيل عليه السلام شخصياً، فهو لم يطلب من عمر بن سعد تسديد الدين إلّا من ماله الشخصي لا من مال عمر ولا غير عمر.

الفائدة الثانية: الجثة

يفيد النصّ أنَّ الخبيث ردّ على هذا البند مجبروته وطغيانه واستعلائه واستكباره المعهود، وهو من قد عرفه التاريخ بالحقارة والدناءة والسقوط والانحطاط بكلّ المعايير، إذ إنّهُ يقول:

«وأما جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك»..

فهو يؤكّد أنَّ الخيار له يصنع بالجثة ما يشاء، ومن الواضح أنّه يصنع بها ما ينسجم وشأنه وطبعه وطريقته التي تأبى إلّا أن لا تجعل في الحضيض من هو أسفل منه، ولا يتصوّر من أمثال هذا الجرو أن يتعامل

معها معاملة البشر، وهو مسخ رديء.

وتضمّن أيضاً تعبيره هذا وما لحقه من قوله: «ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك» تهديداً يؤكد ما سمعته في الفقرة السابقة، فهو يوعز ما يفعله إلى الله كما هو شأنه دائماً وشأن أسياده ورعاته من القروء الأموية والسباع التي نشأت ورعت في السقيفة.

ولو كان لا يريد التهديد والوعيد والتلويح بما سيفعله من التمثيل والسحل بالجثة ولم يكن يبيّن ذلك، إذ أنّ قوله: «لا نبالي ما صنع به» أو «لسنا نبالي ما صنع الله بجثتك»، يشير إلى أنه لا يهتم بدفنه ولا تجهيزه ولا يبالى بذلك، فإذا مثلوا بها أو سحلوها في الأزقة فهو لا يبالى أيضاً ولا يهتم ذلك!

الفائدة الثالثة: طغيان ابن زياد

يلاحظ في هذا النص - كما يلاحظ في النصوص الأخرى التي تروي ما قاله هذا الخبيث بين يدي المولى مسلم بن عقيل عليه السلام - أنّ الوقاحة والصلافة والغطرسة والتجبر والعتوّ والاستعلاء على الله وعلى أوليائه من السمات المتجذّرة في هذه المخلوقات العاتية، فهو يتكلّم بصيغة الجمع عن نفسه! ويعلن عن نواياه كأنه الحاكم المطلق والمتسلّط الذي لا يُنازع، غير أنّه لا يجرؤ على الإصهار عمّا في كوامنه من ادّعاء الربوبية، فهو قد قالها: «أنا ربكم الأعلى» بكل صيغة، وعبر

عنها في كل تصرفٍ وجملةٍ من دون أن يذكر هذه الكلمات الثلاث.

القسم الثالث: جواب عمر بن سعد

أما القسم الثالث من الكتب، فقد ورد فيها أنَّ عمر بن سعد هو الذي بادر للردِّ على المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وحدد له الموقف ومدى الاستجابة في تنفيذ الوصية.

قال الطريحي:

«فقال عمر بن سعد: أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نشهدها، وأمّا ما ذكرت من بيع الدرع وقضاء الدين فذلك إلينا إن شئنا قضيناه وإن شئنا لم نقض، وأمّا ما ذكرت من أمر الحسين فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّةً بعد غصّة» (١).

وفي المقتل المشهور لأبي مخنف:

«فقال عمر بن سعد: أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نقرّ بها، وأمّا ما ذكرت من بيع درعك وقضاء دينك فنحن أولى إن شئنا قضينا وإن شئنا لم نقضه، وأمّا الحسين عليه السلام فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّةً بعد غصّة» (٢).

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٧.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٦.

ونصُّ الطريحي - كما يبدو - مأخوذاً من المقتل المشهور لأبي مخنف، ولولا ما فيه من نقطتين لكان أكثر تلاماً وانسجاماً مع مواقف المجرمين ونفسياتهم:

النقطة الأولى: مبادرة ابن سعد

يبدو من خلال النصوص الواردة في المتون السابقة، مضافاً إلى ما هو معروف من دناءة ابن سعد وذلة نفسه وحقارة محتده ومنبته وسقوطه وتملقه لابن زياد، أنَّ من البعيد جداً أن تقوم به الجرأة ليبادر في الجواب قبل أن يأذن له ابن زياد.

إلا أن يقال: أنَّ هذا الجواب كان عبارة عن تبليغ لمقالة ابن زياد، فهو قد بلغ مولاة وسيده بما قال البطل الهاشمي عليه السلام، واستمع إلى ردود ابن زياد، ثم نقلها إلى مسلم بن عقيل عليه السلام من دون أن ينسبها إلى صاحبها، باعتباره هو المباشر في سماع الوصيَّة والمطالب بتنفيذها والمتوقع منه الجواب على بنودها.

وربما لوحت العبارات والتهديد والوعيد الوارد فيها إلى أنَّها قريبة من لغة ابن زياد ونفسيته وموقعه ومواقفه.

النقطة الثانية: الشهادة

لقد ورد في نصِّ المقتل لأبي مخنف المشهور والشيخ الطريحي أنَّ

المولى الغريب عليه السلام قد شهد الشهادات الثلاث، وجاء هنا على لسان عمر بن سعد أنه يقول: «أما ما ذكرت من الشهادة فكلنا نقرّ بها»، من دون إبداء أيّ امتعاضٍ أو اعتراض على الشهادة الثالثة، وكأنّه راضٍ ومعتقّدٌ بها، وأنه يشهد بها ويشهد بها جميع الناس؛ «فكلنا نقرّ بها»، وهو ما لا يمكن المصير إليه بتاتاً.

إلا أن يقال: إنّه قصد الشهاداتين وتجاهل الشهادة الثالثة، ليفهم منه أنّه لا زال على ظاهر دين الإسلام، لو ساعد السياق على ذلك، وهو ليس كذلك.

أما باقي فقرات الجواب، فهي تناسب تماماً ما في كوامن ابن زياد وابن سعد من الحقد والتميّز غيضاً وحقناً على معادن الطهر والشرف، وانتظارهم بلهفةٍ مشتعلة ورود سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، ليملؤوا أكراسهم السعيا من أوصاله المقدّسة، ويلغوا بشهيةٍ متفاقة في دمائه الزاكية.

تنفيذ الوصية

قال ابن سعد وعنه الذهبي:

«وقضى عمر بن سعد دين مسلم بن عقيل، وأخذ جثته فكفنه ودفنه، وأرسل رجلاً إلى الحسين، فحمله على ناقه وأعطاه نفقةً وأمره أن يبلغه ما قال مسلم بن عقيل، فلقيه على أربع مراحل فأخبره» (١).

وقال الذهبي:

«ففعل ذلك، وبعث رجلاً على ناقه إلى الحسين، فلقيه على أربع مراحل» (٢).

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩.

(٢) سيرة أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١ - عن: الذهبي.

ابن سعد عن الواقدي وغيره بإسنادهم: أنَّ عمر بن سعد بن أبي وقاص أرسل رجلاً على ناقةٍ إلى الحسين يخبره بقتل مسلم بن عقيل، وكان قد بعثه الحسين إلى الكوفة.. (١).

سيأتي الكلام عن تنفيذ الوصية فيما يخصَّ الجثمان المقدس تحت عنوان «تجهيز الأجساد الطاهرة»، وقد مرَّ الكلام في تبليغ الرسالة لسيد الشهداء عليه السلام في بحث «مسلم بن عقيل - نائراً أم سفيراً؟».

ومن الواضح أنَّ ابن سعد لا يتجاوز حدود ما يرسمه له سائسُه ابنُ زياد، ولما كان في تبليغ سيد الشهداء عليه السلام ما يحقق لهم مأرباً فقد أذن له، وما سوى ذلك فقد خضع لأحقاده وضغائنه، وصغى به لعداوته وشحنائه ومنبته الموبوء.

المحاجة والمناظرة

بدنٌ مكدودٌ.. مَرَّقته الجراح، طَرَزت له الدماء سربالاً، وانغرزت فيه النبال حتَّى لكأَنه مقاديم النُور، وهشَّمت فمه الحجارة ونصّلت ثنيتاه، غاصت الرماح في أحشائه، وانتهلت السيوف من أعضائه، فكرعت من دمه الذي جفّفه العطش، فصدرت رويّةً من ضربة ابن حمران وطعنة الغادر بعد أن ردّ عليهم الأمان..

أذبل الظمأ شفّتيه، وفَتّت كبده، وأيبس رأّيته، وامتلاً فوه دماً منعه من شرب الماء..

أحاطت به الأراذل والأوباش، واجتمعت عليه الغوغاء والأحابيش والسفلة، وصكّت مسامعه زعقات اللئام المردة..

حاصرته الأنظار التي زاغت من هول صولته وسطوته، والأبصار التي كفّها وغصّها واختطفها وميض سيفه وسرعة جولانه في المعركة..

غير أنّها الآن تجده مكبلاً، فرمته بسهام لواحظ الشماتة الخائبة..
 شماتة الجبناء، تسلّط الخونة، لؤم الغلبة.. وسطوة الرعديد جرحٌ
 لا يُطاق ألمه، بعد أن يكبّل الأسد لما أُئخّن وتكاثرت عليه الضباع..
 وليت الجنان يعينه البيان ويؤازره اللسان، ويجتمع بنو الإنسان
 ليتمكّنوا من وصف جراحات الضيغم الهاشمي والأسد الطالبّي والليث
 العقيليّ وهو داخل قصر الطاغية ابن الأمة الفاجرة.. ليت!
 لقد ذكرنا في غير موضع الجراحات التي أُصيب بها المولى
 الغريب عليه السلام، وقد اقتضب المؤرّخون الحديث عنها بعباراتٍ لو تأملناها
 قليلاً لعللنا أن لا موضع في بدنه المقدّس لم يُدمِه عَضُّ السلاح..

فكم من حجارةٍ كدمته وأدمته؟

وكم من سهمٍ أصابه ومزّقه؟

وكم من رمح طعنه؟

وكم من سيفٍ ضربه وهشّمه؟

وكم من حزمة قصب مشتعلة جرحته وأحرقته؟

هذا سوى ضربة ابن حمران والحجر الذي كسرفاه، وطعنة الغادر

التي صرعته..

وسوى العطش.. والشماتة والنظر إلى دعيّ مكّنته السقيفة على

سليل إبراهيم الخليل عليه السلام!

العجيب! الذي يهر العقول، ويهزّ كيّان الغيور، ويدعو للفخر والمباهاة، ويحير ذوي الألباب، ويترك المتابع أياً كان في ذهول، أن يقف سفيرُ سيّد الشهداء (عليه السلام) بعد كلّ ذلك ليدبّ ويدافع وينافح ويكافح ويصول بلسانه العقيليّ الحادّ اللاذع، ويخوض حرباً كلاميّة بلسانه الذي جفّفه العطش وضرّجته الدماء..

فه مكسور.. شفته مقطوعة.. ثنياه ناصلة.. لسانه مخضّب.. والعطش.. العطش؛ يكاد يلصق لسانه بلهاته.. فكيف كان الهزبر الظامئ المجروح يتكلّم؟!

ما ضعف البدن عمّا قويت عليه العزيمة.. إنّه حفيد أبي طالب، وابن عقيل، وابن أخي سيّد الوصيّين وأمير المؤمنين (عليه السلام)، وأخو سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين (عليه السلام).

لقد كان ثابت الجنان، صلب الإيمان، نافذ البصيرة، قويّ اليقين، راسخ القدم، على بصيرةٍ من أمره، ثاقب النظر، بعيد الغور، سليم الطويّة، عظيم المناقب، عالي المراتب، يطلّ من سامق مقامه، ويشرف من سامي منزلته، نجيب المحتد، أصيل النسب، رفيع الحسب، تقوم به همّته، وتسانده غزير معرفته التي لا تقوى العقول غير المعصومة على حصر سعتها، ولا ترى لبحار علومه شاطئاً، ولا تسبر لها عمقاً..

إنّه مسلم بن عقيل (عليه السلام)، سفير الحسين (عليه السلام) .. لا يقف إلّا كما

يقف سيده ومشرفه بهذه المهمة، فهو يعرف الحسين ؑ كما يليق بمثل مسلم ؑ أن يعرفه..

لئن أجهد العطش والجراح والشماتة بدنه، فقلبه طوع الحسين ؑ.. كزبر الحديد على أعدائه، بل أشد وأعظم تماسكاً وأقوى وأصلب، لا يضعفه نزف الجراح، ولا يكل ولا يمل عن مقارعة أعداء الله وأعداء سيد الشهداء ؑ، ولا تزلزله القواصف، ولا تحركه العواصف، ولا تخور له قوة، ولا تلين له صلابة، ولا يخيفه في الله لومة لائم..

إنه قلب مسلم بن عقيل ؑ.. المفعم بحب الحسين ؑ، المتوهج بنور مصباح الهدى، المتألق بمعرفة الله، المتعلق بالرفيق الأعلى..

إنه مسلم بن عقيل ؑ.. النجيب الذي وُلد من نكاح لا من سفاح في طول تاريخ شجرته التي نبتت في الحرم وبسقت بالجود والعطاء والكرم، وأضاءت الدنيا بأنوار غرر آبائه منذ أشرقت وأطلت على دياجير الجاهلية، فكشفت عورات الأدعياء وأبناء الأدعياء.. إنه ابن الزواكي الطاهرات، وابن الأنبياء، وسليل النجباء..

أوليس للقارئ أن يعجب كيف كان هذا البطل المكلوم، والغريب المهموم، والعزيز الذي وقع بين برائن أولاد البغايا أسيراً، وهو يعاني من كل تلك المجرحات.. كيف كان يستطيع الجواب، ويرد على من افتري عليه وتعرض لساحة قدس مولاه؟!

هل يكون ذلك إلا من رجال سيّد شباب أهل الجنّة ﷺ، ومن أبناء أبي طالب ﷺ، ومن اختارهم الله على علم ليكونوا لمثل هذه المواقف؟! وعندها ينطلق اللسان كأمضى سلاح، وتنطق الجراح.. ولا يبالي القلب بما يعتري البدن، ولا يكلّ اللسان من هول المصاب وعمق القرع!

* * * * *

تنقسم المصادر كالعادة إلى أقسام في نقل ما ورد في المقام من حيث الاقتضاب والإطناب والاختصار والتفصيل، وتكاد تتفق على المضمون.

القسم الأول: المقتضبة

قال المسعودي:

«ثمّ أدخل إلى ابن زياد، فلمّا انقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب أمر به»... (١).

وقال أبو الفرج:

«ثمّ قال ابن زياد لمسلم: قتلتني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد من الناس في الإسلام. قال: أما أنّك أحقّ من أحدث في

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩، نفس المهموم للقمي: ١١٧.

الإسلام ما ليس فيه، أما أنك لم تدع سوء القتلة، وقبح المثلة،
وخبث السيرة، ولؤم الغيلة لمن هو أحقّ به منك» (١).

وقال الطبرسي:

«فقال ابن زياد: لعمري لثُقُفَلَن قتلَةً لم يقتلها أحدٌ من الناس
في الإسلام. فقال له مسلم: أنت أحقّ من أحدث في
الإسلام، وإنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وقبح السيرة،
ولؤم الغلبة. وأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعليّاً
وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه» (٢).

وقال ابن شهرآشوب:

«فأتى به إلى ابن زياد، فتجاوبا، وكان ابن زياد يسبّ حسينا
وعليّاً عليه السلام، فقال مسلم: فاقض ما أنت قاضٍ يا عدوّ
الله» (٣).

هذه النصوص المختصرة التي تحكي ما دار بين المولى الغريب عليه السلام
وبين ابن الأمة الفاجرة، وهي كما ترى تنقل مقطوعاً من الوارد في المتون

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٢) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣٢٠.

المفصلة، فترك البحث فيها هنا، إذ أننا سنتناولها هناك.

غير أن تعبير المسعودي في المروج فيه إشعارٌ بجمل التوقف عنده ولو على عجل، يقول:

«فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب أمر به» (١).

يفيد النص قوة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، ويعبر عن الضربات الموجعة التي سددها بشفرة لسانه إلى عدو الله، فأعجزه وطمه في جحره وهو يخال أنه يعيش زهو الظفر، فخاب وانقمع وتضاءل وانجحر.. ويبقى الشريف الكريم في كل حالاته شريفاً كريماً جليلاً عظيماً مهيباً مبادراً، يوجه أزمة الأمور وفق موازين الطاعة لله ولمن أوجب الله طاعته، ويضع المقاليد في مواضعها، لأنه يعرف ضخامته وفخامته وحقارة عدوه وذلته وصغاره، كما يعرف الملاحظ ذلك..

ويبقى القوي المتين الثابت الرصين يعطي لمن يواجهه فسحةً للفخار غالباً كان أو مغلوباً، فقد افتخرت أخت عمرو بن ودّ حينما أبلغت أن قاتل عمرو كان أمير المؤمنين حيدر الكرار عليه السلام، وقالت أنها سكنت لوعتها وهدأت رنتها، ولو كان قاتله غير أسد الله وأسد رسوله لبكت عليه سالف الأبد، ولكنها سوف لا تبكيه إذ أن قاتله كفؤ كريم.

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩، نفس المهموم للقمي: ١١٧.

وُسِّي سَيِّد الكائنات في زمانه الإمام زين العابدين عليه السلام وولده
 الوصي من بعده الإمام الباقر عليه السلام وفخر المخدرات عقيلة الطالبين عليه السلام،
 وكتبوهم.. وكانت لهم على عدوهم الوضع.. لأنَّ العظيم إذا وقع أسيراً
 بيد من هو دونه فهو زيادة في حقارة الدنيء وإمعانٌ في كشف زيفه
 وسخرية العارف بهما منه..

والقيود والأغلال لا تضعف القوي ولا تسلخ عنه هويته، ولا تزيد
 هيئته إلا جلالاً وعظمة، إذ لم يؤثر السبي والقيود في الإمام زين
 العابدين عليه السلام ولا في عمته فخر المخدرات عليه السلام، بل انبرى كلُّ منهما بما
 منحه الله من هيبةٍ وجلال وقوةٍ ووقار، فحدّوا للطغاة حدّهم، وقرّعوهم
 وفضحوهم، وكشفوا الحضيض الذي يتقلّبون فيه بأعمالهم، فإنَّ العزّة
 دائماً لله ولرسوله وللمؤمنين أينما كانوا وفي أيّ حال كانوا..

ومسلم عليه السلام يغلظ له في الجواب.. يكرّ عليه ولا يفرّ، فلم يجد الجبان
 الرعيد الفاشل سوى أن يأمر به، وهكذا جرت المقادير، والله الحكمة
 البالغة..

القسم الثاني: المفصلة

قال البلاذري:

«وقال الهيثم بن عديّ: حدّثني ابن عيّاش [ظ] عن مجالد،
 عن الشعبي قال: أدخل مسلم بن عقيل عليه السلام على ابن زياد

وقد ضُرب على فمه، فقال: يا ابن عقيل، أتيت لتشتيت الكلمة؟ فقال: ما لذلك أتيت، ولكنَّ أهل المصر كتبوا أنَّ أباك سفك دماءهم وانتَهك أعراضهم، فجئنا لنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر. فقال: وما أنت وذاك؟ وجرى بينهما كلام».

وقال هشام بن الكلبي:

«قال أبو مخنف في إسناده: قال ابن زياد لابن عقيل: أردت أن تشتت أمر الناس بعد اتفاقه، وتفرق ألفتهم بعد اجتماعهما.

وجرى بينهما كلامٌ حتَّى قال له: قتلتني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال له مسلم: أما إنك أحقَّ من أحدث في الإسلام، ما لم يكن فيه من سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة»... (١).

وقال الطبري:

«ثمَّ إنَّ ابن زياد قال: إيه يا ابن عقيل! أتيت الناس - وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة -، لتشتتهم وتفرق كلمتهم، وتحمل بعضهم على بعض! قال: كلاً، لست أتيت، ولكنَّ أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٠.

أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنامر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ أولم تكن تعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر!

قال: أنا أشرب الخمر؟ والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلت بغير علم، وأني لست كما ذكرت، وإن أحق بشرب الخمر مني وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمتيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد! فقال: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: والله ما هو بالظن، ولكنه اليقين. قال: قتلتني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام! قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتل، وقبح المثلة، وخبت السيرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق

بها منك.

وأقبل ابن سمية يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه.

وزعم أهل العلم أن عبيد الله أمر له بماء، فسقي بخزفة، ثم قال له: إنه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تُحرم بالشرب فيها، ثم نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا»^(١).

وقال ابن أعثم:

«فقال مسلم بن عقيل: إن قتلتي، فقد قتل شرُّ منك من كان خيراً مني.

فقال له ابن زياد: يا شاق! يا عاق! خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب على وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد، وأما الفتنة فإني ألقحها أنت وأبوك زياد ابن علاج من بني ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرِّ بريته، فوالله ما خالفك ولا كفرت ولا بدلت! وإنا أنا في طاعة أمير المؤمنين! الحسين بن علي بن فاطمة

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥ وما بعدها.

بنت رسول الله ﷺ، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه
وآل زياد.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة؟
فقال مسلم بن عقيل: أحق - والله - بشرب الخمر مني من
يقتل النفس الحرام، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يصنع
شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! ممتك نفسك أمراً، أهلك الله
دونه وجعله لأهله. فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن
مرجانة؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية. فقال مسلم بن عقيل:
الحمد لله، كفى بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد - لعنه
الله -: أظن أن لك من الأمر شيئاً؟ فقال مسلم بن عقيل: لا
والله، ما هو الظن ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: قتلني الله إن
لم أقتلك! فقال مسلم: إني لا تدع سوء القتل وقبح المثلة
وخبث السريرة، والله لو كان معي عشرة ممن أثق بهم وقدرت
على شربة من ماء لطال عليك أن تراني في هذا القصر...

... ولكني أريد أن أخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلى هذا
البلد؟ شئت أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم على
بعض! فقال مسلم بن عقيل: لست لذلك أتيت هذا البلد،

ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضى، وحملتوهم على غير ما أمركم الله به، وعلمتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإننا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله - تبارك وتعالى :- ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

قال: فجعل ابن زياد يشتم علياً والحسن والحسين - رضي الله عنهم -، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة منهم، فاقض ما أنت قاض، فنحن أهل بيت موكل بنا البلاء.

فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلى أعلى القصر، فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده. فقال مسلم عليه السلام: أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما

قتلتني، ولكنك ابن أبيك» (١).

قال المفيد والفتال:

«ثم قال ابن زياد: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جميع، فشتت بينهم، وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيانهم لأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب.

فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لم تعمل فيهم بذاك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! أما والله إن الله يعلم أنك غير صادق، وأنت قد قلتَ بغير علم، وأني لستُ كما ذكرت، وأنت أحقّ بشرب الخمر مني، وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويسفك الدم الحرام على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمنيك ما حال الله دونه، ولم يرك الله له أهلاً. فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٧ وما بعدها.

نحن أهله؟ فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد! فقال مسلم:
الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.
فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في
الإسلام من الناس. فقال له مسلم: أما إنك أحق من أحدث
في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة
وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحد. فأقبل ابن زياد يشتمه
ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً عليه السلام، وأخذ مسلم لا
يكلّمه» (١).

قال مسكويه:

«وانتهى بمسلم إليه. فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس
وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتحمل بعضهم
على بعض. قال: كلاً! لست لذلك أتيت، لكن أهل المصر
زعموا أن أباك قتل خيارهم، وعمل فيهم أعمال كسرى
وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالمعروف والعدل، وندعو إلى حكم
الكتاب. وتراجعا الكلام إلى أن قال له ابن زياد: قتلني الله إن
لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. قال: أما إنك أحق من
أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، وإنك لا تدع سوء القتل

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٠، روضة الواعظين للفتال: ١٥١، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٦.

وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة، لا أحد من الناس أحقّ بها منك. وأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعليّاً، وأمسك مسلم لا يكلمه» (١).

الخوارزمي:

«ثم قال لمسلم: يا شاقّ يا عاقّ، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقت الفتنة. فقال: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وإنّما ألحق الفتنة أنت وأبوك زياد ابن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرّبريته، فوالله ما خلعتُ وما غيّرت، وإنّما أنا في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر بالمدينة؟ فقال مسلم: الله يعلم أنّي ما شربتها قطّ، وأحقّ منّي بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة والظنّ، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنّه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! متّك نفسك أمراً حال الله دونه

وجعله لأهله. فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال له: يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد: أتظنّ أنّ لك من الأمر شيئاً؟ فقال: لا والله، ما هو بالظنّ ولكنه اليقين.

فقال ابن زياد له: قتلني الله إن لم أقتلك شرقتلة. فقال له مسلم: أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السرية ولؤم الفعلة لأحدٍ غيرك أولى منك، والله لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرتُ على شربة ماء، لطال عليك أن تراني في هذا القصر...

... ولكن أريد أن تخبرني يا ابن عقيل، لماذا أتيت أهل هذا البلد وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرّق عليهم أمرهم، وتحمل بعضهم على بعض؟ فقال له مسلم: ليس لذلك أتيت، ولكن أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وأنّ معاوية حكم فيهم ظلماً بغير رضئ منهم، وغلبهم على ثغورهم التي أفاء الله بها عليهم، وأنّ عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسرى وقيصر، فأتينا لنأمر بالعدل، وندعو إلى الحكم بكتاب الله إذ كنّا أهله، ولم تزل الخلافة لنا وإن قهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لأنكم أول من خرج

على إمام هدىً وشقَّ عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً
إلا قول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ﴾.

قال: فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين،
فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالشم والسب، فاقض ما أنت
قاضٍ يا عدو الله، فنحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء» (١).

وقال ابن الأثير:

«ثم قال لمسلم: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع
وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم. فقال: كلا،
ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك
دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر
بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب والسنة.

فقال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذ
أنت تشرب الخمر بالمدينة؟ قال: أنا أشرب الخمر؟ والله إن الله
يعلم أنك تعلم أنك غير صادق، وأني لست كما ذكرت، وأن
أحق الناس بشرب الخمر مني من يلغ في دماء المسلمين،
فيقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة، وهو

يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. قال: أما إنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحقّ بها منك. فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعلياً وعقيلاً، فلم يكلمه مسلم» (١).

وقال ابن نما:

«قال: اسكت، ويحك ما هولي بأمر! فقال عبيد الله: لا عليك، سلّمت أم لم تسلّم فإنك مقتول. قال: إن قتلّني فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خيرٌ منّي، فإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة، لا أحد أولى بها منك. فقال ابن زياد: يا عاق، يا شاق، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألححت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين أنت وأبوك زياد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على أيدي شرّ البريّة.

فقال ابن زياد: متّك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ قال: يزيد بن معاوية.

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٤، نفّس المهموم للقمّي: ١١٦.

فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد: أتظن أن لك شيئاً من الأمر؟ قال: والله ما هو الظن، وإنما هو اليقين.

فقال ابن زياد: أما كان في قيان المدينة ما يشغلك عن السعي في فساد أمة محمد؟ أتيتهم وكلمتهم واحدة، ففرقتهم. فقال: ما للفساد أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وأن معاوية ظلمهم وحمل فيهم إليه، فجئت لأمربالمعروف وأنهى عن المنكر، وأقوم بالقسط وأدعو إلى حكم الكتاب» (١).

وقال السيد ابن طاووس:

«فقال له: اسكت، ويحك، والله ما هولي بأمر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإئك مقتول. فقال له مسلم: إن قتلتني، فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني، وبعد، فإئك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحدٍ أولى بها منك.

فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن

زياد، إنما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة، فإنّما ألحقها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شربريته. فقال له ابن زياد: متّك نفسك أمراً أحال الله دونه وجعله لأهله. فقال له مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال له ابن زياد: أتظنّ أنّ لك في الأمر شيئاً؟ فقال له مسلم: والله ما هو الظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم، فشئت أمرهم بينهم وفزقت كلمتهم. فقال مسلم: ما لهذا أتيت، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمّرت على الناس بغير رضى منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملت فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنامر فيهم بالمعروف ونهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك. فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض يا

عدوّ الله» (١).

وقال النوري:

«ثمّ قال: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتيت بينهم وتفريق كلمتهم. قال: كلاً، ولكنّ أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب. فقال: وما أنت وذاك؟ ثمّ كانت بينهما مقالة، قال له ابن زياد في آخرتها: قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. فقال: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنّك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحدٍ من الناس أحقّ بها منك! فشتمه ابن زياد وشتم حسيناً وعليّاً وعقيلاً، ولم يكلمه مسلم» (٢).

وقال ابن كثير:

«فأقبل ابن زياد عليه، فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتفترق كلمتهم، وتحمل بعضهم على قتل بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكنّ

(١) اللهوف لابن طاووس: ٥٧.

(٢) نهاية الإرب للنوري: ٢٠ / ٤٠٢.

أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب.

قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ فقال: أنا أشرب الخمر؟ والله إنّ الله ليعلم أنّك غير صادق، وأنّك قلتَ بغير علم، وأنّك أحقّ بذلك ممّي، [فإنّي لستُ كما ذكرت، وإنّ أولى بها ممّي من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، ويقتل النفس التي حرّم الله بغير نفس، ويقتل على الغضب والظنّ، وهو يلهو ويلعب كأنّه لم يصنع شيئاً].

فقال له ابن زياد: يا فاسق، إنّ نفسك تمّيتك ما حال الله دونك ودونه، ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. قال: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. قال: كأنك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً؟ قال: لا والله، ما هو بالظنّ ولكنّه اليقين.

قال له: قتلتني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس. قال: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنّك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث

السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم]. وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً، ومسلم ساكت لا يكلمه. رواه ابن جرير عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة» (١).

وجود اختصار في النصوص المفصلة:

جاءت المحاجة والمناظرة أو المعركة الكلامية والمنازلة والمصالاة اللسانية - إن شئت فسمها - في بعض المصادر فيها شيء من التفصيل لما جرى بين سليل الطهر وسليل العهر، بيد أن بعضهم اقتطع النص واجتزأ منه لأي غرض كان، كأن يكون قاصداً للاختصار، أو خائفاً من انتشار رائحة الفضيحة التي كشف غطاءها المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، أو متكبباً المجادة العامة التي أوضح مناهجها العالم من عترة النبي صلى الله عليه وآله، لأن في ذلك إبطالاً لحجة أئمتهم وسادتهم، أو بدافع إرضاء السلطان، أو أي حاجة في نفس المؤرخ والراوي يؤد أن يقضيها بالاجتزاء والاختصار. ويشهد لذلك قول البلاذري:

«وَجَرى بَيْنَهُمَا كَلامٌ حَتَّى قال لَه: قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتَلْكَ».. (٢).

وقول مسكويه:

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٦.

(٢) جل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٠.

«وتراجعا الكلام إلى أن قال»... (١).

وقول النويري:

«ثم كانت بينهما مقالة، قال له ابن زياد في آخرتها»... (٢).

وهذا ما يعطي مجالا للمتابع أن يأخذ الزيادات المناسبة للموقف
بنظر الاعتبار، إذ أن هؤلاء أقرّوا أن ثمة محذوف في البين، فربما كانت
الزيادات من المحذوفات.

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣.

(٢) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٢.

فقرات المحاجة

أرسل ابن الأمة الفاجرة أرتالاً وكتائب عبّاهم لقتال البطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام، وكان فيهم صناديد عسكر السقيفة في الكوفة يومها، وقد أتينا على ذلك مفصّلاً في دراسة «الحرب الأخيرة»، وبقي هو يلوذ بمجدران قصر الخبال، تحوطه الحرس والرجال وتذود عنه الوحشة، ما يسمّيهـم بالوجوه والأشراف، وهو مع ذلك لا يقرّ له قرار، يتسقط الأخبار، ويتابع مرتعشاً خائفاً لا يدري ماذا يخبّؤه القدر من مواجهة فرع هاشم وغصن الشجرة المباركة وسيف الحسين عليه السلام البتّار، ويهتزّ كيانه حينما يسمع رسل ابن الأشعث وهو يستمدّ الفرسان ويستغيث ويطلب الرجال.

وبعد كلّ الذي جرى وصار، حكم القدر ووقع الضيغم المصور أسيراً في يد الأذنان والأقزام، بعد أن كظّه العطش وأُثنى بالجراح

وصرعته الضربة الغادرة التي مرّقت أحشاءه وغاصت في خاصرته، فظنّ الرعديد المتهاوي أنّه قد تماسك واجتمع شتات نفسه الخائرة، فدبّ الزهو في أعطافه، وتوثّب الغرور من أعماقه، بعد أن كبت وقع خلال فترة وجود المولى مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، وشال الكبرياء بقايا الغطرسة، فتنافخ وعاد الهواء لأنفه وتورّم وهو يرى الأسد الغالب مكتوفاً تحفّه الجلاوزة، وتشمت به الأنظار، والحرس يحوطونه وهو بين المترّفين والمترزّقة.

فبدا اللعين كأنّه وحشٌ أطلق من قيوده، وصار يتكلّم وفق المنهج الذي سار عليه أسلافه منذ لبسوا الإسلام لبس الفرو مقلوباً، وتمكّنوا من رقاب المسلمين بالقهر والغصب والحيلة والافتراء وقلب الموازين وتزييف الحقائق وعرض الباطل ممّوهاً بالحقّ الزائغ عن الصراط المستقيم.

فكال التهم، وافترى واجترأ، وعاند وكابر، وكذب على الله، وقلب الحقائق، وكان له ابن عقيل عليه السلام بالمرصاد، فقارعه وألقمه حجراً، فأذّله وكشف وجهه، فبان كأقبح من عراق خنزير مجذوم منتن ملقّى في حشّ يهود.

ويمكن أن يلاحظ كلام الخبيث الرجس من خلال عدّة محاور ركّز عليها في حوارهِ:

المحور الأول: المهمة

يتبين من النصوص التي ذكرناها قبل قليل أن ابن الأمة الفاجرة بدأ يفترى ويعرض أمام الحاضرين أفكاراً، ويستخدم مصطلحات شرعية وظفها توظيفاً مقلوباً، وعكس فيها المفاهيم وفرغ المصطلحات من معناها الحقيقي وحشاها معاني مغلوطة تتناقض تماماً مع إرادة الشارع الأقدس، وهو ما فعله جرذان السقيفة من قبل، فكان كلامه متهرباً متهاقناً لا يسترقبجه ولا يردم عفنه.

وقد حاول الضرب على مواضع تربى عليها الناس منذ أيام السقيفة، من خلال الالتجاء إلى الجماعة ووحدة الصف والتوجس من مقارفة الفتن والخروج على الإمام، وهكذا.. وسوف نستعرضها تباعاً إن شاء الله تعالى.

وهو يريد من خلال ذلك محاكمة أصل المهمة التي جاء من أجلها المولى الغريب سفير الحسين عليه السلام:

أولاً: تشتيت الكلمة، وحمل بعضهم على بعض!

ثانياً: شق العصا.

ثالثاً: إلقاء الفتنة.

رابعاً: الخروج على الإمام.

ردّ المولى مسلم عليه السلام

وكان ردّ المولى مسلم بن عقيل صاعقاً قوياً مدمراً، يأخذ بالعقول السليمة إلى سواء السبيل، ويسلك بها المنهج القويم، ويضعها على الصراط المستقيم، ويفتد مزاعم الخبيث، ويُرْجِع الموازين كما نصبها الله، ويسوّيها خلاف ما نكسها أعداء الله.

قال البلاذري:

«فقال: ما لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر كتبوا أنّ أباك سفك دماءهم، وانتَهك أعراضهم، فجئنا لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر» (١).

وقال الطبري:

«قال: كلاً، لست أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب».

وقال ابن أعثم:

«فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة، بل تغلب على وصيّ النبيّ بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّك ألقتها

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٠.

أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شربريته، فوالله ما خالفْتُ ولا كفرتُ ولا بدلتُ! وإِنَّمَا أَنَا فِي طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ وَآلِ زِيَادٍ».

وقال المفيد والفتال:

«قال: كلاً، لست لذلك أتيت، ولكنَّ أهلَ المصرِ زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لم تعمل فيهم بذاك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟».

وقال الخوارزمي:

«فقال: كذبت يا ابن زياد، إِنَّمَا شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ مُعَاوِيَةَ وَابْنَهُ يَزِيدَ، وَإِنَّمَا أَلْقَحَ الْفِتْنَةَ أَنْتَ وَأَبُوكَ زِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ عَلَاجٍ مِنْ ثَقِيفٍ، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ الشَّهَادَةَ عَلَى يَدَيِ شَرِّبَرِيَّتِهِ، فَوَاللَّهِ مَا خَلَعْتُ وَمَا غَيَّرْتُ، وَإِنَّمَا أَنَا فِي طَاعَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، فَهُوَ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ وَآلِ زِيَادٍ».

وقال ابن الأثير:

«فقال: كلاً، ولكنّ أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم
وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيّناهم
لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب والسنة».

وقال ابن كثير:

«قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك
قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى
وقيصر، فأتيّناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب» ...
ويمكن اختصار ردود المولى مسلم في نقاط:

أولاً: نفى عليه السلام أن يكون قد أتى لما زعمه واتّهمه به ابنُ الأمة الفاجرة.

ثانياً: إنّه إنّما جاء بناءً على شكوى ودعوة تقدّم بها أهل المصر.

ثالثاً: إنّ القوم قد استنصروا بهم واستغاثوا ممّا هم فيه من قتلٍ
وهتكٍ للأعراض وأعمال كسروية وقيصرية.

رابعاً: إنّ إغاثتهم للقوم ستكون عن طريق الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر، والدعوة إلى العدل وحكم الكتاب والسنة.

خامساً: إنّ معاوية ويزيد ليسوا خلفاء مجّمع عليهم، وإنّما تغلّبوا

على ما في أيديهم بالقهر والقوّة، فهم من شقّ العصا.

سادساً: إنّ من ألحق الفتنة هو زياد ابن أبيه وسليل العلوج ابن

زياد.

ملاحظات:

الملاحظة الأولى: الضمائر في حديث مسلم عليه السلام

يلاحظ في كلام المولى مسلم عليه السلام الدقة في استخدام الضمائر، فهو يقول: «ما لذلك أتيت»، «كلّ لستُ أتيت».. مستخدماً ضمير المفرد.

وحينما يريد الحديث عن الناحية التي توجّهت لها كتب القوم والجواب عليها والاستجابة لما فيها، يستخدم ضمير الجمع:

«فجئنا لنأمر بالمعروف»، «فأتيناهم لنأمر بالعدل»، «وندعو إلى حكم الكتاب»، «ونحن أولى بالخلافة»..

في إشارةٍ إلى أنه ليس هو صاحب الدعوة، ولا المباشر بالإجابة والإغاثة، ولا الطالب للخلافة، وإنما هو رسولٌ وممثّلٌ لمن وراءه، وليس هو إلّا رائد.

وفي ذلك ردٌّ وتفنيديٌّ قويٌّ لمزاعم ابن الأمة الفاجرة، وتشيتيٌّ لما يحاول تكريسه، فهو يخاطب المولى مسلم عليه السلام وكأنّه هو الذي جاء ليفعل ما يزعمه ابن زياد ويطمع في الأمر لنفسه، وأنّه القائد الأصل والرجل الذي يريد الوصول إلى غاياته التي صوّرها ابن زياد نفسه، وقد قبض عليه ابن زياد وأنهى كلّ ما كان يطمح إليه.

وربما أراد أن يمارس الخبيث حرباً نفسية مع الناس، ويوحى إليهم أن القيام قد انتهى، لأن قائده وزعيمه والمتصدّر لتحقيق الأهداف قد وقع في قبضته، وفي نفس الوقت يحاول أن يوقّر المسوّغات الكافية والأدلة الوافية لقتل المولى مسلم بن عقيل عليه السلام باعتباره خارجاً على الحكم شخصياً، وغيرها من المقاصد..

فكان ردّ البطل الهاشمي عليه السلام صاعقاً نبهاً دقيقاً، أتى على بيان عدوّه من القواعد فلم يُبق ولم يذر، إذ أجاب بصيغة الجمع مشيراً إلى أنه مفردة تمثّل العظيم الذي يُذكر بالتبجيل والتكريم والتعظيم، لأنّ ممّا يجزم به كلّ من يسمع كلامه عليه السلام أنّه لا يدّعي الخلافة لنفسه أبداً في قوله: «نحن أولى بالخلافة»، فهو ليس وحده، وإنّما هو رسول لإمامه عليه السلام.

الملاحظة الثانية: كتبوا وزعموا

في لفظ البلاذري: «كتبوا»، وفي لفظ غيره: «زعموا». والزعم أيضاً يأتي بمعنى القول، ومنه: زعم فلان كذا، أي قال (١)، فيكون المعنى واحداً. وليس المراد به الزعم بمعنى ادّعاء شيءٍ يحتمل الصدق والكذب أو التشكيك في أمر.

(١) مجمع البحرين للطريحي: ٦ / ٧٨ - مادة «زعم».

الملاحظة الثالثة: تشتيت الجمع

ذكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام جرائم زياد سليل العلوج وجرائم ابنه، كأنه اقتبس كلامه هذا من كتاب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية إذ يقول عليه السلام في حديث طويل:

«ثُمَّ سَلَّطْتَهُ (١) عَلَى الْعِرَاقِيِّينَ، يَقْطَعُ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَأَرْجُلَهُمْ، وَيَسْمَلُ أَعْيُنَهُمْ، وَيَصْلِبُهُمْ عَلَى جَذُوعِ النَّخْلِ، كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَيْسُوا مِنْكَ» (٢).

فقال مسلم عليه السلام:

«إِنَّ أَبَاكَ قَتَلَ خِيَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ، وَعَمَلَ فِيهِمْ أَعْمَالَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ»..

فإذا كان معك يا ابن زياد في الكوفة زبد من الغوغاء، فإن فيهم أيضاً من عَجَّ وضجَّ واستغاث من فعالك وفعال أبيك ومن سلطكها، فأنت وأبوك وأسيادكم من شتت الجمع وفرق الكلمة، وعمل بالظلم والجور، ومزق الناس كل ممزق، وجعلهم أحاديث وشراذم، حتى صار الرجل يخاف من مملوكه وخادمه أن يفوه بكلمة أمامه، وقتلوا على الظن

(١) أي: أن معاوية سلط زياداً - لعهما الله وأخزاهما - .

(٢) اختيار معرفة الرجال للطوسي: ١ / ٢٥٦، الدرّ النظيم لابن حاتم العاملي: ٥٣٤،

والشبهة تحت كل كوكب، حتى لقد كان الرجل يسقط بالكلمة فيضرب عنقه (١).

الملاحظة الرابعة: مؤدى الدعوة

قلنا قبل قليل أن المولى مسلماً عليه السلام حينما يتكلم عن مؤديات الدعوة فهو لا يتكلم بالمفرد، وإنما يتكلم باستخدام ضمير الجمع، فيقول: «فجئنا»، «فأتيناهم»، «ندعو».. فهو ليس عمل فردي يريد أن يتبناه شخصياً، وإنما هو واجهة وسفير وممثل للإمام الذي «جاء» و«أتى» و«دعا»..

وقد لخصها المولى مسلم عليه السلام وفق مجموع النصوص السابقة بثلاث

مهام:

الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثاني: الأمر بالعدل.

الثالث: الدعوة إلى حكم الكتاب والسنة.

وتعبير المولى - حسب المتون - عميق ودقيق جداً، لا يمكن للدعي ابن زياد ولغيره أن يستفيد منه استهداف الحكم وتبييت الاستيلاء على السلطة والتوثب على مقاليد الإمارة، حيث قال: «لنأمر بالمعروف

(١) أنظر: بحار الأنوار: ٣٣ / ١٨٠، كتاب سليم: ٢ / ٧٨٦.

ونهى عن المنكر»، «نأمر بالعدل»، «ندعو إلى حكم الكتاب»، وفي لفظ ابن الأثير أضاف: «السنة».

أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأمر بالعدل ودعوة إلى حكم الكتاب.. وهذه تكاليف مفروضة على كل مسلم آمن بالله واليوم الآخر، ولا يُشَمُّ من صياغة الفقرات ما يشير إلى تطبيق ومباشرة تنفيذ. قال: «نأمر بالعدل» لا «ننشر العدل» مثلاً، «ندعو إلى حكم الكتاب» لا «نطبق حكم الكتاب» أو عبارة أخرى تدلّ على هذا المعنى.. والبحث أعمق من ذلك بكثير، وليس هذا موضعه.

الملاحظة الخامسة: لفظ أمير المؤمنين

لقد ورد النهي مؤكّداً على لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام عن تسمية غير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بـ «أمير المؤمنين»، حتّى ولده الأئمة المعصومين عليهم السلام، فهو لقب خاصّ منحه الله - عزّ وجلّ - له، ولا يكون لغيره قطّ من الأولين والآخرين، كما ورد في حديثٍ طويلٍ للإمام الحسن المجتبي عليه السلام:

«تسميني بإمرة المؤمنين وما جعلها الله لي ولا لأخي الحسين، ولا لأحدٍ ممّن مضى ولا لأحدٍ ممّن يأتي، إلا لأمر المؤمنين خاصّة؟ أو ما سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال لأبي: يا علي، إنّ الله سمّاك بأمر المؤمنين، ولم يُشرك معك في هذا الاسم أحداً، فما تسمّى به غيره إلاّ

وهو مأفون في عقله؟» (١).

وفي تفسير فرات:

«عن عمر بن زاهر قال: قال رجلٌ لجعفر بن محمد عليه السلام: نسلّم على القائم بإمرة المؤمنين؟ قال: "لا، ذلك اسمٌ سَمَى الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لا يسمّى به أحدٌ قبله ولا بعده إلا كافر". قال: فكيف نسلّم عليه؟ قال: "تقول: السلام عليك يا بقيّة الله". قال: ثمّ قرأ جعفر: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وفي تفسير العياشي:

«دخل رجلٌ على أبي عبد الله عليه السلام فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقام على قدميه فقال: "مه، هذا اسمٌ لا يصلح إلا لأمر المؤمنين عليه السلام، الله سمّاه به، ولم يسمّ به أحدٌ غيره فرضي به إلا كان منكوحاً، وإن لم يكن به ابتلي به، وهو قول الله في كتابه: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾". قال: قلت: فماذا يُدعى به قائمكم؟ قال: "يُقال له: السلام عليك يا بقيّة الله، السلام عليك يا ابن رسول

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ١٩٢.

(٢) تفسير فرات: ٩٣ ح ٢٤٩.

الله"» (١).

وقال السيّد الجزائري في رياض الأبرار:

«وروى الثقة العياشي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ

دُونِهِ إِلَّا إِنَّا نَا﴾: إنه ما تسمّى أحدُ بأمير المؤمنين غير علي عليه السلام

إلا كان ممّن يؤتى في دبره وله حظٌّ من الأنوثة» (٢).

ولأنشك أنّ الفقيه العالم ربيب بيت أمير المؤمنين عليه السلام ومن آخاه

سيّد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام قد سمع ذلك ووعاه وعمل به، فلا

يمكن أن يسمّى الإمام الحسين عليه السلام بأمير المؤمنين، كما ذكره ابن أعثم:

«وإنّما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي...».

ويشهد لذلك تفرد ابن أعثم به، وأنّ الخوارزمي وغيره نقلوا النصّ

نفسه من دون هذه الزيادة.

إلا أن يقال - على فرض صحّة ذلك -: إنه أراد أن يفهم ابن زياد

أنّ هذا المقام «أمير المؤمنين» مقامٌ غصبه الأجلاف أسلافه، وهو لأمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خاصّة، وإن كان لغيره فهو لابنه

الحسين عليه السلام.

وهو بعيد؛ لما ذكرناه قبل قليل من ورود النهي عنه من جهة، ومن

(١) تفسير العياشي: ١ / ٢٧٦ ح ٢٧٤.

(٢) رياض الأبرار للجزائري: ٣ / ٢٠٤.

تعبيره عليه السلام بالخلافة في مقام بيان أحقية الإمام سيّد الشهداء عليه السلام كما سنسمع بعد قليل.

الملاحظة السادسة: الردّ على شقّ العصا ونفي الخلافة عن

معاوية

رمى ابنُ زياد الخبيث المولى مسلمَ بن عقيل عليه السلام بشقّ عصا المسلمين وتشتيت كلمتهم وتفريق وحدتهم، فردّ عليه البطل الهاشمي عليه السلام ردّاً أتى على بنيانه من القواعد، وأبان الحقّ وكشف الدجى بنير كلماته، التي أثبت فيها أنّ ابن زياد ومَن سلّطه على رقاب الناس هم الذين شقّوا العصا وفرّقوا الكلمة وشتّتوا الجماعة، وبذلك أعاد مسلم عليه السلام الحقّ إلى نصابه، وأرجع الميزان الذي حاول ابن زياد قلبه إلى اعتداله، ودلّ على القيم الأصليّة التي ينبغي الرجوع إليها والتحاكم وفقها.

فقال مسلم عليه السلام - كما في الفتوح - :

«كذبت يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفةً بإجماع الأمة، بل تغلّب على وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب، وكذلك ابنه يزيد ... وإنما أنا في طاعة ... الحسين ابن عليّ بن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد».

وفي المقتل للخوارزمي:

«فقال: كذبت يا ابن زياد، إنما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد ... فوالله ما خلعتُ وما غيّرت، وإنما أنا في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد».

عبارات المولى الغريب عليه السلام في هذا المقطع - كما هو في سائر عبارته - غاية في المتانة وقوة الاستدلال، وجزالة اللفظ وحبك المعاني، وترادف الأفكار والمعتقدات، وتتابع المقدمات والنتائج، وعمق الغور ودقة التعبير..

فهو أثبت - وفق نصّ ابن أعثم - أنّ معاوية قد تسلّط على الناس بالحيل والغلبة والقهر، ولم تكن الأمة مجمعة عليه، فهو لم يصل إلى سدة الحكم والسلطان بجعلٍ وتسديدٍ من الملك المئان، بل اختلسها اختلاساً، وغصبها غصباً من الوليّ الذي جعله الله إماماً مفترض الطاعة وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، والإمام العدل الذي جعل الله له الولاية على الخلق لم يخلع ولن يخلع بالغلبة والحيلة، ولم تسقط ولايته بإعراض جميع الخلق عنها، كيف! وقد كان فيهم الكثير ممّن يعتقد بها ويدين الله بإمامته وحاكميته وولايته.

فمعاوية - إذن - لم يكن إماماً مجعولاً من الله، وإنما أخذها بالغلبة

والقهر والحيلة والغدر، فلا هو منصوبٌ بالنص من الله تعالى، ولم يجتمع عليه مَنْ يسمّونهم بأهل الحلّ والعقد، ولا أفرزته شورى، ولا اجتمعت عليه الأئمة.. فبأيّ معيارٍ استولى على الحكم؟ ومن أيّ شريعةٍ استمدّ قوة السلطان؟

فإذا كان الإمام وصيّ النبي وخليفته الإمام الحسين والحسن المجتبي ومن قبلهما الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام هم أئمة الحق المنصوص عليهم من الله والمفروضة طاعتهم بنص رسول الله ﷺ، فمن خالفهم يُسمّى خارجياً مفارقاً للجماعة وشاقاً للعصا.

معاوية ليس خليفة، وبالأولوية لم يكن ابنه يزيد خليفة؛ لأنّ معاوية لم يأخذ الحكم وفق شريعة أقرّها الإسلام، ولانصّ عليها النبي ﷺ ولا ارتضاها رب العالمين، فكيف يخلف عليها ابنه؟! والإمام الحسين عليه السلام هو الخليفة بالحق، والوصيّ المنصوص عليه، فمن تمسك به وأطاعه فهو في طاعة الله، ومن خالفه فقد هوى وغرق وشقّ العصا. إنّها الحجّة القارعة، والبرهان الدامغ، والحجر المُسكّت الذي ألقمه لابن الأئمة الفاجرة..

الخارجيّ هو معاوية، ويزيد، وابن زياد.. ومن تبعهم ولهث خلفهم ولحس قياهم.. أمّا مَنْ تبع الإمام المعصوم فليس هو الخارجيّ، وإنّما هو على الصراط المستقيم، ومن كان في طاعة الحسين عليه السلام فهو في طاعة

رب العالمين، فهم المحور وبهم الجماعة، ومن فارقتها شبراً أو فتراً أو أقل من ذلك، فقد شقّ العصا ودعا إلى الفرقة وشئت الكلمة، ورجع إلى الجاهليّة القهقري، وأكبّه الله منكوساً في جهنم واللظى.

هذه هي سنّة الله وسنّة نبيّه، وليس كما يصوّره ابن زياد وأسياده.. والإمام الحقّ المنصوب من الله هو الجماعة وبه ومعه تكون، وكلّ من خالف سيّد شباب أهل الجنّة ﷺ وقاتله وأعان عليه، فهو خارجيّ خرج على إمام زمانه..

فليس الخارجيّ ولا شقّ العصا كما زعم ابن زياد ورمى به المولى الغريب ﷺ، وإنّما هو على العكس تماماً، ابن زياد هو وأسياده الخوارج، وهم من شقّ العصا.

وفي كلامه ﷺ هذا على اختصاره بحوث وفوائد عقائديّة وتاريخيّة كثيرة غنيّة، لا تسعها أوراق العجلان هذه.

الملاحظة السابعة: من ألحق الفتنة

في الفتوح لابن أعثم:

«وأما الفتنة، فإنّك ألحقّها أنت وأبوك زياد بن [عبيد بن]

علاج من بني ثقيف»..

ومثله في المقتل للخوارزمي.

السهاد مرّاً، وأطعمهم الذلّ والفضيحة علقماً، وسقاهاهم حنظل منابتهم
الذميمة التنتة ببيانه وحدّ لسانه، فلم يدع لهم مثلبةً إلا كشفها على
رؤوس الأشهاد، فسلب النوم من عيونهم، وزعزع عليهم استقرارهم..
مسلم عليه السلام الشجاع، ضربهم بالسيف وطعنهم بالسنان، وكبح
زهوهم وقمع كبرياءهم بلسانه وبيانه..

مَنْ هو ابن زياد وأبوه؟ أولاد الخيام المنصوبة على قارعة الطريق،
التي يدخلها كلّ رخيص، والنتاج المتولّد تحت رايات البغي المنشورة
للزناة، والنطف المنعقدة من سيلانات المياه العفنة المتداخلة من
سقطات المجتمع..

لقد واجهه مسلم بهذه الحقيقة المدمّرة أكثر من مرّة، فعرض به
حينما بحث عن قرشيّ في المجلس ليوصي إليه، فالتفت إلى عمر بن
سعد وقال: «لا أرى في المجلس قرشيّ غيرك».. فجاءت طعنة نجلاء
أفرغت أعطاف ابن الأمة الفاجرة المتورّم زوراً، إنّه التصق بأبي سفيان..
ثمّ واجهه هنا مباشرةً بكلمة أنفذ من السهم وأمضّ من السنان..
«أنت وأبوك زياد بن عبيد علاج من بني ثقيف!!».

وقد سبقه إلى هذا القول سيّده وسيّد الكائنات الإمام الحسين عليه السلام
في كتابه لمعاوية:

«أولست المدّعي زياد ابن سمّية، المولود على فراش عبيد ثقيف؟

فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر. فتركت سنة رسول الله ﷺ تعمداً، واتبعت هواك بغير هدى من الله» (١).

فحدّ المولى الغريب عليه السلام لابن زياد حدّه، وعرفه بحقارة أصله، ودناءة حسبه، وخساسة نسبه..

فديتك يا ابن عقيل على هذه الشجاعة التي يتراجع أمامها الصناديد، وينجحربين يديك الأبطال، فكيف بهذا الجبان الرعديد؟! ثم إنّ القوم منذ يوم السقيفة وقبلها شرعوا في قلب الموازين، ونكس القيم، ولبس الدين لبس الفرو مقلوباً، وتحريف معاني القرآن، وتشيت القلوب والأذهان، وتهديم بناء العقل البشري الذي بناه سيّد الأكوان النبي محمد الأمين عليه السلام ووصيه الناصح عليه السلام، وبناء عقل حشوه الشرك وطلاؤه الإسلام، يرضى بالمتناقضات ويخنع للترّهات، فزيفوا وحرفوا وشكّكوا، ودخلوا قرية الدين فدمروها تدميراً، وهذا هو شأن الملوك إذا دخلوا قرية، كما صرّح به القرآن.

وقد أعاد الحقّ إلى نصابه، ونصب الميزان معتدلاً مستقراً أبو حميدة، فأبان للرجس سليل الفاجرات أنّ الفتنة إنّما لقحت به وبأبيه

(١) اختيار معرفة الرجال للطوسي: ١ / ٢٥٦، الدرّ النظيم لابن حاتم العاملي: ٥٣٤،

وبمن سلّطهما، فجعلاً يسملان الأعين، ويصلبان على جذوع النخل،
ويلاحقان المؤمنين تحت كلّ حجرٍ ومدر، وهجّرا الآمنين من ديارهم،
وخبّطا الناس خبط عشواء، فلم يسلم من عذابهما أحدٌ من العالمين،
وهما يقتلان على التهمة والظّنة، ولطالما قتلا بريئاً ليرعبا به الآخرين..

فعلى هذا وغيره كثير، ولا زالت صفحات التاريخ تأنّ من احتوائه،
ولا زال المُراجع للتاريخ يصيبه الدوّار ويفغرفاه ويغلبه الغثيان من التردّد
على سطور الكتب التي استعرضت حياتهما وحياة أسيادهما.

لقد فعلوا ذلك معاندين مكابرين مصرّين عالمين بما يفعلون، لأنّ
مهمّتهم الأساس هي أن يفتنوا الناس عن دينهم، ويفرّقوا بينهم وبين
إمامهم الحقّ المنصوب لهم من ربّهم.

فهم أتون الفتنة وكانون النار الخبيثة المشتعلة من عظام الأبرياء
والمؤمنين والأتقياء، وهيب العار الذي يشردّ بالناس في عقائدهم
وأفكارهم ودينهم وكتابهم ونبيّهم وإمامهم..

أمّا الإمام الحقّ عليه السلام وصاحب الولاية الإلهيّة، فقد وعظ الناس
بالحسن، وجادلهم بالتّي هي أحسن، ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة
والموعظة الحسنة.. ومَن اقتدى به وامثل أمره وأطاعه وسلك نهجه
ومضى في سبيله مقتدياً بالصالحين ومتّبِعاً للنبيّين ومرافقاً للشهداء
والسعداء والصالحين، فليس هو ممّن فتن أو افتتن..

فما دام هو في طاعة الحق وإمام الحق، فلم يخلع، ولم يغير، ولم يبدل، ولم يكفر، تماماً كما قال في مجموع نصي ابن أعثم والخوارزمي:

«فوالله ما خالفْتُ ولا كفرْتُ ولا بدلت. فوالله ما خلعتُ وما غيرت، وإنما أنا في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولى بالخلافة من معاوية ويزيد وآل زياد».

أنا مسلم عليه السلام، في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة عليهما السلام بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله.. وأنت يا ابن زياد في طاعة مَنْ؟ في طاعة القردة التي تجيد فنّ النزو على كلّ حرمة، القردة التعيسة التي ما تكاثرت إلّا بالحرام وطريق الحرام، حفنة من البغايا والزناة والسقطات والزبد الاجتماعيّ المتلبّد بالعفن منذ قديم الأيّام، فلا شرف في جاهليّة ولا إسلام..

ما أقواك! وأشجعك! وأبعد دلالات كلامك! يا فارس الكوفة وسيف الحسين عليه السلام..

الملاحظة الثامنة: الخلافة والمُلك

أكّد المولى الغريب عليه السلام والبطل الهاشميّ الصنديد، أنّ ما زعمه ابن زياد وأسياده وأسلافه من خلال محاولة تمويه باطلهم بشفف الحق، ومزج عفن تسلّطهم وتجبرهم وقهرهم لعباد الله واتّخاذهم خولاً بشيء من عبق الرسالة وعبير الخلافة المنتسبة ولو من بعيد للنبيّ الأمين صلّى الله عليه وآله..

كذبة مفضوحة وفرية قبيحة لا تمرّ على العقول النيرة والقلوب الصافية،

فليس الأمر كما يزعمون أنهم خلفاء، وإنما هم ملوك وسلاطين بطّاشين جبارين يسيرون بسيرة كسرى وقيصر، ولا يستتّون بسنن خاتم المرسلين الأطهر صلّى الله عليه وآله.. فليقولوا ما يقولوا، وليشوّهوا كما يحلّوا لهم، فإنّ أعمالهم هي الحكم، وهي الشاهد عليهم «يقتلون الخيار، ويسفكون الدماء، ويعملون في الناس أعمال كسرى وقيصر..».

الملاحظة التاسعة: ادّعاء ابن زياد أنّه يعمل بالكتاب والعدل

روى الطبريّ أنّ ابن زياد ردّ على المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام لما شرح له سبب المجيء إلى الكوفة، وأنّ أهل المصر كتبوا يشكون فتنة ابن زياد وقتله خيارهم وسفكه دماءهم؛ «فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب»، فقال ابن الأئمة الفاجرة: «أو لم نكن نعمل بذاك فيهم؟».

ويحتمل في هذا النصّ احتمالان:

الاحتمال الأوّل: الكذب المفترع

أن يكون نصّ الطبري صحيحاً، ويكون ابن زياد بمستوى من الوقاحة والصلافة وصلابة الوجه بحيث يكذب كذبةً بهذه الضخامة التي تُغيّر كلّ حقيقةٍ شهد بها التاريخ، ووثّقها جرائمه وجرائم أسلافه في الغابرين.

ولا يستبعد مثل هذا البهتان العظيم على مثل ابن زياد، فقد فعلها جردان السقيفة، وسار عليها الطغاة عبر القرون.

الاحتمال الثاني: تحريف الطبري

لقد اعتدنا أن نسمع من الطبري ما تمجّه الطباع السليمة من تحريفٍ وتزوير وتزويق وتنميق لدمن القروء الأموية، وهو يحاول أن يلّمع كدرهم ويموّه دمنهم، فنسب العمل بالكتاب لهم على لسان ابن زياد. ولعلّ الصحيح هو ما رواه المفيد والفتال وابن كثير وغيرهم: «فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك؟ لمّ لمّ تعمل فيهم بذلك إذ أنت بالمدينة؟».

وفي لفظ ابن كثير:

«لمّ لا كنت تعمل بذلك فيهم...».

وفق هذا النصّ لم يكن ابن زياد يدّعي ذلك لنفسه، وإنّما أراد أن ينال من قداسة شخص المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، ويقول له كذباً وزوراً وبهتاناً واجترأاً على الله وأوليائه أنك لست مؤهلاً لهذه الدعوة..

الملاحظة العاشرة: ختام هذا المقطع من المحاجة

حجّة دامغة، وتقريعٌ عنيف، وكبحٌ لجموح الخيلاء، وقمعٌ لجنوح

الكبرياء الذي أذلّ الخبيث المتطاول، فأسكتته وملأفه القذر بالأحجار التي تلقم الكلاب المتوحّشة والسائبة، فانبهر اللعين وتقطّعت أنفاسه، فماذا يفعل! وقد أوقع نفسه في ورطةٍ ليس له منها خلاص.. فلو كانت حرباً بالسيوف والأسنة لأحالتها إلى صناديد الكوفة والمجرّبين في ساحات القتال من أمراء جيش السقيفة.. ولكّنها الحرب هنا عنده في قصر الخبال مواجهةً بينه وبين البطل الهاشمي عليه السلام، ولا حاجة له ولا طاقة على مقارعة حجج الحق!

فقال إلى طريق القروذ الأموية، وسلك منهاج السقيفة في الغدر والافتراء والكذب ومحاولة تفرّغ المقدّسات من القداسة، ظناً خائباً منه أنّ هذه القداسات كالهالات المنطفئة التي يسجّرها الملوك والسلاطين حولهم فيخدعون بها الناس، ونسي.. أو تناسى أو ضاق إناءه عن إدراك أنّها قداسة ربّانية وهالات نور إلهية، تستمدّ النور والقداسة من مشكاة النبوة والإمامة..

إنّ مسلماً عليه السلام من العترة النبوية، وابن زياد وأسياده ديدان نشأت في المزابل، وتوالدت وتكاثرت في النفائات المتراكمة في خيم البغاء الموبوءة وراء تلال مكّة وغيرها من الأمصار.. ومن هوان الدنيا على الله أن يرمي هذا الوغد الوقيح مقلع الرذائل مسلم بن عقيل عليه السلام بكلماتٍ نابيةٍ لا ترضى أن تنتسب إلى ساحته أبداً، لأنّها لا تنسجم مع منابت

الطهارة ومعادن العظمة والجلالة..

فعمد اللعينُ إلى أسلوبٍ رخيصٍ هجم فيه على شخص المولى الغريب عليه السلام، ليشنَّ حرباً نفسيةً استفزازيةً ربما يستطيع من خلالها أن يضطرَّ مسلماً عليه السلام للدفاع عن نفسه، ويسقط هيئته في عيون الحاضرين ومن سيبلغهم خطابه، في محاولةٍ جديدةٍ منه لقلب الحقائق وتزييف الموازين.

فقدفه بشرب الخمر!!! والعياذ بالله..

أهذا هو جواب الحجج التي ساقها مسلم بن عقيل عليه السلام؟! أهذا هو ردّ من أثبت له أنه وأسياده باطلٌ صراح، وقد اغتصبوا الخلافة اغتصاباً، ونزوا على منبر النبي صلّى الله عليه وآله شرّنزوا، وعملوا في الناس بأعمال كسرى وقيصر، وحاربوا الحقّ، وفتنوا الناس عن دينهم؟!

المحور الثاني: شخص مسلم بن عقيل عليه السلام

الأدب الرفيع يكون دائماً ملازماً لأصحاب الهامات الكبيرة والقمم الشماء السامقة والأشجار المثمرة المونقة الباسقة، أمّا النكرات والأقزام والذوات المعقّدة المتكوّنة من مزيج النطف، فإنّها لا يمكن أن تمارس إلاّ ما تفيض به الأوساخ المتراكمة في أصولها.. والنخلة المثمرة إذا رميتها تُسقط عليك رطباً جنيّاً، والصبر لا تتوقّع منه سوى المرارة والأشواك.. طفح ابن الأمة الفاجرة بما في وعائه، وهو لا يعرف سوى ما قال،

ولا ينطلق في اختيار الكلمات والألفاظ إلا من خلال الأجواء
والمفردات التي يعايشها ويصاحبها ويماسيها، فتملاً جوانحه وتظهر على
جوارحه ..

هو لا يجد إلا المفردة التي توفرت في قاموسه، وانبثقت من كوامنه..
لقد كبرونشاً وترعرع ونما منذ انعقاد نطفته القذرة في خيام السكر
ومجالس الفسق والفجور والغناء والقيان والفواحش وذوات الأعلام..
تجده لا يعايش إلا نملاً سكيراً يعاقر الخمرة وينام في دنائها، ويأنس
بالفواحش ما ظهر منها وما بطن ..

فإمامه وأميره وسيده يزيد - لعنهما الله - الذي باع آخرته بدنياه،
يقول وقد سكريوماً، فقال للمغني:

«غَنِّ، ثُمَّ قَالَ يَزِيدُ بَدِيهَاً:

إِسْقِنِي شَرْبَةً تَرْوِي فَوَادِي ثُمَّ مَلْ فَاسَقْ مِثْلَهَا ابْنَ زِيَادٍ
صَاحِبَ السَّرِّ وَالْأَمَانَةِ عِنْدِي وَلِتَسْدِيدِ مَغْنَمِي وَجِهَادِي
قَاتِلِ الْخَارِجِيِّ أَغْنِي حَسِيناً وَمُبِيدِ الْأَعْدَاءِ وَالْحَسَادِ

وقال:

وَلَوْلَمْ يَمَسَّ الْأَرْضَ فَاضِلُ بَرْدِهَا

لَمَا كَانَ عِنْدِي مَسْحَةٌ فِي التَّيْمَمِ

وقال:

معشر الندمان قوموا واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام واتركوا ذكر المعاني
شغلتي نغمة العيدان عن صوت الأذان
وتعوّضْتُ عن الحور عجزاً في الدنان

وقال:

عليّة هاتي واعلني وترمي بذلك أنّي لا أحبّ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سما بها إلى أحدٍ حتّى أقام البواكيا
ألا هات فاسقيني على ذاك قهوة تخيّرهما العنسيّ كرماً شاميا
إذا ما نظرنا في أمورٍ قديمةٍ وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإنّ متّ يا أمّ الأحيمر فانكحي ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حدّث عن يوم بعثنا أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بدّ لي من أن أزور محمداً بمشمولةٍ صفراء تروي عظاميا» (١)

تاريخهم مع الخمرة معروف مشهور، ولياليهم العاجّة بالغواني والقيان
مكشوفة مفضوحة، ومن لا يفارق هذه الأجواء إلّا لسفك دم حرام أو
ارتكاب فاحشة أو انتهاك حرمة لا يحيد لغة سوى التي تكلم بها ابن
زياد..

(١) تذكرة خواصّ الأئمة لسبط الجوزي: ٢ / ٢٧٨ - بتحقيق: حسين تقّ، زاده.

ومن سخرية الدهر أن يقف هذا اللئيم الحقير أمام الطود العظيم مسلم عليه السلام، ويتفوّه بهذه الكلمات النابية.. لكن هكذا جرت المقادير قدماً في أولياء الله، ومضت مشيئة الله في أنبيائه ورسله وأوصيائه عليهم السلام، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، والابتلاء سنة إلهية يفوز بها الأمثل فالأمثل من عباد الله الصالحين.

قارن - ولو بنظرة عجل - بين أراجيف ابن زياد والكلمات الوحشية التي تدافعت كالزبد من فمه لتفضح لؤم عنصره وتفاهة تنمره، وبين كلمات المولى مسلم بن عقيل عليه السلام الطهر الطاهر والمنار الواضح والنور اللائح والسمو والرفعة والتعالي عن الدنية..

تعييره بأمه

ابن زياد.. وهو من قد عرفت! وعرفه التاريخ! ولا غبار ولا لبس ولا تعميم على أصله وحسبه ونسبه.. ابن مرجانة، ابن سمية.. ولا ينكر ذلك أحد حتى زياد ابن أبيه نفسه وابن زياد ومعاوية.. كلّهم أقرب تنازع شذمة من الزناة المحترفين - الذين اعتادوا مراودة البغايا الرخيصات البائرات التنتات اللواتي لا سوق لهنّ في خيام البغاء - على زياد وابنه.. أمثل هذا يقف ليذكر مسلم بن عقيل عليه السلام وينسبه لأمه معرضاً

به!!؟

إنّه لعجب عجاب! عقيل! العالم بأنساب العرب، الذي كلّفه سيّد

الكائنات بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يختار له زوجة «أم البنين عليها السلام»، أختار من النساء امرأة عادية من عرض الناس لتلد له أولاداً يقتلون في محبة سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة عليه السلام؟

لكنها السنة الجارية في كل وضع متهاوٍ يستشعر الحقارة والذل والدناءة في أعماق كيانه، فتجيش به مراحل الحقد والبغضاء والضغينة والشحناء على كل طاهرٍ عفيف نظيف الأردن ناصع النسب مبرراً الأذيال..

روى البلاذري قال:

«حدثني حفص بن عمر، عن الهيثم بن عدي، عن عوانة قال: جرى بين ابن عقيل وابن زياد كلام، فقال له ابن زياد: إيه يا ابن حلية. فقال له ابن عقيل: حلية خيرٌ من سمية وأعف» (١).

«فلما رآه أمر به فكُتِف، وقال: أجنّت يا ابن حلية لتنزِع سلطانِي؟

قال: وحلية أمّ مسلم بن عقيل، وهي أمّ ولد» (٢).

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٣.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٤٢٣.

وفي تاريخ الطبري:

«حَتَّى أَتَاهُ، فَأَمْرَبَهُ فَكُتِفَ، ثُمَّ قَالَ: هِيَهْ هِيَهْ يَا ابْنَ خَلِيَّةٍ. قَالَ
الحسين بن نصري حديثه: يَا ابْنَ كَذَا، جِئْتَ لَتَنْزَعِ
سُلْطَانِي؟!» (١).

كَأَنَّ فِي خَبَرِ الطَّبْرِيِّ كُنَايَةً أُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِهَا الرَّائِي: «يَا ابْنَ كَذَا»،
تَفِيدُ أَنَّ الْخَبِيثَ نَطَقَ بِلَفْظَةٍ نَابِيَةٍ نَزَّهَ الرَّائِي نَفْسَهُ عَنِ التَّلَفُّظِ بِهَا، وَلَا
نَسْتَبْعِدُ صُدُورَ ذَلِكَ مِنَ الْوَعْدِ الرَّعِيدِ الَّذِي عَرَفْنَاهُ بِؤْرَةً لِلْأَقْدَارِ..
وَالْحَرْبُ عِنْدَ ابْنِ زِيَادٍ حَرْبُ سُلْطَانٍ، حَرْبُ تَسْلُطٍ وَنَزْوٍ وَتَحَكُّمٍ فِي
الرَّقَابِ.. وَمَنْ هُوَ هَذَا الْجَرَوُ الْأَجْرَبُ حَتَّى يَزْعُمَ لِنَفْسِهِ سُلْطَانًا؟! إِنَّمَا
هُوَ وَسْخٌ مُتَعَلِّقٌ بِذِيُولِ الْقُرُودِ الْأُمَوِيَّةِ لَيْسَ إِلَّا!

وَالْبَطْلُ الْهَاشِمِيُّ عليه السلام الَّذِي لَمْ تَفَارِقْهُ السَّكِينَةُ وَلَمْ يَزَالِهُ الْوَقَارُ أَبَدًا،
وَلَمْ يَسْتَفْزَ، وَهُوَ يَعْرِفُ حَجْمَ الطَّاعِيَةِ وَمَنْبَتَهُ.. لَمْ يَتْرِكْ لَهُ كَلِمَةً إِلَّا رَدَّهَا
رَدًّا صَاعِقًا مَخْرَسًا، يَجْزِمُ السَّمَاعُ لَهُ أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَرَضَ ذَيْلَهُ حَتَّى النِّهَايَةَ
نَدْمًا عَلَى مَا قَالَ وَوَرَّطَ نَفْسَهُ فِي مُوَاجَهَةِ هَذِهِ الصَّاعِقَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُنْقِضَةِ
عَلَى قَصْرِ الْخَبَالِ..

إِنَّهُ ابْنُ عَقِيلِ! الْمَعْرُوفُ بِحِدَّةِ اللِّسَانِ وَقُوَّةِ الْبَيَانِ وَبِدَاهَةِ الْجَوَابِ
وَسُرْعَةِ الرَّدِّ.. وَالابْنُ سَرَّابِيهِ!

ماذا يعيب ابن سمية على أم مسلم بن عقيل عليه السلام، التي ولدت مثل هذا الضرغام المكتوف، الذي انهال عليه بلسانه الذي نشفه العطش وفه الذي كسره الحجر وشفته التي مضى فيها السيف حتى قطعها وثناياه الناصلة من ضربة ابن حمران؟!

لقد ولدت «حلية» - كما سماها ابن زياد - مثل مسلم عليه السلام، الذي تعجز نساء الدهر أن تقوم عن مثله.. وماذا ولدت البغي سوى جرواً ربته القروء؟!

ردّها عليه سيف الحسين عليه السلام المسلول في الكوفة مسلم بن عقيل عليه السلام: «حلية خير من سمية وأعف» ^(١).. ذكره باسم سمية.. سمية ذات العلم التي لا يجهلها أحدٌ لحذقها ومهارتها في صنعتها، حتى برزت كلّ البغايا رغم دمايتها وبتن ريحها وزرقتها..

لقد حجرا بن عقيل عليه السلام الكلام على ابن سمية، إذ لا ينبغي لابن بغي لا تعرف العفاف أن يجري على لسانه أسماء النساء الزواكي الطواهر العفيفات المخدرات..

الافتراء بالفسق! الشقاق! العقوق! الافتراء بشرب الخمر!

القيان!

كلمات نابية، لا تليق إلا بابن زياد وأمثاله ممن عجمتهم القروء

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٣.

الأموية وهضمتهم مع الخمرة ثم قاتتهم، فسحوا على المجتمع قطعاً كبيرة تزكم الأنوف روائحهم، وتكتسح المجتمعات جرائمهم..

ولوبحث التاريخ عن نماذج مجسدة للفسق والشقاق والكفر والنفاق، وكل الرذائل والذميم من الأخلاق، لما وجد مثلاً أفضل من ابن زياد وأسياده..

هذه سيرة آل أبي طالب عليهم السلام بشهادة التاريخ، وسيرة آل زياد، لكتها أساليب السقيفة المعروفة في قلب الموازين وتحطيم المقدسات..

فمنذ اليوم الأول الذي تنمرت فيه جرذان السقيفة، وتمردت على الله، وهجمت متوحشة على بيت الوحي، وهتكت حرمان الله على رؤوس الأشهاد، واعتدت على بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبنته وبضعته وروحه التي بين جنبيه، وقتلت ابن النبي «المحسن» الشهيد، وطغت وبغت على الولي الوصي الناصح عليه السلام أمام أعين الناس، ولقنت الناس أخطر الدروس، وأفهمتهم أن أعظم الحرمات وأقدس المقدسات منتهكة مسحوقة في شرع هؤلاء، فما بالك بغيرهم! هكذا هم مع أهل بيت الوحي ومختلف الملائكة ومعدن العلم والحلم والكرم، فليحذر الآخرون.. تهديم أسس الدين، وتحطيم مقدساته، وتشويه صور المتقين، وإطفاء نور الله، وإخماد جذوة أوليائه.. سلوك أموي متواصل عبر التاريخ، ولذلك من الشواهد والدلائل ما يملأ أسفاراً.. وهذه

الافتراءات الفجة على مسلم بن عقيل عليه السلام مفردة من تلك المفردات، ومشهد من تلك المشاهد.. غير أن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون والكافرون..

وقد سمعنا مولانا المعظم وسيدنا المكرم وبطلنا المنزه عن الدنية يردّ على ابن زياد، فلا نطيل في هذا المقام، وما عسانا نقول ردّاً على ساقط متجاهر بارتكاب المحرمات والمآثم حتى لم يدع الله حرمة إلا اقتحمها؟! ولكن نقف وقفة سريعة عند ما وقف عليه نفس المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، لنسمع جوابه بكلّ فخر واعتزاز:

قال الطبري:

«قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلت بغير علم، وأني لست كما ذكرت، وإن أحقّ بشرب الخمر مني وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً».

ابن أعثم:

«فقال مسلم بن عقيل: أحقّ والله بشرب الخمر مني من يقتل النفس الحرام، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يسمع شيئاً».

المفيد والفتال:

«قال: أنا أشرب الخمر؟! أما والله إنَّ الله يعلم أنَّك غير صادق، وأنتَ قد قلتَ بغير علم، وأني لستُ كما ذكرت، وأنتَ أحقُّ بشرب الخمر مِنِّي، وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرَّم الله قتلها، ويسفك الدم الحرام على الغضب والعداوة وسوء الظنِّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً».

الخوارزمي:

«فقال مسلم: الله يعلم أنَّي ما شربتها قط، وأحقُّ مِنِّي بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام ويقتل على الغضب والعداوة والظنِّ، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً».

ابن الأثير:

«قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إنَّ الله يعلم أنَّك تعلم أنَّك غير صادق، وأني لستُ كما ذكرت، وأنَّ أحقَّ الناس بشرب الخمر مِنِّي من يبلغ في دماء المسلمين، فيقتل النفس التي حرَّم الله قتلها على الغضب والعداوة، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً».

ابن كثير:

«فقال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلتَ بغير علم، وأنت أحقُّ بذلك مِنِّي، فإنِّي لستُ كما ذكرت، وإنَّ أولى بها مِنِّي مَنْ يلغ في دماء المسلمين ولغاً، ويقتل النفس التي حرَّم الله بغير نفس، ويقتل على الغضب والظنَّ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً».

النصوص المحاكية لردِّ المولى عليه السلام في المتون التاريخية متقاربة، وتكاد تروي نفس المعنى سوى بعض الاختلافات في وسائل التعبير والتأكيد المستخدمة في النصِّ، وقد تركّز جواب المولى الغريب عليه السلام في عدّة نقاط:

النقطة الأولى: الاستنكار والنفي

مفاجأة مروّعة أن يُتهم الإنسان بما ليس فيه، ولا يمكن أن يكون فيه أويّدانيه.. فمن المفارقات التي لا تستوعب: أن يُرمى الأسد بالجن، أو الثعلب بالنسك.. فكيف يتنسك الثعلب الشرير، ويرمى الطهر الطاهر بما ليس فيه؟!!

غير أنّ الخبيث أراد أن يعرض صورةً للمولى الطاهر تثير المتابع، حيث وصفه بالميوعة ومعاقرة الخمرة - والعياذ بالله -، والخمّار لا يؤتمن ولا يرعوي ولا يعرف الغيرة.. وهي صفة ابن زياد وربّه يزيد وآبائهم!

وقد أبدى المولى الغريب عليه السلام استغراباً واستنكاراً شديداً لهذه الفرية، لأنها لا يمكن أن تشتمله ولا تنسجم مع ساحته المقدسة، فنفي ذلك بصيغة السؤال الاستنكاريّ العنيف: «أنا أشرب الخمر؟!»، ثم أكد ذلك النفي والاستنكار بالقسم: «والله»، وشدد التأكيد بجعل الله شهيداً على كذب الطاغية المبتذل: «إن الله يعلم أنك غير صادق».

ثم إنه قال ذلك بغير علم، والقسم لا زال ساري المفعول..

ثم نفي مرةً أخرى وقال: «أني لست كما ذكرت».. يستشعر القارئ أن مسلماً عليه السلام استنكف من هذه الفرية، فقد رماه الخبيث بكثيرٍ من الخلال التي لا تجوز في مسلم بن عقيل عليه السلام، بيد أنها من الممكن أن تصدر من مثل هذا الوحش المتطفل على الصورة البشرية، غير أن هذه الفرية فيها مما يدنس ساحة قدسه، ولو كانت بمستوى الفرية والكذب، ومسلم عليه السلام يأبأها ولا يحب أن تقاربه ولو كذباً، فأذياه أظهر من أن يتعمد رجس نجس من الدنوّ منها، والخمرة مبغوضة لآل أبي طالب عليهم السلام يوم كانت محبوبة عند العرب، وقد اجتنبها عمّه جعفر - بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله - ولم يشربها حتى في الجاهلية، كما هو شأن بقية أعمامه وآبائه وأجداده، فهي غريبة عنهم البتة..

مقرّر ومقرّف جداً أن يُرمى الطاهر بمثل هذه الفرية، وهي مؤلمة وموجعة رغم أنها كذب جزمًا.. ولم نشاهد مسلماً عليه السلام طيلة هذه

المصاولة الكلامية غضباً متظلماً مؤكداً في الردّ مثلما شاهدناه في هذا المقطع!

النقطة الثانية: مقارعة ابن زياد وردّها عليه

بعد أن نرّه المولى الغريب عليه السلام ساحته من هذه الفرية الباردة السخيفة التافهة التي لا يقبلها من له أدنى معرفة بمسلم بن عقيل وآل أبي طالب عليهم السلام، كرّ على الجرو المتغطرس، فرغم أنفه ومزّغه بالوحد، وأشعره بمقارته ووضاعته وحجمه المنكمش المتضائل وزهوه المتبدّد، وسحقه كفقعةٍ وطأت بقرقر..

بدأ البطل الهاشمي عليه السلام هجومه بأدبه الرفيع وألفاظه الجزلة وأدلّته الرصينة المتينة القويّة، وعباراته المتماسكة المتقنة المعبرة عن القلب الواثق بالله والإيمان الراسخ والمعرفة العميقة.. وقد أجابه في ردّين:

الردّ الأوّل: ابن زياد شارب الخمر، وصحّة نسبته لذلك

«إِنَّكَ أَحَقُّ بِشَرْبِ الْخَمْرِ مِنِّي».. أيّهم ابن زياد، اللقيط ابن اللقيط، الذي انتشله أبو سفيان من مطامر النفايات وحمله من مزابل البغايا؟! وقد أشرنا قبل قليلٍ إلى أنّ ابن زياد نشأ وترعرع في مجالس اللهو وخيام البغي وحانات الخمر.. وقد صرّح يزيد في أبياته التي سمعها

قبل قليلٍ أنّه وابن زياد عاقرا الخمرة ابتهاجاً بقتل سيّد الشهداء عليه السلام!
وتاريخ ابن زياد ومنبته وأصله وحياته وسلوكياته وأخلاقه والجو
الذي عايشه ومرتعته الذي نشأ فيه، كلّها مؤيّدات وشواهد أنّه ممّن
يعشق الخمرة ويعبّها في الدنان، فلا يحتاج أن يذكر ذلك أحدٌ أو يستدلّ
عليه، ومثل هذه الظروف لا تولّد إلاّ سكّيراً ثملاً مترنّحاً لا يصحو إلاّ إذا
اطمأنّ للكأس بين راحتيه يكرع فيه كالبهيمة.

الرّد الثاني: الأولويّة

إنّ المؤمن المتّق الذي يخاف الله ويطيعه في كلّ شيء، وتعلوه أنوار
العترّة النبويّة، ويُعرّف بالصلاح، ويشرب من رحيق الوحي، ويغتذي
من حدائق الجنان، لا يصدّق فيه هراء أولاد البغايا.

أمّا من قضى عمره في انتهاك الحرمات والاجترار على الله، وقد حمد
فيه الخير وانطفأت فيه النخوة، وعاش جرواً سائباً في حدائق القرود
الأمويّة، واغتذى بالدم وشرب منه، وهو «يلغ في دماء المسلمين ولغاً،
فيقتل النفس التي حرّم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك
الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب
كأن لم يصنع شيئاً»..

إنّ من يرتكب هذه - وهي فعال ابن الأمتة الفاجرة التي يعلمها هو
في نفسه ويشهد عليه التاريخ بها - أولى بشرب الخمر!

إذا كان لهوه ولعبه في انتهاك هذه الحرمات، والالتذاذ بعذاب الآخرين، والطرب على آهات الثكالى وأنين المظلومين وحشرجات المذبوحين.. فما يعني له حرمة شرب الخمر؟ وهل يفعل كل تلك الأفاعيل إلا من يعاقر الخمر فينتشي - بها، ويرتكب الفواحش ويستعذب الآثام؟!

ملاحظة: تشويه التاريخ!

إذا كان ابن زياد الخبيث يشوّه التاريخ ويفتري على مسلم بن عقيل عليه السلام بين يديه وأمام عينيه، ويقول له: إناك كنت في المدينة كذا وكذا، فماذا سيفعل بعد شهادته، وكيف سيفتري عليه؟ وماذا سيقول عن نفسه وعن عدوّه ابن عقيل عليه السلام الذي أذاق الطاغية الذلّ والهوان، وأهلكه وهو في عرش السلطان؟

ولانسى أنّ المولى الغريب عليه السلام قد قُتل في الكوفة وليس معه من أهل بيته وأنصاره المخلصين أحد.. قُتل غريباً، وحيداً، فريداً.. وقد بقي الراوية لما جرى عليه من الأعداء والمتزلفين المتكاثرين تحت مقعد ابن الأئمة الفاجرة، فكتبوا كما يحلّونه وأطاعوا ما أمرهم فيه!

المحور الثالث: تمنّي السلطة

يلاحظ ردود المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام في دقّتها، وانطلاقها من المباني الشرعيّة الكاشفة عن عمق معرفته وسعة علومه وقوّة تشخيصه وإحاطته بقيام إمامه سيّد الشهداء عليه السلام، فقد ركّز أكثر من مرّة خلال كلامه أنّه إنّما جاء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة المستنجدين بالإمام الحسين عليه السلام، ولم يتعرّض بأيّ إشارة من قريب ولا من بعيد إلى السلطة والحكم وإسقاط النظام.

ويلاحظ في تعبيره من الدقّة المذهلة التي تدعو القارئ إلى التأمّل العميق، وتجعله يكبر - غاية الإكبار والإجلال - هذا العالم الطالبيّ الفدّ، حينما يقول في أكثر من موضع - كما في الطبري والفتوح وغيرهما :- «فأتيناهم لأنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة»، فقد دعا القوم وأتاهم، وليس ابن زياد ولا القرد الأمويّ المجدور السائب في قصور الشام، ولا السلطان والحكم، ولا غير ذلك من الأغراض الإداريّة والمناصب الدنيويّة محطّ نظر، ولا موضع لحظ عند مسلم عليه السلام وعند مولاه ومولى الثقلين الإمام الحسين عليه السلام!

فهو قد جاء للناس .. أتيناهم .. ننهاهم .. ندعوهم .. وقد وجّه الإمام سيّد الشهداء عليه السلام كتابه مع مسلم عليه السلام إلى الناس وإلى من كاتبه، كما وجّه نفس المولى عليه السلام سفيره الثقة الأمين إليهم، ولم يوجّهه

إلى الوالي، ولا إلى أي جهةٍ أخرى تمثل السلطة يومئذٍ.. وقد أكد الإمام الحسين عليه السلام أنه قد خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلى سيرة أبيه وجده، فمن قبله بقبول الحق فإله أولى بالحق، ومن لم يقبله فيصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، كما ورد في وصيته عليه السلام (١).

(١) أنظر الوصية في: الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٢١، وفيه: «فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد ابن الحنفية المعروف ولد علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النجاة والصالح في أمة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي محمد صلى الله عليه وآله وسيرة أبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين - رضي الله عنهم -، فمن قبلني بقبول الحق فإله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي [الله] بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم [بالحق] وهو خير الحاكمين، هذه وصيتي إليك يا أخي! وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: ثم طوى الكتاب الحسين وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ابن الحنفية، ثم ودّعه».

ولا يفوت الملاحظ أنّ هذا النصّ ورد في وصيّة، والوصيّة إنّما تُفتَح ويُنظر فيها بعد الموت، فهي ليست مشروع عمل، وإنّما هي بلاغٌ عن

يُلاحظ أنّها وصيّة، والوصيّة لا تفتح إلا بعد الموت، سيّما أنّه ختمها بخاتمه، ويلاحظ أيضاً: «وسيرة الخلفاء الراشدين المهديّين - رضي الله عنهم -!!! فلم امتنع أمير المؤمنين عليه السلام في الشورى حتّى ذهبت إلى عثمان؟! ولماذا يأبى الإمام الحسين عليه السلام النزول على حكم ابن زياد والبيعة ليزيد؟! أوليس ولاية معاوية من سيرة الخلفاء الراشدين المهديّين!!! وولاية يزيد من معاوية؟! وحمل الخلفاء الراشدين المهديّين على أئمة الهدى لا يساعد عليه السياق، ويلاحظ أنّه ذكر الخروج لطلب النجاح والصالح حصراً مقابل نفي الأشر والبطر والإفساد والظلم!

هذه إشاراتٌ سريعة، وهذه الوصيّة تفرّد بنقلها ابن أعثم من دون أيّ إسناد وأعرض عنها العلماء والمؤرّخون فلم ترو في المجامع التاريخيّة عامّة إلا الخوارزمي الذي نقلها عن ابن أعثم بتغير «النجاح والصالح» إلى «الإصلاح»، ونقل منها ابن شهر آشوب عبارة واحدة كقول للإمام كردّ على كلّ المعترضين، ومن المتأخّرين ابن أبي طالب في التسلية بحذف «الخلفاء الراشدين من بعده رضوان الله عليهم» والعلامة المجلسي في البحار عن ابن أبي طالب وألحقها بحديث ابن حمران كأنّه في مقام الردّ عليه، وبالرغم من ذلك فقد جُعِلت في هذه الأيّام حاكمةً على جميع الأحاديث والروايات المعصوميّة! والحديث في هذا الموضوع يحتاج إلى تعمّق وتوسّع أكثر، ليس هذا محلّه، وقد تناولناه مفصّلاً مع شرح وافي لكلّ فقرات الوصيّة في كتاب مخطوط.

نوع القيام، وهي ردُّ على مَنْ سيزعم أنَّ قيامه إنما كان أشراً وبطراً أو فساداً، لأنَّ جميع ظروفه وشروطه الخارجيّة دالّة بوضوح على نتيجته وما سيؤول إليه الأمر من القتل الذريع والاستئصال، وقد أدرك هذا المعنى القاضي والداني والشريف والدنيّ، وصرّح به المعترضون على قيام سيّد الشهداء عليه السلام من قبيل ابن عباس وابن عمرو ابن مطيع وأضرابهم..

ولا يفوت أيضاً أنَّ هذا نصّ تاريخيّ واحد نقله ابن أعثم في الفتوح، وربّما أخذ عنه مَنْ جاء بعده، ويقابله كمُّ هائلٌ من النصوص الشرعيّة المقدّسة الصريحة الواضحة من النبيّ الخاتم صلّى الله عليه وآله وأوصيائه الأولياء عليهم السلام سادات أهل العالم، المؤكّدة على الجانب الغيبيّ في قيام سيّد الشهداء عليه السلام، وأنَّ له يوماً مشهوداً، وقتلاً معهوداً بتفاصيله، وأرضاً تنتظره، ومصرعاً محدوداً، وحفرةً معدّة له، وهو قاتل العبرة، وثار الله ووتره الموتور.. وكلّ ما يجري من ظروفٍ خارجيّةٍ إنّما هي مقدّمات لوقوع المصيبة العظمى، وتحقيق الإرادة الإلهيّة والغاية القصوى، وجميع ما ترتّب على تلك الشهادة من آثار من إحياء الدين وإبقاء شريعة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وحفظ الملة وترسيخ الإمامة، وغيرها من الآثار والفوائد الدنيويّة والأخرويّة التي لا تُعدّد ولا تحصى.. إنّما هي نتاج تلك الطاعة، وثمار لبذل الدم الزاكي، وتعرّض حرم الله وحرم رسوله إلى ما تعرّضت إليه من السبي والتعذيب والاضطهاد والسلب والنهب والإحراق

والعرض في المجالس والأسواق.

فالهدف الأول والأخير والغرض الأُوحد إنّما هو طاعة الله حينما شاء أن يراه قتيلاً وشاء أن يراه ن سبانيا.. وقد بذل سيد الشهداء عليه السلام مهجته الزاكية المقدسة في الله فقط؛ «بذل مهجته فيك» (١)؛ فكانت النتيجة استنقاذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة وغيرها من الآثار.. فالحسين عليه السلام - وهو حبيب الله ومحبه - بذل مهجته في الله فقط، ولا يمكن أن يكون دم الحسين عليه السلام ثمناً لشيء آخر، كما لا يمكن أن يكون لدمه ثمناً سوى الله، فكان ثار الله ووتر الله!

والبحث في هذا الأمر الخطير الدقيق ذي الأبعاد المترامية والنتائج الخطيرة المؤثرة ليس هذا موضعه (٢)، وإّما ذكرناه هنا باقتضاب، نحسب أنّه محلّ، غير أنّه يشير ولو إشارةً ضعيفة تفيد في فهم موقف المولى

(١) هذا لو لم تكن هذه العبارة جملة اعتراضية في نصّ الزيارة: «وجعلته حجة على خلقك من الأصفياء - فأعذر في الدعاء وبذل مهجته فيك - ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة والعمى والشك والازتياب إلى باب الهدى من الردى»، فيكون ليستنقذ عبادك تتمّة لقوله: «جعلته حجة»، أي أنّك جعلته حجة ليستنقذ عبادك فأعذر في الدعاء.. وهذا ما يفعله جميع الأئمة باعتبارهم حجج الله وقد بذلوا مهجهم وأنفسهم جميعاً في الله كما في الزيارة الجامعة وغيرها، وهو أظهر وأوفق بالسياق، ولتفصيل الكلام في ذلك موضع آخر.

(٢) أنظر: مجلّة جنة الحسين عليه السلام التخصصية: العدد الخامس لمحرّم سنة ١٤٣٥ /

مقدّمة رسالة العلامة المجلسي عليه السلام في حكمة قيام سيد الشهداء عليه السلام.

الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وعظمته وأبعاد معرفته التي لا تدرك أغوارها لقيام سيّد الشهداء عليه السلام.

وقد أكد العالم الطالبي عليه السلام أنه إنّما جاء للقوم لا للسلطان، بناءً على دعوة الناس مستجيباً لاستغاثتهم واستنجادهم، وقد توجه نحوهم وهم قصده، وليس ابن زياد ملحوظاً كهدف مقصود لوحده، وإنّما هو فعل ما فعل متابعاً لجرائم أسياده وأسلافه، فضاق الناس ذرعاً ودعوا سيّد الشهداء عليه السلام وشكوا له ما هم فيه، فأرسل لهم مسلماً عليه السلام سفيره في مهمّة خاصّة أتينا على ذكرها مفصّلاً بأبعادها وتفصيلها في بحثٍ مستقلّ، والغرض من مجيء الإمام سيّد الشهداء عليه السلام إنّما هو ليأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويدعوهم إلى حكم الكتاب وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسيّد الأوصياء عليه السلام، لتكون هذه الدعوة التامة مناراً يتبعه التائبون، ومحجّة واضحة يسلكها المتلكّؤون، وطريقاً ومنهاجاً يسير عليه الضائعون المضلّلون، فقد هجروا القرآن وضيعوا السنن، وضلّلوا الناس منذ يوم السقيفة، بل حاولوا محاولات حثيثة في إطفاء نور الله قبل ذلك اليوم أيضاً، ولا يخفى ذلك على القارئ للتاريخ والمتابع للنصوص النبويّة والمعصوميّة.

وقد جهد الأمويّون ومن مكّهم من الرقاب أن يصوّروا الحرب بينهم وبين الأئمّة الأوصياء عليهم السلام بكلّ صورة، ويظهرونها بكلّ مظهر من

الحرب على السلطان، والتنافس في فضول الحطام، والتنازع على القدرة والحكم، والصراع العائلي والتنافس القبلي، وما شاكل.. لئلا يكون الأمر كما هو في الحقيقة صراعاً بين الحق والباطل، ونزاعاً على تحكيم إرادة الله أو تحقيق أمانى الشيطان، والفرق بين الدعوتين المسارعة في رضا الله أو التناقل في مغريات الشهوات ونزوات الشيطان.

وليس الحكم والسلطان عند المعصوم إلا جزء ضئيل من مهامه الإلهية، يقيم به الحق ويدحض به الباطل من موقع معين بذاته، فإن كان فسيّئخذة أداة، وإلا فهو القائم لله بالحجة البالغة، والداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمقيم للحق والداحض للباطل، والوصي المعين من الله، لا يعزله أحد، ولا ينال رتبته مخلوق أياً كان، وكل الأئمة عليهم السلام هداة مهديون قائمون لله، بهم يقوم الدين، وبهم تثبت الشريعة، وبوجودهم يتحقق العابد الحق المتمحّض لله بالعبودية، فيتحقق الغرض من الوجود، فيبقى الكون لبقاء الهدف والغاية منه؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وهو جارٍ سارٍ فيهم جميعاً، من قام منهم ومن قعد، ومن صالح ومن قاتل، ومن قُتل بالسّم غيلةً ومن ضُرب بالسيف ضربةً ومن قُطعوه إرباً إرباً..

ولذا حاول القروذ وأذناهم وجراؤهم أن يرموا سيّد الشهداء عليه السلام، الذي أعلن منذ اللحظة الأولى أنّه يمشي مسرعاً إلى الموت العزيز الذي

اختاره الله له، وأن من يلتحق به سيبلغ الفتح بالشهادة، وقد أزعج وأخرج من بلد جدّه ومسقط رأسه المدينة المنورة، ولوحق في مكّة، فكان لابد أن يُقتل فيها إن لم يخرج، فخرج لئلا يهتكوا بقتله الحرمات، متوجّهاً إلى أرض المصرع الموعود..

والأمويّون كانوا ولا زالوا يرمون القيام الحسيني المقدّس بهذه الفرية المقذعة، ويّتهمونه بطلب ما لم يطلبه، ليأكّدوا أنّهم كانوا في السلطة وخرج عليهم خارجي، فاستباحوا حمّاه، واستأصلوا شأفته، وسبوا عياله، ليكون عبرة لمن اعتبر!!! وهذه عاقبة التنازع على السلطان حينما يكون السلطان أقوى من المنازعين له..

وقد قال أبوه أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك» (١).

والأمويّون أيضاً جهدوا أن يظهروا بمظهر السلطان المختار من الله، وأنّ سلطانهم يمثّل الإرادة الربّانية، ومن نازعهم إنّما نازع سلطان الله، ومن خالفهم وعارضهم إنّما عارض إرادة الله وسخط عليها! فانطلق الجرو الأمويّ الأجرب من نفس منطلقات أسياده، فجعل يرمي ساحة

المولى الغريب عليه السلام ويقصد من ورائه الطعن بقيام سيّد الشهداء عليه السلام، فقال له ابن زياد:

«إِنَّ نَفْسَكَ تَمْتَلِكُ مَا حَالَ اللَّهُ دُونَهُ، وَلَمْ يَرْكُ أَهْلَهُ.

قال: فَمَنْ أَهْلُهُ يَا ابْنَ زِيَادٍ؟ قال: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ!!!

فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، رَضِينَا بِاللَّهِ حَكَمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

قال: كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ لَكُمْ فِي الْأَمْرِ شَيْئًا؟

قال: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالظَّنِّ، وَلَكِنَّهُ الْيَقِينُ» (١).

وفي نصّ ابن أعثم:

«فقال له ابن زياد: مَتَتَكَ نَفْسُكَ أَمْرًا، أَحَالَكَ اللَّهُ دُونَهُ وَجَعَلَهُ لِأَهْلِهِ.

فقال مسلم بن عقيل: وَمَنْ أَهْلُهُ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ؟

فقال: أَهْلُهُ يَزِيدُ وَمَعَاوِيَةُ!!

فقال مسلم بن عقيل: الْحَمْدُ لِلَّهِ، كَفَى بِاللَّهِ حَكَمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

فقال ابن زياد - لعنه الله -: أَتَظُنُّ أَنَّ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا؟

فقال مسلم بن عقيل: لَا وَاللَّهِ، مَا هُوَ الظَّنُّ وَلَكِنَّهُ الْيَقِينُ ...

(١) تاريخ الطبري، وقد مرّ تخريجه قبل قليل.

... ولكني أريد أن أخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلى هذا البلد؟ شئت أمرهم، وفزقت كلمتهم، ورميت بعضهم على بعض!

فقال مسلم بن عقيل: لستُ لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضى، وحملموهم على غير ما أمركم الله به، وعلمتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنامر فيهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم نزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإنا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

وقد ذكرت مصادر أخرى هذا المقطع من المناظرة والمحاجة بين الأسد الهاشمي عليه السلام والجرو الأموي، غير أن ألفاظها قريبة قد لا تكون فيها إضافات ملحوظة على ما ذكره الطبري وابن أعثم، فاكتفينا هنا بهما.

ويمكن أن يفيد النصّ عدّة ردود ردّ بها المولى الطالبي عليه السلام:

الردّ الأول: أهل الأمر

قد يكون التسديد الإلهي حليف العبد، فيأخذ بما أمره الله به، وقيس الآخرين وفق مقاسات الشريعة الربّانية، ويحكم عليهم مستنداً إلى الأحكام النبوية ومنهاج الأئمة الطاهرين عليه السلام.. أما إذا كان الإنسان مخذولاً، قد اتخذ إلهه هواه من دون الله، وصار وكرّاً للشيطان، فإنّه يقيس الناس وفق مقاساته، ويحكم عليهم بناءً على متبنياته وقناعته الذاتية.

فظنّ ابن زياد أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد تمّنّى السلطة وراح يحلم بمواقع القدرة، وقد خاب وافترى، فليس من كلامه شيء يصدق على المولى الغريب عليه السلام الموعود بالشهادة من خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وسيد الشهداء والمظلومين عليه السلام، وقد جاء سفيراً للإمام الحسين عليه السلام في مهمّة خاصّة محدّدة المعالم، وهو يعلم عاقبته في الكوفة تماماً.

ومع ذلك فقد جاره وسأله بكلّ ثقة وثبات، وقال:

«وَمَنْ أَهْلُهُ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية!! فقال

مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفى بالله حكماً بيننا وبينكم».

واللفظ لابن أعثم، وقريب منه لفظ الطبري.

ويمكن إجمال ردّ المولى في نقاط:

النقطة الأولى: ابن زياد وابن مرجانة

نقل الطبري خطاب المولى الغريب عليه السلام للجرو الأمويّ بلفظ: «ابن زياد»، ونقله ابن أعثم بلفظ: «ابن مرجانة»، وليس كبير فرق بين اللفظين، وكلاهما تقيعٌ وتحقير ومنقصة في الوغد، فابن زياد المنسوب إلى أبيه المجهول النسب والهوية اللقيط اللصيق المعروف بالبطش والدموية والجرائم والجنايات التي شهد بها التاريخ وشهد بها سيّد الشهداء عليه السلام وشهدا أهل الكوفة حتّى ضجّوا منها.. وابن مرجانة البغيّ المعروفة المشهورة.. فهو على كلا التقديرين نتاج الزنا والنسب المجهول والعقدة الحقيرة الدنيئة التي يتقرّز من ذكرها كلّ إنسانٍ لمجرّد كونه بشراً، وفي هذا الخطاب نفسه ردٌّ صاعق مدمرٍ يجبر على أبناء الزواني أن يتكلّم في السلطان والحكم، لأنّ من شروط الحاكم أن يكون طاهر النسب.

النقطة الثانية: من أهله؟

يبدو من سياق الكلام أنّ سؤال مسلم بن عقيل عليه السلام كان سؤالاً استنكارياً تقيعياً، وهو لا يريد أن يدّعي شيئاً لنفسه، وإنّما يريد أن يطعن في خيار ابن مرجانة ويقول له: فمن تظنّه أنت الدعيّ ابن الدعيّ

واللصيق ابن اللصيق مؤهلاً لذلك؟ وهو يعلم أنّ ابن مرجانة لا يعدو أن يذكر أصدامه التي يعبدها، وهم أنفسهم الذين شكاهم أهل الكوفة، وضجّوا من تسلّطهم على الرقاب، وهتكهم للحرّمات، واستخفافهم بالدماء والأعراض.. فقال ابن مرجانة: أهله يزيد ومعاوية!!

النقطة الثالثة: الاحتكام إلى الله

يبدو من حُبث ابن مرجانة أنّه كان يجرّ الكلام لبدر من المولى الغريب عليه السلام أي لفظةٍ يمكنه أن يوظّفها أمام الملاء وينسب فيها ما لا ينبغي نسبته إلى مسلم بن عقيل عليه السلام من خلال إيكال الأمر إلى الله، فلو بدرت من مسلم عليه السلام أي بادرةٍ أو لفظةٍ تفيد نفي ذلك، ولو كانت صحيحة - ولا يصدر من ثقة الحسين مسلم عليه السلام إلا الصحيح -، بأن يقول له: لا، إنّ الله ما أراد ذلك.. وأخذ يشرح له الاعتقاد الصحيح ومعنى الإرادة الإلهية وحرمة نسبة العصيان والطغيان وسفك الدم الحرام والتسلّط بالظلم والجور إلى الله، لأخذها الخبيث وطاربها وشوّها للنّاظرين، والأكثرية يومها كانت من أتباع السقيفة تقتات على إفرازاتها والقيح الراشح منها، ويمكنها أن تستسيغ كلام مثل ابن زياد، ويصعب عليها إدراك الحقّ وكلام رجاله.

وبالتالي، فإنّ قضاء الله وقدره جارٍ في الخلائق، ولو من باب «كيف ما تكونوا يولّ عليكم»، ولذا أجابه المولى عليه السلام فقال: «الحمد لله،

كفى بالله حكماً بيننا وبينكم».

وهذا التعبير الرائع عن التسليم لله والحمد والشكر له، وهو الذي لا يُحمد على مكروهٍ سواه، يتضمّن تكذيباً واضحاً لمزاعم ابن مرجانة، فقد حمد الله - فداه رُوحى -، وجعله حكماً بينهم، وهو خير الحاكمين، ولا يحكم إلا بالعدل.

وربما تضمّن أيضاً معنى أنك ظالم متجبر وطاغوت متكبر، تدّعي شيئاً لا تريد أن تقبل غيره، فليحكم الله بيننا. وعلى كلّ حال، فهو ردٌّ قوي، لأنه قد أوكله إلى من لا يغلبه غالب ولا يفوته مطلوب.

الردّ الثاني: اليقين

يمكن استعراض الردّ الثاني في نقطتين:

النقطة الأولى: الدفاع عن حقّ الإمام

إنّ المولى الغريب عليه السلام وقف هنا موقفاً يدافع ويكافح فيه الظلمة عن الحقّ المسلوب منذ اليوم الأول والخلافة التي زُويت عن أهلها ووُضعت في الأراذل والأوباش، حتّى بلغت إلى قاع لا يُحتمل يوم نرى عليها القرد المجذور يزد الخمر والفواحش والشُرور.

وابن الأمة الفاجرة حينما يتكلّم مع المولى الغريب عليه السلام، يعلم أنّه

سفير للإمام عليه السلام، فهو يكلمه كسفير، ويقصد أن يناقش في أصل القيام وحركة سيّد الشهداء عليه السلام، ولو كلمه بشكل شخصي. ليفتري عليه ما ليس فيه، بغية إعداد المسوّغات للقتل وإعلان الذرائع أمام الملاء، ويشهد لذلك قوله: «كأنك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً»، فهو يخاطب مسلماً عليه السلام: «كأنك تظنّ» بضمير الخطاب المفرد، ثمّ يعدل عنه إلى ضمير الجمع: «أنّ لكم».

وكذلك كان المولى الغريب عليه السلام يتكلّم مدافعاً عن حقّ الله المضيع بين العباد، والسعادة المهدورة بترك اتباع الإمام المفروض الطاعة، وهو لا يدّعي شيئاً من ذلك لنفسه، وحاشاه، وهو أعلى وأجلّ وأكبر من أن يدّعي ما لم يجعله الله له، نستغفر الله ونتوب إليه.

فحينما يقول له ابن زياد - لعنه الله - «أتظنّ أن لكم (لك) من الأمر شيئاً». يرّد عليه مسلم بن عقيل: «لا والله، ما هو الظنّ ولكّنه اليقين».. جزماً هو لا يقصد أنّ له شخصياً من الأمر شيء إلا بمقدار ما يدافع به المؤمن عن الأمر الإلهي، ويكافح من أجل فرض المنصب يوم الغدير بأمر ربّ العالمين والنبيّ الأمين صلى الله عليه وآله.

وبهذا يتّضح أنّه كان يطالب بحقّ ثابتٍ منذ اليوم الأوّل وقد سلب من أصحابه، وليس يطالب بسلطةٍ ضيقةٍ محدودة اجتمعت بعض خيوطها بيد ابن الأمة الفاجرة.

النقطة الثانية: اليقين

صعد أول القوم فقال أن له شيطاناً يعتريه (١)، وتمنى شطيره أن يكون بكرة (٢)، وكبت بثالثهم بطنته، إذ كان نافجاً حُضنيه بين نثيله ومعتلفه (٣)، وكان كلٌ منهم شاكاً في نفسه لا يعلم عاقبة أمره، فلمَّا ارتقى أمير المؤمنين عليه السلام مراقي المنبر أعلنها إعلان الواثق برّبه، فقال: «أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يقولها غيري إلّا كَذَابٌ مفتر»، وهو مليك مفاتيح الجنّة وقسيم النار، لأنّه وصيّ النبي المختار صلّى الله عليه وآله بأمر القويّ المتين الجبار..

والمؤمن لا يشك ولا يعتريه الريب فيما أمر به الله وأعلنه رسول الله صلّى الله عليه وآله، فكيف إذا كان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ربيب أمير المؤمنين وأخو الحسين عليه السلام.

أراد الخبيث الرجس أن يجعلها بمستوى الظنّ والخيال والتوهم والتمني والتطلع والأحلام، تماماً كما هو شأن عبید الدنيا وأبناء الشهوات واللذات، فردّ عليه الليث الطالب عليه السلام بالحقّ الإلهي وبثقة العارف بالله

(١) أنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ٣٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٦ /

٣٠٣، تاريخ الطبري: ٢ / ٤٣، وغيرها.

(٢) أنظر: المحرّر الوجيز لابن عطية الأندلسي: ٥ / ٤٢٩.

(٣) أنظر: علل الشرائع للصدوق: ١ / ١٥١ باب ١٢٢.

وثبات الموالي لأولياء الله..

ما أروعه من جوابٍ ينمّ عن عظمة ولاء مسلم عليه السلام ورسوخ إيمانه و يقينه برّبه وتسليمه لنبيّه وإخباته لإمامه.. قالها بقوة مسلم بن عقيل عليه السلام: «لا والله، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين».

لقد نفى الظنّ مرتين؛ مرّةً حينما قال: «لا»، فنفى الظنّ الذي زعمه ابن مرجانة، ثمّ عاد فنفاه مؤكّداً بالقسم، فقال: «ما هو الظنّ».. حشد جملةً من المؤكّدات في النفي والإثبات، فنفى به «لا»، ثمّ أكّد بالقسم بالذات الإلهيّة المقدّسة بلفظ الجلالة وواو القسم، ثمّ نفى الظنّ مصرّحاً به، ثمّ استثنى بـ «لكن»، ثمّ أكّد بالتصريح باليقين، وقد اختار لفظ «اليقين»، وربّما لا تجد كلمةً أخرى تعبّر عن المدى الذي تعبّر عنه كلمة اليقين، لا العلم، ولا القطع، ولا الجزم، ولا غيرها من المفردات.. «لكنّه اليقين»!

ومن ذا يشكّ من المؤمنين أنّ الأمر للأئمّة الطاهرين عليهم السلام، لكن أن يبلغ «اليقين»، ويبلغ يقيناً كيقين مسلم بن عقيل عليه السلام! فهذا ما لا يكون إلّا لمسلم عليه السلام ولأمثاله ممّن أعطاهم الله ذلك اليقين!

الردّ الثالث: لمن الحقّ في الخلافة؟!

رغم ردود المولى الغريب عليه السلام المفحّمة وأجوبته القويّة، لم يرعو الوغد الوضع ابن زياد، وبقي يستمرّ كالمقامري طمع باستعادة الضائع

بالقمار كلّمَا خسريقامر من جديد، وظنّ الأحمق أنّه يستطيع - ولو في
جولةٍ - أن يكسب الموقف أمام ابن عقيل وسليل إبراهيم الخليل عليه السلام،
فكأنّه أراد أن يعيد ما يخاله كزّةً على البطل الهاشمي عليه السلام، فقال - كما في
رواية ابن أعثم والخوارزمي :-

«... ولكيّ أريد أن تخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلى هذا
البلد؟ شتّت أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم على
بعض!»

فقال مسلم بن عقيل: لستُ لذلك أتيتُ هذا البلد، ولكنكم
أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمّرتُم على الناس من غير
رضى، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملتُم فيهم
بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لأمر فيهم بالمعروف ونهائهم
عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل
ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي
طالب عليه السلام، ولا تزال الخلافة لنا، فإنّا قهرنا عليها، لأنكم أول
مَن خرج على إمام هديّ وشقّ عصا المسلمين، وأخذ هذا
الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم
مثلاً إلا قول الله - تبارك وتعالى :- ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾..

قد تناولنا أكثر فقرات هذا الردّ القاصم لظهر الجرو الوضع خلال العناوين السابقة، وإنّما أفردنا بعضها هنا للتأكيد على عقيدة غاية في الأهميّة تميّزين الحقّ والباطل ذكرها مسلم بن عقيل عليه السلام:

الفقرة الأولى: كنّا أهل ذلك

كّرّ ابن الأمة الفاجرة أكثر من مرّة ألفاظ نابية تليق به، تؤدّي بالمجموع إلى دفع مسلم بن عقيل والإمام الحسين عليهما السلام عن مسؤوليّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله والعتر الطاهرة عليهم السلام، وملوحاً إلى قيامه وأصنامهم بذلك، ورمى المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بأقذع التهم وافتري عليه أقبح الافتراءات، فأجابه مسلم عليه السلام قائلاً:

«فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنّا أهل ذلك».

أجل! هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كتاب الله والسنة، وابن زياد وأمّاله هم المنكر والفساد والضلال والإضلال والفتنة وقرونها وشياطينها، ومن أولى بعتر النبي صلى الله عليه وآله وأولياء الله عليهم السلام من الأمر بالمعروف؟ وقد فعلوه! والنهي عن المنكر؟ وقد انتهوا عنه! والدعوة إلى كتاب الله النازل في بيوتهم، وهم المخاطبون به والعاملون به والتالون له حقّ تلاوته..

«كنا»: تأكيدٌ وتحقيقٌ وإخبار عن أمرٍ واقع، كان ولا زال قائماً.. هم كانوا ولا زالوا أهل ذلك.

الفقرة الثانية: لمن الخلافة؟

يؤكد المولى الفقيه العالم عليه السلام أن كلامه كله إنما هو دفاعٌ عن حريم الإمام والإمامة، ولم يدع هو لنفسه شيئاً، يقول:

«ولم تنزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا تزال الخلافة لنا، فإنا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونزع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾».

ورغم أن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام لم يبادر إلى هذا الموضوع، وإنما أقحمه الخبيث فيه إقحاماً، وهذا شأنه في محاولة تهيج الرأي العام المضلل من خلال استدراج الخصم للتعرض لمقدسات الجمهور وأهتهم، كما فعل مع ابن عفيف وغيره وسأله: «ما تقول في عثمان؟» وقد التفت ابن عفيف إلى الغرض من السؤال فقال له:

«ما أنتم وعثمان؟ سلني عنك وعن أبيك!» (١).

ولذا نجد المولى الغريب عليه السلام يتجنب التعرّض إلى ذكر السقيفة وإفرازاتها، ويكتفي بذكر الأمويين وغلبتهم على الحكم بعد أمير المؤمنين عليه السلام: «ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا...»، فجعل حدّ المطالبة منذ أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام وما بعده، وهي الفترة التي نرى فيها قرّة بني أمية على الحكم، بيد أن المتابع المسدّد يعلم من مجريات الأحداث أن الذي ركع لتزرو من خلال ظهروه القروود هو من أسس أساس الظلم والجور، وفتح شهية القروود للطمع، وأسأل لعابها المخمور على منابر المسلمين.

ثمّ أكّد أنها أخذت منهم غصباً، وقهروا عليها قهراً، وأنّ الخارجيّ هو من تمرد على سلطان الله وخالف شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله، واعترض وغالب إمام الحقّ على الحقّ الذي منحه الله، وغصبه منه ونحاه عن الموقع الذي وضعه فيه ربّ الكبرياء والسلطان والجبروت والعظمة.

فهذا هو من يشقّ العصا ويخرج على إمام الهدى، وينازع أهله بالظلم والعدوان والحيلة والغدر والطغيان، وسيكون له القويّ الجبار بالمرصاد، وسيعلم غبّ عمله وعاقبة أمره يوم يخسر المبطلون، ويعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، تماماً كما قال مولانا مسلم بن

(١) أنظر: تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ٣٧٠.

عقيل عليه السلام:

«فإِنَّا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدىً وشقَّ عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله - تبارك وتعالى - ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾».

وفي قوله: «لا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله - تبارك وتعالى - ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾»، تهديدٌ مرعب، وتخويفٌ مهول، وتوعّد مروع، فعَمَّا قليل سيعرف الظالمون عاقبة أمرهم وسوء منقلبهم، إن كان في الدنيا على يد المختار الثقيف، أو يوم يقوم المنتقم الأعظم صاحب الأمر والزمان وليّ الدماء الزكيّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، أو يوم يقوم الناس لربّ العالمين!

المحور الرابع: التهديد بسوء القتلة

اتفقت نصوص المتون التاريخية في هذه الفقرة على مضمونٍ واحد، يحكي تهديد ابن الأئمة الفاجرة بقتل المولى الغريب عليه السلام والليث المكبل، فهو يؤكّد أنّه سيقتل مسلماً عليه السلام من خلال الدعاء على نفسه أن يقتله الله إن لم يفعل.

ثمّ جعل يهدّد بنوع القتلة.. قتلة لم يقتل بها أحدٌ في الإسلام، قتلة شرّ قتلة، قتلة يتحدّث بها الناس.. لو كان التهديد لغير البطل

الهاشمي عليه السلام القادم ليقْتَلَ في محبة الحسين عليه السلام لكان تهديداً مروّعاً؛ فإنّ القتل الذي حصل في تاريخ الإسلام إلى يوم الناس ذاك فيه صور مهولة، واليوم يزيد الخبيث ويرعد بقتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس، ويصفها أنها شرّ قتلة..

وفات الرعيد الجبان أنّه يقف بين يدي بطل هزبر عباس، طُبع على شيم الشجرة المباركة، ونشأ في بيوتِ أذن الله أن ترفع، وهو سفيرٌ لسيد الشهداء عليه السلام، ومن بيتٍ عرّقت فيه الشجاعة، وهم لا يقاس بهم أحد، وليسوا بباقي الناس، فالكلّ يهرب من الموت في الغالب، إلّا هؤلاء الأفذاذ الأطياب، فإنّهم يركضون وراء الموت فيقبضون عليه قبضاً، ويمسكونه بقبضاتهم مسكاً..

فلا يكون تهديد الحقرء مخيفاً أو مؤثراً في الصناديد العظماء يوماً، فكيف بالموعود بالشهادة مسلم بن عقيل عليه السلام؟! فقد كَرَبْصولةٍ حيدريّة، وتشامخ على التهديد بروح حسينية، وردّ على الجرو المتضائل، وهشّم أنف الوغد المتهاوي السافل، فتتابعت دفعات الشجاعة تتدفّق من بين تلك الشفتين الجريحتين، فاكتسحت الوجود النحس لابن مرجانة، وانطلق لسانه - الذي صار كشقّة المبرد من شدة العطش والجراحات - سيفاً بّتاراً مصقولاً، فأوجز في الردّ، ولكنّه أخرج الجرو ودمّره تدميراً، واجتاح كبرياءه، فلم يُبقِ له ولم يذر، وقد رماه

بكلماتٍ صائبة متماسكة رصينة، تعبّر عن رزائته وسكينته وثباته ومعرفته الدقيقة بعدوّه.

قال:

«أما إنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك

لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة،

لا أحد من الناس أحقّ بها منك»..

وخبث السيرة.. ولؤم الفعلة لأحدٍ غيرك أولى منك.. وخبث السيرة

المكتسبة عن كتابكم وجهّالكم..

هذا هو مجموع ردّ المولى الغريب عليه السلام على تهديد ابن الأمة الفاجرة،

بعد حذف الكلمات المكررة من المصادر.

فهو أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه.. وقد خاطبه

البطل الطالب عليه السلام بضمير المفرد المخاطب؛ زيادةً في الازدراء والتحقير..

وأكد له أنّه لا يدع سوء القتلة.. فهذه أخلاقه وشيمه وثمار

نطقته..

ولا يدع قبح المثلة، وكيف يدعها وهو الكلب السائب في دور أبناء

هند آكلة الأكباد، والمرتضع من صديد طبائعها الوحشيّة؟ ومن هنا

نعرف سبب تأكيد المولى مسلم بن عقيل عليه السلام على استيهاب الجثّة من

هذا الخبيث والوحش الكاسر..

وخبث السرية.. وهذا هو شأن أولاد البغايا والذوات القذرة
ومنابت السوء..

ولؤم الغلبة.. وهو شأن الجبناء والنكرات والحقراء والأئذال، ربائب
الغدر والخيانة والصغار.. ولشد ما يجرح الغيور، ويؤذي الشهم، ويحز في
قلب الشجاع، ويثير الشجون، ويعتلج في القلب الألم، وتلهبه المشاعر،
وتستجيشه الصورة، حينما يرى أسداً غضنفاً جريحاً، تتوَّب الفتوة
على قسمات وجهه، وتتفجّر الشجاعة من أعضائه، وتشعّ الأنوار من
محيّاه، مكبلاً تنظر إليه الثعالب والفئران بعيون شامته.. ما أعظم ثباتك
يا ابن عقيل وسليل إبراهيم الخليل عليه السلام!

وهذه الرذائل التي اكتنفت وجود الدعيّ ابن الدعي؛ «لا أحد من
الناس أحقّ بها منك»، لتوافر كلّ أسباب السقوط في هذا الكائن اللزج
الفجّ الوقح المتهاوي في مستنقع الرذيلة، والغائص في أعماق قاع
الخطيئة والجريمة.. ويشهد لذلك: «خبث السيرة..»، فهو لا يدع لؤم
الفعلة لأحدٍ غيره أولى منه، وهو أولى من أيّ أحد؛ لأنّ «خبث السيرة
المكتسبة عن كتابهم وجهّاهم».. كما في نصّ ابن كثير.

كلّ هذه الصفات التي نعت بها مسلم بن عقيل عليه السلام ابن زياد هي
واقعٌ يعيشه الدعي، ويعرفها من نفسه، ولا يستطيع نكرانها ولا التنصّل
منها، ومسلم عليه السلام هو ابن عقيل العارف بالناس وأيامهم ووقائعهم

وأخلاقياتهم وشيمهم، وذلك غير معرفته الشخصية بعدوّه، وعلمه بأنّ هذا الوحش المسعور سيُقدّم على ارتكاب أعظم جريمة في تاريخ البشرية؛ قتل سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأنصاره، وسبي حرم الله ورسوله صلّى الله عليه وآله..

لو كان معي عشرة

بعد أن وبّخ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ابن زياد وقرّعه، ووضع في موقعه وحدّ له حدّه، وهجم عليه هجومه الصاعق السريع، وزلزل موقفه، وأخذ بكظمه وجعله يشرق بريقه، رغم عدم تصريح التاريخ بذلك، بيد أنّ كلمات ابن عقيل عليه السلام كانت أمضى من سنانٍ يغرز مع كلّ كلمةٍ في جميع كيان الدعيّ المتداعي، بعد أن كشف حقيقته، وأعلن على رؤوس الأشهاد واقعه وما يمكن أن يطفح به وجوده من إفرازاتٍ تتولّد عن تلك السيرة التي تزكم الأنوف.. قال - حسب نصّ ابن أعثم :-

«والله لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرت على شربةٍ من ماء، لَطال عليك أن تراني في هذا القصر...».

ويبدو - كما يظهر للمتابع - أنّ الخوارزمي يعتمد في الغالب على نصّ ابن أعثم، وقد نقل عنه هنا هذه العبارة أيضاً..

وبعد غصّ النظر عن تفرد ابن أعثم، فإنّ في كلام مسلم عليه السلام هذا

تهديداً واضح وقويّ لابن زياد، كما إنّه يكشف عن مدى غربته ووحده، وتأثير العطش عليه ونشوب نيران الظمأ في جوفه وتفتت كبده واحترق أحشائه - فداه روعي -، حتّى إنّه يقتصر على «شربة من ماء».. شربة.. والنكرة تفيد المزة هنا، وتتحقّق بأقلّ ما يُتصوّر.. شربة من ماءٍ واحدةٍ ولو قطرات..

يا ربّ! أيّ ثباتٍ وأيّ صبرٍ كان يمتاز به المولى المعظم مسلم بن عقيل عليه السلام؟! كلّ هذه المصاولة والحرب الكلاميّة بعد تلك الجراحات والنزف، وهو لا زال عطشاناً؟!

لقد واسيت - يا سيّدي وحيبي - إمامك وأخيك سيّد الشهداء عليه السلام، فهنئاً لك! وأيم الله، ولا أحسب أن يخشى - المؤمن في قسمه إثمًا إذا قال: يعجز غير المعصوم عن وصف مسلم بن عقيل عليه السلام وموقفه وشجاعته وثباته وصبره وإيمانه وصلابته، وكلّ خصال الخير والسؤدد والسموّ والعظمة والجلال فيه!

المحور الخامس: الشتم والسبّ وانتهاك المقدّسات

لؤم الغلبة! تماماً كما قالها المولى المفدى مسلم بن عقيل عليه السلام.. سلاح العاجز الجبان والرعيدي المهان، والسافل الذي ذاق الأمر من الحنظل من لسان البطل الذي مرّق كيّان ابن زياد بالردّ الحادّ، أحد من السنّان..

عجز عن مقابلة ردود المولى ﷺ وضرباته الدقيقة المؤثرة التي أصاب بها ابن الأمة الفاجرة، وفتق قلبه بسهام كلماته الصائبة، وعزاه وكشف نسبه وحسبه، وختم على فيه بمياسم الذل والصغار، ومرغ بوزه وبدد زهوه، وتركه كدودة حقيرة تتلوى في أحوال نتن الماضي وجيفة مستنقع الحاضر، فصار كالكلب المسعور، ينبح ويلهث ويهجم، ليخمش بمخالبه ويعض بأنياه كل ما يعترضه، لعله يجد لنفسه مهرباً..

لقد ردّ البطل الهاشمي ﷺ على كل سخافات الوضع الوقح، ولم يدع له كلمة تمر أو فرية تجوز، فطفح بما في كوامنه من حقد ونصب وعداء لآل الله، وأصحربا في وعائه من الكفر والطغيان والعتو والتمرد على الله، وسلك مسالك من سبقه من قروود الشجرة الملعونة في القرآن، وطفق يسب ويشتم..

هل دفعه إلى ذلك جبئه وفشله وخيبته وخسرانه أمام الصولة الهاشمية، وعجزه عن مقاومة لسان ابن عقيل المسدد؟!

أو أنه استشاط غضباً ولم يجد بداً من تفريغ غضبه بجرح الأسد المكبل بسب أبيه وأخيه وعمه ومن أحبهم مسلم ﷺ في الله وفي الولاية وفي النسب، فأراد أن يؤذي البطل ويجرح قلبه؟!

أو أنه قد ضاق به ذرعاً، فاضطر إلى كشف نصبه وعداوته وحقده

ومحاربتة لله في أوليائه؟

أو أنه أراد أن يكسر شوكة الحق بالاعتداء على حرمة الله وتحطيم المقدسات أمام أعين الناس فيما يزعم ويخال.. فيكسب الجولة على طريقة أسلافه، الذين جاهدوا في ذلك منذ يوم الهجوم على الدار، وسب وهتك حرمة بيت النبي المختار ﷺ، والاستمرار في لعن الوصي الكرار عليه السلام، والإمعان في مخالفة الجليل الجبار، ومناسبة الحق ومقاومة القيم وسحق الأخيار؟!!

يبدو إنه لذلك كله ولغيره سلك سبيل السب والشتم لشعائر الله العظمى.. لقد سب أمير المؤمنين عليه السلام، وقد فعل ذلك أسلافه من قبل على رؤوس الأشهاد.. وسب مسلماً عليه السلام وهو عدوه المكتوف أمامه، وسب عقيلاً وهو أبو مسلم وأخو أمير المؤمنين عليه السلام، وله منه موقف، لأنه كان يحمل لساناً أقوى من المهند البتار، وهو العالم بأنساب العرب، والعارف بالأصيل والالصيق منهم، وقد فضحهم في كل مجلس ونادي في حضره وفي الأسفار..

ثم جعل يسب الحسين سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، ومن أمه سيّدة النساء، وأبوه سيّد الأوصياء، وجدّه سيّد المرسلين والأنبياء عليهم السلام، وجدّته خديجة، وعمّه حمزة وجعفر الطيّار عليه السلام، وهو من قد عرفه ابن زياد وسمع قول النبي ﷺ فيه وفي أخيه

أُتِمَّها: «سَيِّدا شباب أهل الجنة»، وقوله ﷺ: «إِنَّ حَبَّ عَلِيٍّ قُذِفَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَإِنَّ حَبَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ قُذِفَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَلَا تَرَى لَهُمْ ذِمَّةً» (١).

فربما تجرأ على سب أمير المؤمنين ﷺ اقتداءً بسلفه الطالح، وقد اغتذى وارتضع من قدر القروء الأموية منذ أول نشأته، وكان أبو سفيان شريكاً في نطفته مع غيره من الزناة، ومن الطبيعي أن يُبغض ابنُ الحرام أمير الأطهار والأخيار، لكنَّه في أيِّ صنفٍ من المخلوقات سيكون حينما يسب ويُبغض الحسن والحسين ﷺ، فالبشر إما أن يكون مؤمناً أو منافقاً أو كافراً، وقد قذف الله في قلوب جميع هذه الأصناف حبَّ الحسين ﷺ، كما في النصِّ المذكور.. فَمَنْ كَانَ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْمَسْخُوحَ الْمَشُوَّهَ حَتَّى سَبَّ حَبِيبَ الْعَالَمِينَ الْحُسَيْنِ ﷺ، وَعَدَا عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَسَبَّى عِيَالَهُ!!؟

قال الطبري:

«وَأَقْبَلَ ابْنُ سَمِيَّةٍ يَشْتُمُهُ وَيَشْتُمُ حُسَيْنًا وَعَلِيًّا وَعَقِيلًا»..

وقال ابن أعثم والخوارزمي - واللفظ للثاني -

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨١ - عن: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٩ / ٤٧.

«فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين»..

أما ردّ المولى الغريب عليه السلام هنا، فقد انقسم المؤرخون فيه إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: السكوت

روى الطبري في التاريخ، والشيخ المفيد في الإرشاد، والفتال في الروضة، ومسكويه في التجارب، وابن الأثير في الكامل، وابن كثير في البداية والنهاية، وغيرهم.. أنّ المولى الغريب عليه السلام سكت وأخذ لا يكلمه.. وقد صرح ابن كثير أنه يروي ذلك عن الطبري، وقال: «رواه ابن جرير..»، ولا يبعد أن يكون من ذكرناهم قد أخذوه أيضاً عنه..

ولانريد أن نسوق الاحتمالات هنا لمعرفة سبب سكوت المولى الغريب عليه السلام، وهل كان غضباً أو تجاهلاً أو مكابدةً للألم أو أي سبب آخر؟ فهو على كلّ حالٍ يحكي مدى ازدراء البطل الهاشمي عليه السلام لابن الأمة الفاجرة واحتقاره، والتنزّه عنه، واعتباره أدون من الجاهل الذي يردّ على جهالاته بالسلام؛ ﴿إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

وربما أكّد تعبير الطبري والشيخ المفيد وغيرهما: «وأخذ مسلم لا يكلمه»، أو تعبير مسكويه: «وأمسك مسلم لا يكلمه».. أنّ المولى الغريب عليه السلام تعمّد السكوت واتّخذ موقفاً، لا إته حصر أو عي عن الردّ - والعياذ بالله - .

وربما سكت ثم أجاب بما سنذكره بعد قليل، فروى هؤلاء السكوت وروى الآخرون التتمة.

الطائفة الثانية: الردّ

ذكر ابن أعثم والخوارزمي والسيد ابن طاووس ردّاً قوياً وجواباً حامياً ردّ به مسلم بن عقيل عليه السلام على تمادي ابن زياد وجراته على الله وأوليائه ووقاحته وتطاوله على الحرمات والمقدّسات التي رفعها الله..

فقال ابن أعثم والخوارزمي - واللفظ للثاني -

«فقال مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتم والسبّ، فاقض ما أنت

قاضي يا عدوّ الله، فنحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء...».

وذكر السيد ابن طاووس وغيره مثله.

يبدو أنّ هذه الطائفة أقرب إلى مسار المحاجة ومجريات الأحداث، وتنسجم أكثر مع ما عهدناه خلال هذه المصاولة الكلاميّة من الانقضااض السريع المهلك من قبل البطل الهاشمي عليه السلام على الجرو الأمويّ، وردّه الفوريّ عليه بعد كلّ فقرةٍ من كلامه.. ويمكن أن نلخص الكلام في هذه الفقرة ضمن ثلاث مقاطع:

المقطع الأوّل: طريقة ردّ الشتيمة

إنّ المولى الغريب عليه السلام لم يردّ كلّ سُبّةٍ بسبّةٍ وشتٍٍ بشتٍٍ، فلا سواء،

إذ أنّ ابن زياد وأباه أحقّ بالسبّ والشتّم، وهو لازمٌ لا ينفكّ عن وجودهما القدر، وذكرهما سبّةً على البشريّة وشتّمٌ للإنسانيّة، وتوصيفهما يعني السبّ والشتّم والرذيلة بذاتها، فتى ما ذكر جري السبّ والشتّم معهما..

المقطع الثاني: إعلان كفر ابن زياد

ثمّ إنّّه عليه السلام أعلن عن كفر ابن زياد وطغيانه وتمزّده على الله وعتوّه بمخاطبته بما حكاه الله في مخاطبة فرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾. وأثبت له العداوة لله: «يا عدوّ الله»، فقد كفر بسبّ الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، واستحقّ اللعن والكفر والسخط من ربّ العالمين، وبارز الله بالمحاربة، وقد استوجب بذلك القتل، لو كان في القوم الحضور رجلٌ مسلم يفقه ما يقوله سليل إبراهيم الخليل عليه السلام، أو يشري نفسه لله وينفذ في هذا الوجود المتعقّن حكم الله ورسوله صلّى الله عليه وآله.

المقطع الثالث: نحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء

«مَنْ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ لَمْ يَهِنْهَا بِالْفَانِيَاتِ»^(١)، «وما هلك امرؤُ عرف قدر نفسه»^(٢)، «وما جهل ولا ضاع امرؤُ عرف قدر نفسه»^(٣)،

(١) عيون الحكيم والمواظ للبيهي: ٤٦٠.

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٤٥.

(٣) تفسير البرهان للبحراني: ٤ / ٦٠٤.

«والعالم مَنْ عرف قدر نفسه» (١) .. وهذا مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام العالم، قد عرف قدر نفسه، فقال:

«فنحن أهل بيتٍ موكلٌ بنا البلاء» ..

وكانَ سفير سيّد الشهداء عليه السلام وثقته قد اقتبس ذلك من كلام الإمام الحسين عليه السلام في خطبةٍ له:

«خُطَّ الموتُ على وُلْدِ آدَمَ مَحْطُ القلادة على جِدِ الفتاة ... لا

محيص عن يومٍ خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت،

نصبر على بلائه ويوقينا أجور الصابرين، لن تشدّ عن رسول

الله لحمته، وهي مجموعةٌ له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه

وتنجز لهم وعده، مَنْ كان فينا باذلاً مهجته موظناً على لقاء

الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحلٌ مصباحاً إن شاء الله» (٢).

واقْتَبَأَسْ مِنْ طَائِفَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي صَرَّحَتْ أَنَّ اللَّهَ

يَخْتَصُّ أَوْلِيَاءَهُ بِالْبَلَاءِ، الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ..

ومسلم بن عقيل عليه السلام من رجال البيت النبوي، ورجال البيوت التي

أذن الله أن تُرفع، والطائفتين في أروقة تلك البيوت، ومن سيوف أمير

(١) ترجمة إرشاد القلوب: ١ / ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٧/٤٤، اللهوف لابن طاووس: ٦١، كشف الغمّة للأربلي:

المؤمنين والحسن والحسين عليه السلام، وقد أوكّل الله البلاء بهم لأثمهم الأثمل في الخليفة.. ومسلم عليه السلام يدور معهم حيثما داروا.

المقطع الرابع: إقضى ما أنت قاض، والبلاء

ربّما يُفهم من كلامه عليه السلام: «إقضى ما أنت قاض» أحد فهمين، أو كلاهما معاً:

الفهم الأول: ردّ للسبّ والشتّم

قد يُفهم أنّ المولى الغريب عليه السلام قد أجاب على الوغد الوقح بقوله هذا بمعنى أنّ ابن زياد قد تّمدّى في غيّه وتفرعن، وأنّ الليث الطالبيّ المكبّل في موقع وكّل به البلاء، وليس له إلّا الصبر ليوفّي أجور الصابرين، وقد صبر مسلم عليه السلام وأهل البيت الذي ينتسب إليه على مثل هذا البلاء، وما هو أعظم من السبّ والشتّم، كالقتل وإحراق الدار وغيرها.. فهو يقول له: قل وافعل ما شئت من طغيان، ومارس الغطرسة بالسبّ والشتّم، فإنّنا من بيتٍ يحيد المتاجرة مع الله والصبر على بلائه.. أو كأنّه بقوة قول السيّدة الصّديقة الصغرى ردّاً على القرد الأمويّ المجدور يزيد:

«أنت أميرت شتم ظالماً وتقهّر بسلطانك» (١).

الفهم الثاني: تمنّي الشهادة

ربّما كان قوله بمعنى: إِفْعَلْ ما شئتَ مِنْ قَتْلِي، تماماً كما ردّوا على فرعون حينما هدّد وأرعد، فقالوا له: ﴿فَأَقِصْ ما أَنْتَ قاضٍ إِنّما تَقْضي هَذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾، ومسلم عليه السلام من أهل بيتٍ موكل بهم البلاء، فلا يخشى الموت ولا يحزن، «ومن كرم دينه عنده هانت الدنيا عليه» (١)..
فماذا بعد أن سبّ الزنيم أئمّة الدين على مسمع من صاحب الغيرة الطالبية، وهو مكتوفٌ لا يستطيع أن يهشم رأس البغيّ بسيفه؟! وهو ينتظر الشهادة بلهفة، ويتطلّع إلى تحقّق الأمانة الموعودة، ويستعجل اللقاء بالأحبة محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وحزبه..

السقي! التحريم بالشرف في غير الخزف؟

قال الطبري:

«وزعم أهل العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء، فسُقي بخزفة، ثمّ قال له: إنّهُ لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلّا كراهة أن تحرم بالشرب فيها، ثمّ نقلتك، ولذلك سقيناك في هذا» (٢).

في العبارة ارتباكٌ لائح وتهافت واضح، لأنّه يقول: «لم يمنعنا أن

(١) عيون الحكم والمواعظ لليثي: ٤٦٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٥ وما بعدها.

نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها»، فربما كان المقصود: لم يمنعنا أن نسقيك في غيرها..

ولابد من تمييز معنى «التحريم» المقصود أولاً، فربما أعان على فهم العبارة، ويمكن أن يفترض لها معنيان:

المعنى الأول: التحريم بمعنى أنهم سيمنعون من الاستفادة منها فيما بعد، فتحرم عليهم وتلف ويخسرونها.

والمعنى الثاني: وهو الأقرب والأوفق الذي يساعد عليه سياق العبارة، وهو بمعنى أن يكون لك حرمة عندنا بالشرب في آيتنا. قال الزمخشري:

«تحرم فلان بفلان، إذا عاشره ومالحه وتأكدت الحرمة بينهما، وتحرم بطعامك ومجالستك، أي: حرم عليك مني بسببهما ما كان لك أخذه» (١).

وقال الكاشاني:

«تحرم بصحبتك، أي صرت بها ذا حرمة» (٢). وهو لفظٌ يُستعمل بمعنى أن يأكل أو يشرب أو يصاحب أحداً أو يدخل عنده ضيفاً، فتكون له بسبب ذلك حرمة تمنع من أذاه أو خيانتة

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ١٢٣.

(٢) الوافي للكاشاني: ٥ / ٨٢٨.

أو غشه وترك النصيحة له، وإيجاد علقَةٍ خاصّة وارتباطاً حامياً له عند المضيف.

وبعد أن اتّضح معنى التحريم إجمالاً، يمكن أن تُفهم العبارة - رغم ما فيها من ارتباك - بأحد الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأول: أن تكون إشارة غائبة

ربّما كانت ثمة إشارة من ابن الأمة الفاجرة إلى إناءٍ موضوع بالقرب منه، فقال: لم يمنعنا أن نسقيك فيها - أي: في الإناء الذي أشار إليه بالقرب منه مثلاً - إلّا كراهة أن تحرم بالشرب فيها، أي تحرم بالمعنى الأول، أو إنّه قصد نفس الإناء الخزفي، بمعنى إنّه يقول: لم يمنعنا أن نسقيك في غير هذا الإناء إلّا لأننا نكره أن تشرب فيه فنضطرّ لاجتنابه فيحرم علينا، وهو بعيد وفيه تكلف وتحميل على النصّ، ولا ينسجم مع تتمّة العبارة: «ثمّ نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا».

الاحتمال الثاني: التحريم بالمعنى الثاني

كأنّ الخبيث الرجس يقول أنّه إنّما سقاه بإناء خرف ولم يسقه بإناء آخر من الآنية التي تُستعمل عندهم؛ خوفاً من أن يتحرّم بالشرب في آنيّتهم، فتكون له حرمة فلا يستطيع قتله بعدها.. وهذا المعنى أوفق بسياق العبارة رغم ما فيه.

* * * * *

وكيف كان، فإنّ في سلوكه التافه علاماتٌ تفيد عزم الطاغية على التعدي والتجاسر على ساحة مولانا المقدّسة..

ويبقى أنّ الطبري تفرد بها دون جميع المؤرّخين في طبقاتهم - حسب فحصنا -، حتّى أولئك الذين يروون عنه بالحرف، وقد نسبها الطبري إلى زعم أهل العلم..

أضف إلى أننا نعرف إباء مسلم بن عقيل عليه السلام، وأنه لم يشرب قبل دخوله على ابن زياد، لأنّ نزع الدماء لم ينقطع وقد امتلأ القدر دماً، ولا زالت جراحاته تشخب دماً، فكيف يشرب - فداه روي -؟ ونحن مطمئنون أنّ مولانا المعظم لا يفوته مواساة سيّد الشهداء عليه السلام في العطش، وأنّ له كأساً مذخورة عند النبي صلّى الله عليه وآله سيسرّبها ولا يظماً بعدها أبداً!

يبدو أنّ علامات الضعف والوضع اللائحة على الخبر وارتباكها تغني عن مناقشته..

المحور السادس: تمني الشهادة على يد شرّ البريّة

بعد أن أكّد المولى الغريب عليه السلام أنّ ابن زياد وأباه زياد بن عبيد بن علاج من ثقيف هما اللذان شقّا العصا، وأنه ما خالف ولا غير ولا خلع ولا كفر ولا بدّل، وإنّما هو في طاعة سيّد شباب الجنّة الحسين بن علي

ابن أبي طالب عليه السلام، ثم قال - كما في نص ابن أعثم والخوارزمي والسيد ابن طاووس -:

«وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شربريته».

وفي مثير الأحزان لابن نما:

«أيدي شر البرية»..

يمكن أن يفيد هذا الرجاء الوارد ضمن السياق المذكور عدة مطالب:

المطلب الأول: إعلان النهاية

كان البطل الهاشمي في جوِّ ترفرف الشهادة على رأسه بعد أن أصيب بكل تلك الجراحات المؤثرة البليغة التي قاومها المولى الغريب عليه السلام بصلافة إيمانه وقوة ثباته، ولو كانت في غيره لأتت عليه منذ اللحظة الأولى، مستعينةً عليه بالعطش الذي فتت كبده وجفف أحشاه وأذبل أعضائه الممزقة بالسيوف والسهام والمكتوية بلهيب أطنان القصب..

وقد أعلن مسلم بن عقيل عليه السلام إنه يعيش الرجاء الذي سيتحقق حتماً، لأنه ممّا وعده به النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم سيد الشهداء الحسين عليه السلام، فهو لا يريد أن يقاتل بعد تلك اللحظة التي جرّته إليها سنة البلاء الموكول بالأولياء، وكان في قدره أن يوقف مكتوفاً في القصر ويوقف أمامه

المجرو الأجرب ليكلّمه بوقاحة، ويسبّ ويشتم أمامه أعظم حرّمات الله على الإطلاق، وهو مصدودٌ عن القتال، ممنوع عن فري أوداج الوحش المطلق العنان، وهذه كلّها مؤشّرات واضحة وعلامات لائحة أنّه قد بلغ الغاية في بذل المجهود، ولم يبقَ بينه وبين الشهادة إلا أن يقتحم اللعين حدود الله ويحتريّ على حرّماته، فيأمر بقتله وينال الشهادة الأمنيّة ويتحقّق له الرجاء المنشود.

ويمكن أن يستشعر المتأمّل في هذا التصريح العظيم من هذا البطل العظيم في تلك اللحظة العصيبة واليوم المكفهر مدى ثبات مسلم بن عقيل عليه السلام، وتسلّطه على الموقف، وسكينته في إدارة دقّة الأحداث، وتماسكه في الأخذ بزمام المبادرة في كلّ مراحل تشرف الكوفة بأقدامه منذ أن دخلها سفيراً إلى اللحظة الأخيرة من حياته المباركة..

فحتّى القتل والشهادة فقد بادر هو في تمنيها، وأعلن عن رجائه في نيلها قبل أن يحكم فيها ابن الدعيّ!! ما أعظم شأنك يا ابن عقيل!

المطلب الثاني: الاطمئنان بالعاقبة

لقد وصل المولى الغريب عليه السلام إلى مشارف الآخرة، وقرع أبوابها، وزُخرفت الجنان واستعدّت لاستقباله، وهو يستعجل اللقاء بالنبي صلى الله عليه وآله والنظر إلى وجه عمّه أمير المؤمنين عليّ وإمامه الحسن المجتبي عليه السلام وسائر الأحبة والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً..

وإنما يجتاز المؤمن هذه الحياة الدنيا ليضمن الآخرة، ومسلم بن عقيل عليه السلام من سادات المؤمنين، وقد أكد في سياق كلامه أنه ما خالف ولا غير ولا خلع ولا كفر ولا بدل، وإنما هوفي طاعة سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن أبي طالب، فعاقبته حميدة، وهو يضيء على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين والوصيين، وماذا ينتظر بعد أن يكون على الإيمان ثابتاً، ويخرج من الدنيا بالشهادة وهو في طاعة الإمام الحسين عليه السلام؟

لا شك أن الآخرة لمثل هؤلاء الأولياء خير من الدنيا، لأنها دار عامرة، وهي دار الحيوان، ومستراح المتقين وفوزهم، وهم الذين يقضون الحياة الدنيا ضمن سنة الله في الأمثل فالأمثل من أوليائه المخلصين، وهو يتمنى أن تحتم له بالشهادة الموعودة، وهي أشرف الأبواب التي يسلكها العظماء من الأولياء لدخول الآخرة..

المطلب الثالث: الشهادة رزق

قرر المولى الغريب عليه السلام أن الشهادة رزق يختص الله به عباده، فرجى أن ينال هذا الرزق، وأن يوقر الله حظه فيه ولا يحرمه منه، وهو يعيش رجاء الوائق من تحقيق الأمنية، واستجابة الدعاء من خلال الوعد الذي قطعه له خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

المطلب الرابع: قاتله شرّ البريّة

إنّ المولى الغريب عليه السلام أعلن أنّه يرجو أن يرزق الشهادة «على يدي شرّ بريّته»، وفي لفظ ابن نما: «أيدي شرّ البريّة».

يمكن أن نفهم العبارتين من جانبين:

الجانب الأول: جانب المولى

أمّا من جانب المولى عليه السلام فكأنّ القتل على يد شرّ البريّة فيه ميزة للقتيل، وهذا ما يتمناه الصالحون ويرنوا إليه المخلصون، إذ إنّ القاتل كلّما كان مجرماً شريراً هابطاً تكون شهادته أكثر خلوصاً وأصفي، فإذا كان القاتل شرّ البريّة فلا يوجد أيّ مجال لأن يكون في الشهادة أدنى شبهة في كونها قتل على الحقّ، فلو كان في القاتل مسحة خير فربّما يُنسب عمداً أو جهلاً ذلك القتل إلى تلك المسحة، أمّا إذا كان القاتل شرّ البريّة فلا يخالج أحدٌ ولا يقوى أحدٌ عامداً أو جاهلاً أن يعدّ في عمله ذلك جنبه حقّ، لأنّ شرّ البريّة لا يعرف الحقّ بتاتاً ولا يفعله ولا يصدر منه حسب الطبيعة والسيّرة.

وبهذا نعرف قتلة الأنبياء والأوصياء، وأشقّ الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة صالح قاتل أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل سيّدة نساء العالمين عليها السلام، وقتلة سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، وقتلة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، ومدى الشرّ الكامن في القتل.

وكَلِّمَا كَانَ الْقَاتِلُ شَرِّيراً تَكُونُ مَظْلُومِيَّةُ الْمَقْتُولِ أَعْظَمَ، وَتَعَرَّضَهُ لِلْأَذَى وَالْجُورِ وَالْمَحَنَ أَكْثَرَ، فَإِذَا كَانَ الْقَاتِلُ شَرَّ الْبَرِيَّةِ فَمَاذَا سَتَكُونُ مَدِيَّاتُ مَظْلُومِيَّةِ الْمَوْلَى الْغَرِيبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَعَرَّضَهُ لِلْأَذَى وَالْجُورِ وَالْعُدْوَانِ؟!

الجانب الثاني: جانب ابن زياد

أَمَّا مِنْ جَانِبِ الدَّعِيِّ ابْنِ الدَّعِيِّ، فَقَدْ أَسْمَعَهُ الْبَطْلُ الْهَاشِمِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَاماً يَتَفَجَّرُ شَهَامَةً وَقُوَّةً وَشَجَاعَةً وَبَسَالَةً وَرَجُولَةً، وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ وَيُوصَفُ مِنْ خِصَالِ الْبَطُولَةِ وَالْفَتَوَةِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى الْعَدُوِّ وَامْتِلَاكِ زِمَامِ الْمُبَادَرَةِ إِلَى نِهَايَةِ الْمَعْرَكَةِ، وَبَقَاءِ الضَّرْبَةِ الْآخِرَةِ بِيَدِ الْمُحَارِبِ الْمَصَاوِلِ الَّذِي لَا يَكُلُّ وَلَا يَمَلُّ عَنْ مُقَارَعَةِ الظَّالِمِينَ وَكِبْحِ جَمَاحِ الْمُتَغَطَّرِسِينَ وَقَعِ الْجَبَابَرَةِ الْمُتَفَرِّعِينَ.

فَقَدْ وَاجَهَهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَسْمَعَهُ مِنْ أَحَدٍ بَعْدَمَا عُرِفَ مِنْ سَجَلِهِ الدِّمَوِيِّ الْوَحْشِيِّ الطَّائِشِ الْأَرْعَنِ، فَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ كِتَافَ الْبَطْلِ الْهَاشِمِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَرَّاحِهِ وَأَسْرَهُ يَفْلُ مِنْ عَزِيمَتِهِ أَوْ أَنَّهُ يَرْهَبُهُ الْمَوْتَ، فَجَاءَتْهُ الصَّفْعَةُ الْقَاصِعَةُ وَالضَّرْبَةُ الْمَدْمَرَةُ فِي كَلِمَاتٍ مَعْدُودَاتٍ قَرَّرَتْ فِيهِ بَاطِلَهُ وَكَفَرَهُ وَطَغْيَانَهُ، وَكَذَّبَتْ كُلَّ مَزَاعِمِهِ فِي ادِّعَاءِ الصَّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ وَتَمْثِيلِ امْتِدَادَاتِ السُّلْطَانِ وَالْحُكْمِ، وَأَكَّدَتْ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا قَذَرٌ مُتَدَلٍّ مِنْ أَعْقَابِ الْقُرُودِ الْأُمُويَّةِ مُتَعَلِّقٌ بِأَذْنَابِهَا.. إِنَّهُ «شَرُّ الْبَرِيَّةِ».

المحور السابع: الردّ على الأمر بالقتل

مرّ علينا خلال بحث مقاطع المحاججة أنّ المولى الغريب عليه السلام ردّ على كلّ فقرة فتوّه بها النغل المفضوح ابن مرجانة، ولم يدع له سكّة يفرّ منها، ولا باباً يوصده على نفسه ليستريح من هجمات سليل إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد هدّد الرعديد بالقتل المروّع الذي لم يشهد له تاريخ الإسلام مثيلاً، وأزبد وأرعد، فردّ عليه فخر الكوفة وصناديدها في الحال. وآخر ما يمكن أن يفعله الوحش المسعور أن يأمر بقتل المولى الغريب عليه السلام لينجو من حملاته، ويريح أتون الحقد المستعرّفي أعماقه، ويشفي غليله ويطفئ لهيب البغضاء والعداوة لله ولأوليائه، ويحقّق أغراضه التي يصبو إليها من خلال قتل سفير سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام بين الملأ.

فأمر بقتله! فجاءه الردّ قوياً موجعاً، وأصابته سهام كلمات ابن عقيل عليه السلام في الصميم، فأتت عليه من بنيانه، كما في نصّ ابن أعثم، فقال مسلم:

«أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريشٍ أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة، لما قتلتني^(١)، ولكنك ابن أبيك»^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤، روضة الواعظين للفتال:

١٥٢، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٩٧/٥ وما بعدها، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٣.

وعاد البطل الهاشمي عليه السلام الطهر ابن الطاهرين ليضرب على نفس المنطقة الموحجة، ويستهدف الموضع الذي لا يستطيع ابن الأمة الفاجرة الدفاع فيه عن نفسه، ويكشف زيف النسب اللصيق الذي يحاول الدعيّ الاختباء تحت ظلّه..

إنّ ابن زياد لصيقٌ لا نسب له، وليد خيام الفواحش المتنازع عليه بين جماعة رواد دور الفاحشة، المتكونة نطفته في الأرحام العفنة التي ترفع لها الرايات فيمتزج فيها صديد الشهوات الهابطة من أصلاب القيح الاجتماعيّ المتراكم على مزابل خيام الفاحشة والرذيلة..

لو كنت من قريش، أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة، لما قتلتني.. لو كنت! وهو ليس كذلك جزماً حتماً مؤكداً.. بشهادة القسم، وقد حسم الأمر باستخدام «لو»، فهو فرض محالٍ لا يمكن أن يتحقق.. فـ«لو» أداة امتناع لامتناع، فهو لا يمكن أن يكون من قريش ولو فرضاً.. وأكد ابن عقيل رحمته الله وسليل الأطياب الطاهرين ذلك بقوله: «أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة»، فنفي ابن زياد نفياً قاطعاً من أيّ علاقة بقريش وهو يزعم أنه منهم، فلما أمر بقتله تبين زيف ما يزعم وكذب ما يدعى له، فلم تبقَ له أيّ شجنة يمكنها أن تربطه بالنسب الصريح، فهو دعيٌّ ساقط ونغل متهالك متهاوي في أحضان الرذيلة يعبّ الموبقات من النسب الرديء والحسب الدنيء، ومن هذا شأنه

يقتل الطيبين ولا يسع وجوده الوسخ النظر إلى طهارة الطاهرين، ويكون بغضه لأئمة الدين ورجال الحق متجذراً في كيانه المعقود من النطف المتراكمة والنجاسات المكثفة.

إنّ ابن زياد ليس من قريش، ولا يمت إليهم بصلةٍ لا من قريب ولا من بعيد، لولا ما ارتضاه معاوية من نسبة الزنا لأبيه فألصق زياداً به، فلان نسب ينتمي إليه هذا الوغد، «ولكنّه ابن أبيه»، ابن أبيه فقط، كما كان زياد من قبل يدعى: «زياد ابن أبيه»، فهو عهراً من عهراً، ونغلٌ من نغل، لعنة الله عليه وعلى أبيه.

وقد فعلت كلمات المولى الغريب عليه السلام فعلها المؤثّر في إصابة المواضع الموجعة من ابن زياد، «فازداد ابن زياد غضباً» كما في نصّ الخوارزمي.

قوة المولى في محاجة ابن زياد

لقد عرفنا في ثنايا الحديث - حينما سمعنا قبل قليل ردود المولى الغريب والبطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام على ابن الأمة الفاجرة - مدى قوّته وصلابته ودقّة كلامه وتسديده الضربات المتتالية الموجعة، ونفترض في الناظر إلى هذه الصفحات قد تابعنا في الحديث، فلانعيد ولا نذكر فقرات كلامه عليه السلام، وما سنذكره هو محاولة لرفع مستوى معرفتنا بهذا السيف البتّار من سيوف آل خير الأنام، ولتكون منطلقاً لقراءة

سيرته والتعرّف على شخصه الكريم.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى عدّة نقاط مفهومة، ونترك الباقي للمطالع وللباحث والمحقّق:

الأولى: الدقّة في الجواب وتحديد موضع الردّ.

الثانية: قوّة الردود، ودقّة التصويب للأهداف المقصودة في الطعن على الظالم.

الثالثة: شدّة الصمود، وصلابة الإيمان، وعمق المعرفة، وثبات الجنان.

الرابعة: قوّة السكينة والوقار والتماسك والتجلّد في تلقّي حملات العدوّ البائسة.

الخامسة: عدم الاستجابة للاستفزازات والردّ وفق متطلّبات الموقف.

السادسة: العمق الذي لا يُدرّك والغور الذي لا يوصّف من الولاء الخالص لله ولرسوله ﷺ ولأئمّة الدين ﷺ ولشخص سيّد الشهداء الحسين ﷺ.

السابعة: المعرفة - التي لا توصّف - بالولاية.

الثامنة: المعرفة العميقة التي لا توصّف بالعدوّ المواجه له.

التاسعة: القوّة والدقّة والبلاغة والقدرة الفائقة على فضح العدوّ،

وطعنه في المواضع الموجعة والقاتلة لكيانه بكلّ أبعاده.

العاشرة: القوّة الخارقة في الدفاع عن الإمامة وحقّ أهل البيت عليهم السلام في الخلافة.

الحادية عشر: المعرفة التي لا تدرك بالدين وأحكامه وتشريعاته وأحكام التقيّة ومواضع استخدامها.

الثانية عشر: المعرفة الدقيقة بتفاصيل تاريخ الأمويين وابن زياد وأبيه.

الثالثة عشر: المعرفة الدقيقة بأساليب العدو وأسلافه في التعامل مع الأولياء والمخالفة لربّ السماء، والتضليل والتجهيل والتعتيم.

الرابعة عشر: المعرفة الدقيقة بتفاصيل المجتمع الذي أرسل إليه ومعاناته.

الخامسة عشر: المعرفة الدقيقة الشاملة الكاملة بالمهمّة المكلف بها من قبل سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام.

السادسة عشر: الدقّة الفائقة في توظيف الكلمات والتعبير واستخدام الضمائر.

السابعة عشرة: الدقّة العالية في تحرّي الحقّ ومتابعته، ومسح الواقع وتشخيصه.

الثامنة عشر: الدقّة المرفهة في تجنّب أيّ موقفٍ أو تعبيرٍ فيد ادّعاء

شيءٍ أو حقٍّ شخصيٍّ له يدافع عنه في السلطان أو أيِّ مقام دنيويٍّ أو منصب من مناصب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم.

التاسعة عشر: الوثوق المطلق بالله والثقة الكاملة غير المنقوصة أبداً بصلاح الموقف وصحته، والإيمان الكامل به ما دام في طاعة إمام زمانه. العشرون: الرضا الكامل والتسليم المطلق لمؤدّيات الموقف وما سيؤول إليه الأمر.

الحادية والعشرون: الثقة الكاملة بحسن العاقبة.

الثانية والعشرون: الشجاعة في الردّ.

الثالثة والعشرون: الصبر والصلابة والتغافل عن الجراح والنزف والإباء والعزّ والشموخ.

الرابعة والعشرون: تجاهل العدوّ واحتقاره وسحق كبريائه وغروره.

ربما كان في بعض النقاط شيءٌ من التداخل، بيد أننا أردنا التركيز عليها فلا مانع، وربما فاتنا شيءٌ للقارئ أن يحصيه.

الأمر بالقتل

قال البلاذري والخوازمي:

«ثُمَّ قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: اصْعَدُوا بِهِ فَوْقَ الْقَصْرِ وَاضْرِبُوا عُنُقَهُ.

فَاتَّبَعُوا رَأْسَهُ جَسَدَهُ»... (١).

وقال الطبري، أبو الفرج، مسكويه:

«ثُمَّ قَالَ: اصْعَدُوا بِهِ فَوْقَ الْقَصْرِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ (٢). ثُمَّ اتَّبَعُوا

جَسَدَهُ رَأْسَهُ...» (٣).

وقال ابن أعمش:

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٤٢٣، مقتل الحسين عليه السلام

للخوازمي: ١ / ٢١٣ وفيه: «وَاتَّبَعُوا».

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٨، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣.

«فقال له: خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه

بيدك؛ ليكون ذلك أشفى لصدرك» (١).

وقال المفيد والفتال والطبرسي وابن شهرآشوب:

«ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه (٢).

ثم أتبعوه جسده»... (٣).

وقال ابن الأثير:

«ثم أمر به، فأصعد فوق القصر لتضرب رقبتة ويتبعوا رأسه

جسده...» (٤).

وقال ابن نما:

«وأمر بقتله، فأغلظ له مسلم في الكلام والسب» (٥).

وقال السيد ابن طاووس:

«فأمر ابن زياد بكر بن حمران أن يصعد به إلى أعلى القصر

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ١٠٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣٢٠.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤، روضة الواعظين للفتال: ١٥٢، إعلام الوري

للطبرسي: ٢٢٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٧.

(٤) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٤، نفس المهموم للقمي: ١١٧.

(٥) مشير الأحزان لابن نما: ١٨.

فيقتله» (١).

وقال الطريحي:

«ثُمَّ أُمِرْ بِمُسْلِمٍ أَنْ يَصْعَدَ بِهِ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ وَيُرْمِي مِنْهُ مِنْكَسًا عَلَى رَأْسِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَكَى مُسْلِمٌ عَلَى فِرَاقِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا قَوْمَنَا شَرَّ مَا جَزَى شَرَارَ الْمَوَالِي بَلْ أَعَقَّ وَأَظْلَمَ
هُمْ مَنَعُونَا حَقَّنَا وَتَظَاهَرُوا عَلَيْنَا وَرَامُوا أَنْ نَذَلَ وَنَرْغُمَ
وَعَارَوْا عَلَيْنَا يَسْفِكُونَ دِمَاءَنَا فَحَسْبُهُمُ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْمُعْظَمُ
وَنَحْنُ بَنُو الْمُخْتَارِ لَا شَيْءَ مِثْلُنَا نَبِيٌّ صَدُوقٌ مَكْرَمٌ وَمَكْرَمٌ (٢)

وقال أبو مخنف المشهور:

«ثُمَّ أُمِرَ ابْنُ زِيَادٍ أَنْ يُصْعَدَ بِمُسْلِمٍ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ وَيُنْكَسَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ».

* * * * *

بعد أن عجز النذل الجبان عن مواجهة البطل الهاشمي عليه السلام باللسان، كما عجز هو وذئابه المدرّبة من قبل على مواجهته بالسيف والسنان، صار يتجبر على الله، ويبغي على الحق، ويأمر بقتل العبد

(١) اللهوف لابن طاووس: ٥٨.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٨.

الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة الطاهرين عليهم السلام، لينجو مما هو فيه، ويشفي غليله، ويسكن نيران الحقد ولهيب الضغينة والعداوة لعرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله ورهطه، وينتقم لضعفه وحقارته وفضيحته، ولأغراضه الآتية الأخرى بدافع الحفاظ على سلطانه ..

وقد اتفقت أكثر المصادر على عدة بنود صرح بها الخبيث لتطبّق عند تنفيذ قتل شهيد في محبة الحسين عليه السلام:

البند الأول: أن يُصعد به فوق القصر.

البند الثاني: أن يُضرب عنقه.

البند الثالث: أن يُتبع رأسه جسده، أو يتبع جسده رأسه، حسب اختلاف النصوص.

والمتبادر من البند الثالث أن يُقتل أولاً بضرب العنق، ثم يُرمى برأسه وجسده المقدسين إلى الأرض، بيد أن الشيخ ابن شهر آشوب والسيد ابن طاووس اقتصرّا على ذكر البندين الأولين فقط.

وأضاف ابن نما أن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد أغلظ له في الكلام والسب، ويبدو أنه إشارة إلى ما ذكرناه قبل قليل من رده عليه السلام على الأمر بالقتل في المحور السابع.

وذكر الطريحي مستنداً على المقتل المشهور لأبي مخنف - ظاهراً -

البند الثاني والثالث بصورة مروّعة أخرى، بـ «أن يُصعد به إلى أعلى القصر ويرمى منه منكساً على رأسه»، وهذه العبارة تفيد أن يكون القتل بالإلقاء من شاهق - وهو حيّ - منكساً على رأسه ليستقبل به الأرض!! وهي صورة تصدع الفؤاد، وتسلب القرار، وتمزّق الأحشاء، وتدعو المحبّ للجزع وقلة التصبر ورقة التجلّد.. أن يرمى وهو حيّ من أعلى القصر إلى الأرض ليرتطم رأسه المقدّس، وتتهشم عظامه، وتتقطّع أعضاؤه المشخنة بالجراح!! يا لله! يا لهول المنظر وبشاعة الفعل..

وبالرغم من تفرّد المقتل المشهور والطريحي بنقل هذه الصورة - حسب فحصنا -، واشتهار ما في المصادر المذكورة قديماً وحديثاً، فإنّ هذه القتلّة أقرب إلى التهديد الذي أطلقه ابن الأمة الفاجرة حينما كان واقفاً بين يدي المولى الغريب عليه السلام، إذ هدّد أنّه سيقتله قتلةً لم يُقتل بها أحدٌ في الإسلام، أو أنّه سيقتله شرّ قتلة!

وربّما يؤيده أيضاً ما ورد في كيفة شهادة سفراء سيّد الشهداء الآخرين؛ «قيس بن مسهر الصيدائي»^(١)، و«عبد الله بن يقطر»^(٢)،

(١) أنظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٨، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٨، الإرشاد

للمفيد: ٢ / ٧٢، روضة الواعظين للفتال: ١٥٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ /

(٢) أنظر: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٢٨.

حيث ورد فيهما أنَّهما أُلْقيا من أعلى القصر حَيَّين.

ويظهر أيضاً من عبارة الطريحي أنَّ المولى الغريب عليه السلام قد بكى على فراق سيّد الشهداء عليه السلام، وأنشد الأبيات: «جزى الله عَنَّا قومنا شرَّ ما جزى...» - باختلافٍ في الأبيات الأخيرة عن المقتل - عند صدور الأمر بالقتل لا عند تنفيذه كما في المقتل.

أما مَنْ هو الذي باشر القتل، هل هو بكر أو بكير بن حمران الأحمريّ أو رجل شاميّ ضربه البطل الهاشميّ على رأسه أو غيرهما؟ فهذا ما سيأتي بعد قليل.

الشهادة

يمكن تقسيم المصادر التي ذكرت شهادة المولى الغريب عليه السلام - من حيث طريقة عرضها لهذا الخبر المفجع والمصيبة الفادحة والرزية الكاظمة القارحة - إلى أقسام:

القسم الأول: المقتضبة جداً

ذكرنا فيما سبق أنّ بعض المصادر عرضت خبر شهادة المولى الغريب عليه السلام بكلمةٍ أو كلمتين، من خلال الإشارة إلى قتله وقتل شيخ الكوفة هاني بن عروة، واقتصر المؤرّخ على قوله:

«فأخذ عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فقتلها جميعاً» (١).

(١) أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٩ / ١ - ٤، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن ←

أو جمعهما مع قتل عبد الله بن يقطر - صلوات الله عليهم - في ذكر أحداث سنة ستين، فقال:

«قتل هاني بن عروة ومسلم بن عقيل وعبد الله بن يقطر» (١).
ومنهم من أفرد ذكر خبر قتله لوحده، فاكتفى بقوله:
«فقتله عبيد الله» (٢).

ومنهم من اقتصر على صدور الأمر من ابن الأمة الفاجرة وصاغ تنفيذ الأمر على المجهول، فقال:
«ثم أمر به فقتل» (٣).

ومنهم من أشار إلى طريقة تنفيذ القتل من خلال التنصيص على ضرب عنقه عليه السلام، كابن قتيبة والبلاذري والطبري في إحدى رواياته (٤).

منظور: ٢٧ / ٥٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣٥٢.

(١) التاريخ المنصوري للحموي: ٧٥.

(٢) أنظر: تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٦، شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧، الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي: ٣٦، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٧، التنبيه والإشراف للمسعودي: ٣٠٣، الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٨٥، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧، الجوهرة للبري: ٤٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩، مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمة للأربلي: ٢ / ٤٣.

(٣) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٧.

(٤) أنظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ١٠، جمل من أنساب الأشراف

وقال الذهبي:

«وقال غير واحد: قُتل مع الحسين ابن عمّه مسلم بن عقيل ابن أبي طالب، وقد كان في آخر سنة ستين، قتله ابن زياد صبراً» (١).

وقد تبين أنّ هذا القسم من المصادر رغم شدة الاقتضاب في نقل الخبر والبخل في شرح ما جرى على المولى الغريب عليه السلام، غير أنّها أفادت أنّه - فداه روعي - قُتل بضرب عنقه صبراً..

والقتل صبراً أن يُحبس ويُقتل، أو أن يرمى وهو حيّ حتى يموت (٢)، وقد قُتل سيّد الشهداء عليه السلام وزينة عرش الله صبراً كما ورد في التاريخ والحديث، فقد ورد في حديث طويل عن الصادق عليه السلام وهو يحدث عن العهد المأخوذ على النبي صلى الله عليه وآله في المعراج التعبير بالقتل صبراً في كلام الله - عزّ وجلّ - مع نبيه صلى الله عليه وآله مرتين:

«يقتلونه صبراً... أمّا ابنك المخدول المقتول وابنك المغدور المقتول صبراً..» (٣).

للبلاذري: ٣ / ٤٢٣، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩٢.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣٥٢.

(٢) أنظر: لسان العرب لابن منظور، ومجمع البحرين للطريحي: مادة «صبر».

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه: ٣٣٤ باب ١٠٨ ح ١١.

ويا لها من قتلةٍ مفاجئة، تصدع الفؤاد وتزيل القلب عن مستقرّه،
إذ يبتي حبيب الله وولّيه بتكاثر اللئام عليه، ويشخن بالجراح حتّى لا
يقوى على القتال، فاحتوشه مَنْ لا يعرف إلّا «لؤم الغلبة»، ويكون
مثل المولى الغريب عليه السلام مكتوفاً، فيتقدّم جبانٌ لئيم وغد خبيث ليضرب
عنقه!! فإنّا لله وإنا إليه راجعون!

القسم الثاني: فيها شيءٌ من التفصيل

قال البلاذري:

«فقتله، فكان الذي تولى ذلك منه بكير بن حمران الأحمري،
أشرف به على موضع الحذّائين، وهو يسبح ويدعو على مَنْ
غرّه وخذله، فضرب عنقه، ثمّ أتبع رأسه جسده، ثمّ ضرب
رأسه فسقط» (١).

الدينوري:

«وأمر ابن زياد بمسلم بن عقيل، فرّق به إلى ظهر القصر،
فأشرف به على الناس وهم على باب القصر ممّا يلي الرحبة،
حتّى إذا رأوه ضربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلى الرحبة، ثمّ
أتبع الرأس بالجسد، وكان الذي تولى ضرب عنقه أحمري بن

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٠.

بكير» (١).

الطبري:

«فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه، وألقى جثته

إلى الناس» (٢).

الطبري أيضاً:

«فصعد به، وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله

ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا

وأذلّونا. وأشرف به على موضع الجزارين اليوم، فضربت عنقه،

وأتابع جسده رأسه.

قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي

جحيفة قال: نزل الأحمريّ بكير بن حمران الذي قتل مسلماً،

فقال له ابن زياد: قتلتَه؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم

تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويستبّح ويستغفر، فلما أدنيتَه

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٢.

(٢) التاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، نفس المهموم للقمي: ١١٨، الأمالي للشجري: ١ /

١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦،

تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥٢، الإصابة: ١ / ٣٣٣، ابن بدران في ما

استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٧، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّونا وخذلونا وقتلونا، فقلت له: أدنْ مِنِّي، الحمد لله الذي أقادني منك، فضربته ضربةً لم تغنِ شيئاً، فقال: أما ترى في خدشٍ تخدشنيه وفاءً من دمك أيها العبد! فقال ابن زياد: أو فخرًا عند الموت! قال: ثمّ ضربته الثانية فقتلته» (١).

ابن أعثم:

«قال: فأصعد مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أعلى القصر، وهو في ذلك يستبج الله تعالى ويستغفره وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. فلم يزل كذلك حتّى أتى به إلى أعلى القصر، وتقدّم ذلك الشاميّ فضرب عنقه عليه السلام.

ثمّ نزل الشاميّ إلى عبيد الله بن زياد وهو مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير! إلاّ أنّه عرض لي عارض، فأنا له فزعٌ مرعوب. فقال: ما الذي عرض لك؟ قال: رأيتُ ساعة قتلتَه رجلاً حذاي، أسود كثير السواد كربه المنظروهو [عاضٌ] على إصبعيه - أو قال: شفّتيه -، ففزعتُ منه فزعاً لم أفزع قطّ مثله. قال: فتبسّم [ابن] زياد وقال له: لعلّك دُهِشت، وهذه عادة لم تعتدها قبل

ذلك» (١).

المسعودي:

«فأصعدوه إلى أعلى القصر، فضرب بكير الأحمري عنقه، فأهوى رأسه إلى الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده (٢).

ثم دعا ابن زياد بيكير بن حمران الذي ضرب عنق مسلم، فقال: أقتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به لتقتلوه؟ قال: كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله، فلما أدنيه لنضرب عنقه قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا، فقلت: الحمد لله الذي أقادني منك، وضربته ضربة لم تعمل شيئاً، فقال لي: أو ما يكفيك! وفي خدشٍ مميّ وفاء بدمك أيها العبد؟ قال ابن زياد: أو فخرأ عند الموت؟ قال: وضربته الثانية فقتلته، ثم أتبعنا رأسه جسده» (٣).

ابن حبان:

«ثم أمر عبيد الله بضرب رقبة مسلم بن عقيل، فضرب رقبة

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ١٠٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩، نفس المهموم للقمي: ١١٨.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٧٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٨.

مسلم بن عقيل بكيرُ بن حمران الأحمريّ على طرف الجدار، فسقطت جثته، ثمّ أتبع رأسه جسده» (١).

أبو الفرج:

«فصعدوا به، وهو يستغفر الله ويصليّ على النبيّ محمد صلّى الله عليه وآله وعلى أنبيائه ورسله وملائكته، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكادونا وخذلونا. ثمّ أشرفوا به على موضع الحدّائين، فضرب عنقه، ثمّ أتبع رأسه جسده، صلّى الله عليه ورحمه» (٢).

المفيد والفتال:

«فصعد به، وهو يكبر ويستغفر الله ويصليّ على رسوله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. وأشرفوا على موضع الحدّائين اليوم، فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه» (٣).

مسكويه:

(١) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧١.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٧، روضة الواعظين للفتال:

«فصعد وهو يقول: اللَّهُمَّ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَرْوْنَا وَخَذْلُونَا. وأُشْرِفْ بِهِ عَلَى مَوْضِعِ الْحَذَّائِنِ الْيَوْمَ، فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ وَأَتْبَعَ جَسَدَهُ رَأْسَهُ» (١).

الطبرسي:

«وَجَعَلَ مُسْلِمٌ يَكْبِّرُ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُهُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَرْوْنَا وَخَذْلُونَا. وَضَرَبَ عُنُقَهُ وَأَتْبَعَ جَسَدَهُ رَأْسَهُ» (٢).

الخوارزمي:

«قَالَ: فَأَصْعَدَ مُسْلِمٌ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ، وَهُوَ يَسْبِيحُ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُهُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَرْوْنَا وَخَذْلُونَا. حَتَّى أَتَى بِهِ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ، فَتَقَدَّمَ ذَلِكَ الشَّامِيُّ وَضَرَبَ عُنُقَهُ، ثُمَّ نَزَلَ الشَّامِيُّ وَهُوَ مَذْعُورٌ مَدْهُوشٌ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: مَا شَأْنُكَ؟ أَقْتَلْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِلَّا أَنَّهُ عَرَضَ عَارِضٌ، فَأَنَا بِهِ مَرْعُوبٌ. قَالَ: وَمَا الَّذِي عَرَضَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ سَاعَةً قَتَلَتْهُ رَجُلًا بِحِذَائِي، أَسْوَدَ شَدِيدَ السَّوَادِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ، عَاضًا عَلَى إصْبَعِهِ - أَوْ قَالَ: شَفْتَهُ -، فَفَزَعْتُ مِنْهُ فَزَعًا لَمْ أَفْزَعْ مِثْلَهُ قَطُّ. فَتَبَسَّمَ

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣.

(٢) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٩.

ابن زياد وقال: دهشت من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك» (١).
ابن شهر آشوب:

«وكان مسلم يدعو الله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم
غزونا وخذلونا. فقتله وهو على موضع الحذائين» (٢).

ابن الأثير:

«فأُصعد مسلم فوق القصر، وهو يستغفر ويسبّح، وأشرف به
على موضع الحذائين، فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن
حمران الذي ضربه مسلم، ثم أتبع رأسه جسده.

فلما نزل بكير قال له ابن زياد: ما كان يقول وأنتم تصعدون
به؟ قال: كان يسبّح ويستغفر، فلما قتلت له: ادنُ مِنِّي،
الحمد لله الذي أمكن منك وأقادني منك، فضربته ضربةً لم
تغن شيئاً، فقال: أما ترى في خدش تخدشنيه وفاءً من دمك
أيها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت! قال: ثم ضربته
الثانية فقتلته» (٣).

ابن نما:

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣٢٠.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٤، نفس المهموم للقمي: ١١٧ - ١١٨.

«فأصعد على القصر، فضرب عنقه بكير بن حمران الأحمرى،
وألقي جسده إلى الناس» (١).

سبط ابن الجوزي:

«فأمر به، فأصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه، وألقي رأسه
إلى الناس ...

ولما دخل ابن زياد الكوفة، طلب مسلم بن عقيل - على ما
قدّمناه - وقتله» (٢).

ابن طاووس:

«فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره ويصلي على
النبي ﷺ، فضرب عنقه، ونزل مذعوراً، فقال له ابن زياد: ما
شأنك؟ فقال: أيها الأمير، رأيت ساعة قتلته رجلاً أسود سيء
الوجه حذائي عاصاً على أصبعه - أوقال: على شفته -،
ففزعته منه فرعاً لم أفزعه قط. فقال ابن زياد - لعنه الله -:
لعلك دهشت» (٣).

ابن طقطقي:

(١) مثير الأحرار لابن نما: ١٨.

(٢) تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩ و ١٤٠.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٥٨.

«فضربت عنقه فوق القصر، فهو رأسه وأتبع جثته رأسه» (١).

النوري:

«ثم أمر به، فأُصعد فوق القصر، وهو يستغفر الله تعالى ويسبّح، وأشرف به على موضع الحدّادين، فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران، ثم أتبع رأسه جسده» (٢).

ابن كثير:

«ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل، فأُصعد إلى أعلا القصر، وهو يكبر ويهلل ويسبّح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا وخذلونا. ثم ضرب عنقه رجل يقال له: بكير بن حمران، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده» (٣).

تاج الدين العاملي:

«فأمر به، فقتل، وألقي من أعلى القصر» (٤).

(١) كتاب الفخري لابن طقطقي: ١٠٥.

(٢) نهاية الإرب للنوري: ٢٠ / ٤٠٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

(٤) التتمة لتاج الدين العاملي: ٧٨.

الطريحي:

«قال: ثُمَّ أَلْقِي مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ وَعَجَّلَ اللَّهُ بَرُوحَهُ إِلَى
الْجَنَّةِ» (١).

أبو مخنف المشهور:

«فَلَمَّا صَعِدَ بِهِ، قَالَ مُسْلِمٌ عليه السلام: دَعَنِي أَصْلِي رَكَعَتَيْنِ، وَافْعَلْ
مَا بَدَا لَكَ. فَقَالَ: لَيْسَ إِلَيَّ ذَلِكَ سَبِيلٌ. ثُمَّ بَكَى مُسْلِمٌ عليه السلام،
وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا قَوْمَنَا شَرَّ مَا جَزَى شرار الموالى بل أعق وأظلما
هُمْ مَنَعُونَا حَقَّنَا وَتَظَاهَرُوا علينا وراموا أن نذل ونرغما
أَغَارُوا عَلَيْنَا يَسْفِكُونَ دِمَاءَنَا ولم يرقبوا فينا ذماماً ولا دما
فَنَحْنُ بَنُو الْمُخْتَارِ لَا خَلْقَ مِثْلَنَا نبي أبت أركانه أن تهدما
فَأَقْسَمَ لَوْلَا جَيْشُكُمْ آلَ مَذْحِجَ وفرسانها والحركان المقدما
قال: فنادى ابن زياد - لعنه الله -: يا ويلك، ألقه. فرموه على
أُمِّ رَأْسِهِ، فَقَضَى نَحْبَهُ» (٢).

السيد المقرّم:

«فَأَصْعَدَهُ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ، وَهُوَ يَسْبَحُ اللَّهَ وَيَهْلِلُهُ وَيَكْبِّرُهُ،

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٨.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٧.

ويقول: اللَّهُمَّ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَزَوْنَا وَخَذَلُونَا وَكَذَبُونَا.
وَتَوَجَّهْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَسَلِّمْ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وأشرف به الشامي على موضع الحذائين، وضرب عنقه ورمى
برأسه وجسده إلى الأرض، ونزل مذعوراً، فقال له ابن زياد: ما
شأنك؟ قال: رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سيء الوجه حذائي
عاضاً على إصبعه، ففزعت منه، فقال ابن زياد: لعلك
دهشت» (١).

من المباشر للقتل؟ هل هو بكر (بكير) بن حمران الأحمر؟

ورد اسم بكر أو بكير بن حمران الأحمر في المصادر، وهو الذي تجرأ
على المولى عليه السلام فضربه بالسيف على فمه فقطع شفته العليا وأسرع في
شفته السفلى فنصلت ثنيتا المولى الغريب عليه السلام، وقد أتينا على تفصيل
هذه الضربة وصفتها خلال بحثنا عن «الحرب الأخيرة».

واختلاف المصادر في الاسم الأول «بكر» أو «بكير» لا يضّر لقوة
احتمال التصحيف الذي يكاد يورث الاطمئنان.

فلا خلاف في المصادر - حسب فحصنا - في الضربة وصفتها
والضارب - عليه لعنة الله - .

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٨٩ - ١٩٠.

لكنّ المصادر اختلفت في التصريح بقتله، منها ما اكتفى بذكر أنّ
البطل الهاشمي عليه السلام قد ردّ على ضربته بضربتين قاصمتين مؤثرتين
بليغتين:

القسم الأول: ذكرت الضربتين فقط

قال البلاذري:

«فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمريّ ضربتين، فضرب بكير
فم مسلم، فقطع شفته العليا وأسرع في شفته السفلى فنصلت
ثنيته، وضرب بكيراً ضربةً على رأسه، وأخرى على حبل
عاتقه» (١).

لا يهمنّا كثيراً اجتناب البلاذري وصف الضربتين، لأنّ تفصيل ذلك
قد ورد في غيره من المصادر من جهة، ولأنّنا نعرف ضربات آل أبي
طالب من جهة أخرى.

القسم الثاني: ذكرت الضربتين وأثرهما

اقتصر هذا القسم من المصادر على ذكر ردّ المولى عليه السلام بضربتين
قاصمتين نزلت عليه كالبرق الخاطف، أصابت إحداها رأسه العفن
وغاصت الأخرى في عاتقه، فعبروا عن ضربة الرأس أنّها منكرة، وعن

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٩.

ضربة العاتق كادت تطلع على جوفه، أو تصل جوفه.. من دون التصريح بقتله.

قال الطبري وابن كثير:

«فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين، فضرب بكير فم مسلم، فقطع شفته العليا وأشرع السيف في السفلى ونصلت لها ثنيتاه، فضربه مسلم ضربةً في رأسه منكراً، وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه» (١).

وقال ابن الأثير والنويري:

«وضرب بكير (٢) بن حمران الأحمري فم مسلم، فقطع شفته العليا وسقط ثنيتاه، وضربه مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه» (٣).

وقال المسعودي:

«واختلف هو وبكير بن حمران الأحمري ضربتين: فضرب بكير فم مسلم، فقطع السيف شفته العليا وشرع في السفلى، وضربه

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨، نفَس المهموم للقمي: ١١٣.

(٢) في نهاية الأرب: «بكر».

(٣) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٢، نهاية الأرب للنوري: ٢ / ٤٠٠.

مسلم ضربة منكراً في رأسه، ثمَّ ضربة أُخرى على حبل العاتق فكاد يصل إلى جوفه» (١).

وقال المفيد والمجلسي والفتال:

«فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمري، فضرب بكرم مسلم، فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلى وفصلت له ثنيتاه، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكراً، وثناه بأخرى على حبل عاتقه كادت تطلع على جوفه» (٢).

الطبرسي:

«واختلف هو وبكر بن حمران الأحمري، فضرب بكرم مسلم، فقطع شفته العليا وأسرع في السفلى، وضربه مسلم على رأسه ضربةً منكراً، وثنى بأخرى على حبل العاتق» (٣).

يلاحظ تقارب عبارات هذا القسم من المؤرخين واتفاقهم على توصيف الضربتين، وإنَّما ذكرنا الشيخ الطبرسي في هذا القسم باعتباره

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٨، نفس المهموم للقمي: ١١٠.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٢، نفس المهموم للقمي: ١١٢،

روضة الواعظين للفتال: ١٥٠.

(٣) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٨.

وصف الضربة الأولى بالمنكرة، وقال: وثني بأخرى، مما يشعرا تصافها بنفس الصفة.

القسم الثالث: التي صرّحت بقتله

صرّحت قسمٌ من المصادر بهلاك اللعين وقتله بسيف البطل الطالبيّ عليه السلام على أثر ضربة، وفي لفظ بعضهم: «بلغت جوفه»، وفي لفظ المقتل المشهور: «على أم رأسه».

قال ابن أعثم:

«فقصده من أهل الكوفة رجلٌ يقال له: بكير بن حمران الأحمريّ، فاختلفا بضربتين، فضربه بكير ضربةً على شفته العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربةً فسقط إلى الأرض قتيلاً» (١).

وقال الخوارزمي:

«وقصده رجلٌ من أهل الكوفة يقال له: بكير بن حمران الأحمريّ، فاختلفا بضربتين، ضربه بكير على شفته العليا، وضربه مسلم، فبلغت الضربة جوفه فأسقطه قتيلاً» (٢).

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٩٦.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٨.

وقال ابن شهر آشوب والمجلسي:

«فضربه بكير بن حمران الأحمريّ على شفته العليا، وضربه

مسلم في جوفه فقتله» (١).

وفي مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف المشهور:

«فاختلف هو وبكر بن حمران بضربتين، فعاجله مسلم، فضربه

على أُمِّ رأسه فقتله» (٢).

* * * * *

يتّضح ممّا سبق من التقسيم أنّ ابن أعثم والخوارزمي وابن شهر آشوب والمجلسي في إحدى رواياته والمقتل المشهور لأبي مخنف تصرّح بقتل هذا الوغد، وباقي المصادر التي ذكرناها قبل قليل تصرّح بأنّه أصيب إصاباتٍ بليغة منكّرة في رأسه وعاتقه كادت تطلع على جوفه أو تصل إلى جوفه..

وربّما نقل الراوي في القسم الثاني ما شاهده من الضربة، ولم ينقل أكثر من ذلك لعدم مشاهدته، أو تركها مبهمّة خوفاً من تعارضها مع ما سيروى من إيكال قتل المولى الغريب عليه السلام إليه..

فربما يستبعد أن يكون بكر أو بكير بن حمران هو الذي باشر قتل

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١ / ٣٢٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٣.

المولى الغريب عليه السلام لعدة أسباب:

السبب الأول: ثقل المصادر التي صرّحت بقتله

إنّ المصادر التي نصّت على قتله وهلاكه بسيف الحسين المسلول مسلم بن عقيل عليه السلام لها ثقلها ووزنها وقدمها في مقابل تلك التي لم تصرّح بقتله، من قبيل ابن أعثم والخوارزمي وابن شهر آشوب.

السبب الثاني: شدة الإصابات

إنّ مَنْ يصاب بتلك الضربات المهلكة على الرأس والعاتق يكاد لا يصدّق أنّه يقوى على حمل سيفٍ ليضرب به عنق رجل فضلاً عن بطلٍ مثل مسلم بن عقيل عليه السلام!

السبب الثالث: عدم تصريح بعض المصادر بمباشرة

إنّ بعض المصادر لم تصرّح أنّ الذي دعاه ابن زياد إنّما هو بكر أو بكير بن حمران، وإنّما ذكرته بالصفة، كما ورد في تاريخ الطبري: «ثمّ قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه؟ فدُعي، فقال: اصعد، فكن أنت الذي تضرب عنقه» (١).

وبعضها ذكرته بالصفة، ثمّ طبّق المؤلف على الأحمريّ، كما فعل أبو الفرج، قال:

«ثمّ قال: ادعوا الذي ضربه ابن عقيل على رأسه وعاتقه بالسيف، فجاءه، فقال: اصعد، وكن أنت الذي تضرب عنقه. وهو بكير بن حمران الأحمريّ» (١) - لعنه الله - .

لكنّ جماعةً - منهم المسعودي والمفيد والفتال والطبرسي وابن طاووس - نقلوا أنّ ابن زياد دعا الأحمريّ أو دُعي له بعد أن ذكره بالصفة:

قال المسعودي:

«فأصعد إلى أعلى القصر، ثمّ دعا الأحمريّ الذي ضربه مسلم، فقال: كن أنت الذي تضرب عنقه لتأخذ بثأرك من ضربته» (٢).

وقال المفيد والفتال والطبرسي:

«فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدُعي بكير بن حمران الأحمريّ، فقال له: اصعد،

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧١.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩، نفس المهموم للقمي: ١١٧.

فلتكن أنت الذي تضرب عنقه» (١).

وقال ابن طاووس:

«فأمر ابن زياد بكر بن حمران أن يصعد به إلى أعلى القصر

فيقتله» (٢).

السبب الرابع: احتمال أن يكون المباشر غيره

لقد صرح ابن أعثم والخوارزمي أنّ المدعوّ هو غير الأحمريّ، وإنّما هو رجلٌ من الشام كان قد أصيب بضربة منكّرة على رأسه من سيف البطل الهاشمي عليه السلام.

قال ابن أعثم والخوارزمي - واللفظ للأول - :

«قال: فأدخله ابن زياد القصر، ثمّ دعا رجلاً من أهل الشام

قد كان مسلم بن عقيل ضربه على رأسه ضربة منكّرة، فقال

له: خُذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه

بيدك، ليكون ذلك أشفى لصدرك» (٣).

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤، روضة الواعظين للفتال: ١٥٢، إعلام الوری للطبرسي:

٢٢٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٧.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ٥٨.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٣.

وقال ابن فندق:

«قتله راشد بن سرد بن عتبة، وقيل: قتله ابن حمران

الأحمري» (١).

يلاحظ أنّ ابن فندق كآته اعتمد القول الأول ونسب الثاني إلى

القيّل.

* * * * *

كيف كان، فإنّ الخبيث اللعين بكر أو بكير الأحمريّ إمّا أن يكون هو المباشر في قتل المولى الغريب عليه السلام أو شريك بدورٍ فاعلٍ في دمه، فلعنة الله عليه وعلى من أمره بذلك ومن يسرّله سبيل ذلك من الأولين.

وقد وقعت المصيبة التي أفجعت قلوب المؤمنين منذ ذلك اليوم إلى قيام يوم الدين بمقتل أخي الحسين عليه السلام وعلامة المؤمنين بالحزن وإجراء الدمع من العين عليه، فليكن الأحمريّ أو الشاميّ هو المباشر، وإنّما استطرّدنا في تفصيل ذلك لأنّ المراجع للتاريخ تلوح له إشارات التعارض بين النصوص المصرّحة بقتل الأحمريّ بسيف البطل الهاشميّ عليه السلام في الحرب الأخيرة والنصوص المصرّحة بمباشرته قتل المولى الغريب عليه السلام بأمر ابن زياد - لعنه الله - .

(١) لباب الأنساب لابن فندق: ١ / ٣٩٧.

دافع مشترك

سواء كان القاتل الأحمريّ أو الشاميّ، فإنّ الدافع لدعوتهما واحد عند ابن الأمانة الفاجرة، وهو ما لوّحت به النصوص وصرّح به ابن أعثم والخوارزمي على لسان الطاغوت الرجس ابن زياد:

«فقال له: خُذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه

بيدك، ليكون ذلك أشقى لصدرك» (١).

التشقيّ.. اختار موتوراً تغلي مراحل الحقد في أعماقه، وتلسعه نيران الضغينة والعداوة، ويشبّ فيه لهيب البغضاء والشماتة.. وهو أيضاً أشقى لصدر الدعيّ ابن الدعيّ أن يباشر القتل من يحمل شيئاً من مشاعره في التشقيّ والانتقام.. فقد أخزاهم وفضحهم وأوجعهم وقتل صناديدهم أخو الحسين وسفيره عليه السلام!

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٣.

الموضع الذي قُتل فيه

قال البلاذري:

«أشرف به على موضع الحذائين» (١).

وقال الدينوري:

«فرقي به إلى ظهر القصر، فأشرف به على الناس وهم على

باب القصر ممّا يلي الرحبة، حتّى إذا رآوه ضُربت عنقه هناك،

فسقط رأسه إلى الرحبة، ثمّ أتبع الرأس بالجسد» (٢).

وقال الطبري:

«فصعد به ... وأشرف به على موضع الجزّارين اليوم» (٣).

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٠.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٨.

وقال ابن أعثم والخوارزمي وسبط ابن الجوزي وابن كثير:

«فأصعد مسلم بن عقيل إلى أعلى القصر» (١).

وقال ابن حبان:

«فضرب رقبة مسلم.. على طرف الجدار» (٢).

وقال أبو الفرج وابن الأثير:

«فصعدوا به.. ثم أشرفوا به على موضع الحذائين» (٣).

وقال المفيد والفتال:

«فصعد به.. وأشرفوا على موضع الحذائين اليوم» (٤).

وقال مسكويه:

«فصعد.. وأشرف به على موضع الحذائين اليوم» (٥).

وقال ابن شهر آشوب:

«فقتله وهو على موضع الحذائين» (٦).

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٣، مروج

الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩، تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩،

البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧١، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٤.

(٤) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤، روضة الواعظين للفتال: ١٥٢.

(٥) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣.

(٦) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣٢٠.

وقال النويري:

«فأصعد فوق القصر.. وأشرف به على موضع الحدّادين» (١).

* * * * *

يلاحظ أنّ المصادر كلّها اتّفقت بلا خلافٍ على أنّ القتل كان أعلى القصر أو فوق القصر.

أمّا الجهة التي كان يشرف عليها من أعلى القصر والموضع الذي كان يقابله، فقد وردت في المصادر أربع تسميات له:

الأول: موضع الحدّائين.

الثاني: ممّا يلي الرحبة.

الثالث: الجزّارين.

الرابع: الحدّادين.

وربما أمكن الجمع بينها أو استكشافها من خلال بعض الاحتمالات:

الاحتمال الأوّل: التصحيف

يلاحظ أنّ «الحدّائين» و«الحدّادين» و«الجزّارين» كلمات متشابهة من حيث الرسم قريبة جدّاً من بعضها، وهو احتمالٌ وارد،

(١) نهاية الإرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٣.

فيبقى الجمع بينها جميعاً كموضع واحد ذكر بتسمياتٍ مختلفة تصحيفاً، وبين قول الدينوري: «مما يلي الرحبة»، وسيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

الاحتمال الثاني: تقارب المواضع

ربما تكون هذه المواضع جميعاً متقاربة، إذ هي أسواق تحاذي بعضها بعضاً وتنتهي جميعاً بالرحبة، فنقل كل راوٍ لمؤرخه الموضع الذي رصد منه الحدث، وهي جميعاً في جهة واحدة.

وبهذا تجتمع الأقوال جميعاً بما فيها قول الدينوري وتشير إلى موضع واحد، سيما إذا لا حظنا أن المصيبة وقعت في أعلى القصر، فالجميع يمكن أن يراها على حدّ سواء ما داموا من جهةٍ واحدة.

الاحتمال الثالث: اختلاف المواضع بمرور الزمان

يلاحظ أن الطبري عبّر بقوله: «موضع الجزارين اليوم»، وعبّر الشيخ المفيد والفتال ومسكويه: «موضع الحذّائين اليوم»، وأطلق النووي: «الحذّادين»، كما أطلق البلاذري وجماعة: «الحذّائين»، فربما كان كلٌّ يحدّد الموضع حسب ما كان في زمانه، وربما اختلفت المواقع والمواضع من عصرٍ إلى آخر، فكان نفس الموضع في زمن وقوع المصيبة، أو في زمن البلاذري يقال له: موضع الحذّائين، وتغيّر في زمن الطبري، فنفس الموقع

الذي كان فيه الحدّاءون سابقاً صار للجزارين في زمن الطبري،
وللحدّادين في زمن النويري مثلاً.

لماذا صُعد به إلى السطح؟

اتَّفقت المصادر - كما ذكرنا قبل قليل - على أنَّ الرجس الخبيث أمر أن يصعدوا بالمولى الغريب عليه السلام إلى أعلى القصر ليقتل ثمَّ، فلماذا لم يقتله في القصر وأصرَّ على أن يقتل فوق القصر؟! ربما يكون ذلك لغرضٍ من الأغراض التالية، أو لها جمعياً ولغيرها:

الغرض الأول: التخويف

كان الخبيث في موقع يحتاج فيه إلى نشر الرعب بين الناس وتخويفهم وترهيبهم واستخفافهم لطبعه، وفي نفس الوقت يريد أن يورث اليأس في قلوب مَنْ كان لا يزال يتعلّق قلبه بسلامة المولى الغريب عليه السلام.

وربما أشار إلى ذلك نصّ الدينوري:

«فأشرف به على الناس وهم على باب القصر ممّا يلي الرحبة،
حتى إذا رآوه ضُربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلى الرحبة، ثمّ
أتبع الرأس بالجسد».

حيث أكّد على أنّه أشرف به على الناس.. «حتى إذا رآوه ضربت
عنقه».. فكأنّ الإشراف به كان لغرض أن يراه الناس.
وكذا في تعبير سبط ابن الجوزي:

«فأصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه وألقي رأسه إلى
الناس» (١).. ما قد يفيد ذلك.

وكذا ما قاله الحائري المازندراني:
«ثمّ أدخل على ابن زياد، وقد اجتمع الناس حول دار الإمارة،
فمنهم من يقول بأنّ مسلماً مقتولاً لا محالة، ومنهم من يقول
بأنّه يساق إلى الشام، ومنهم من يقول بأنّه يحبس حتى يأتي
الخبر من يزيد في أمره، فبينما هم كذلك إذا بجثته الشريفة قد
أُلقيت من أعلى القصر بلا رأس، ثمّ أتبع برأسه الشريف» (٢).

الغرض الثاني: تحطيم المقدّسات

المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام مجمع الفضائل، وكتلة وضاء،

(١) تذكرة خواصّ الأئمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

(٢) معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٤١.

ومنبع نير من المقدّسات، وموطن مقدّس للحرّمات، فهو من قد عرفه الناس نسباً وحسباً وسلوكاً ومنبتاً وشهامةً وشجاعةً وتقوىً وورعاً وإيماناً و يقيناً وعبادةً وزهادةً..

تحوطه المقدّسات والحرّمات من كلّ جوانبه؛ فهو من سلالة إبراهيم الخليل، وعتره النبيّ الخاتم وسيدّ الأنبياء والمرسلين ﷺ، وحفيد أبي طالب ﷺ، وابن أخ أمير المؤمنين وسيدّ الوصيّن ﷺ، وريب البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه، وأخ سيدّ شباب أهل الجنّة ﷺ وسفير خامس أصحاب الكساء الإمام الحسين ﷺ..

تحفّه حرمة بيت الرسول، وتجلّله ظلال الكساء الملقى على أصحاب الكساء.. وقد دأب القوم على هتك حرّمات الله، والتعدّي على حرّمات الرسول ﷺ، ليعلم الناس أن لا مقدّس عند قرود الشجرة الملعونة في القرآن، فيخاف الناس من جهة، ويتجرّؤوا على هتك الحرّمات من جهةٍ أخرى..

وفي قتل المولى الغريب ﷺ إعدادٌ للنفوس على مشاهدة الرذيلة والتمرّس عليها والتحفّز لها، لتفرّغ القلوب الخاوية، وتستعدّ لمواجهة سيّد الشهداء ﷺ والخروج عليه بوقاحةٍ وصلف زائدين.

الغرض الثالث: التنكيل والتشفيّ والتشهير

ربما كان إصعاده إلى أعلى القصر فيه ما يحقّق لحقده وغيبه من

التشقيّ والتشهير والانتقام والإمعان في أذى المولى عليه السلام وتعذيبه، وقد سمعناه حينما دعا الأحمريّ يقول له: «خُذ مسلماً، واصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه بيدك، ليكون ذلك أشفى لصدرك»^(١)، وهو أشفى لصدره الوغر، كما قلنا تحت عنوان: «دافع مشترك».

الغرض الرابع: التفرد بالقتلة

سمعنا قبل قليل أنّ ابن الأمة الفاجرة قد هدّد بقتلة لم يُقتل بها أحدٌ في الإسلام، فربما كان ما فعله ليتفرد بنوع القتلة بأن يُقتل صبراً ويُلقى من شاهقٍ أمام عيون الملأ وعلى رؤوس الأشهاد.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٣.

ذكر الله ودعاؤه عند القتل

قال البلاذري:

«وهو يسبّح ويدعو على مَنْ غَزَاهُ وخذله» (١).

وقال الطبري:

«وهو يكبر ويستغفرو ويصلي على ملائكة الله ورسله، وهو

يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا وكذبونا وأذلّونا.

-وأضاف في حكاية القاتل لابن زياد -: وقتلونا» (٢).

وقال المسعودي:

«كان يكبر ويستبّح الله ويهلل ويستغفر الله، فلمّا أدّيناه

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٨.

لنضرب عنقه قال: اللَّهُمَّ احكم بيننا وبين قوم غَرّونا وكذبونا
ثُمَّ خذلونا وقتلونا» (١).

وقال أبو الفرج:

«فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصلي على النبي محمد صلى الله عليه وآله
وعلى أنبيائه ورسله وملائكته، وهو يقول: اللَّهُمَّ احكم بيننا
وبين قوم غَرّونا وكادونا وخذلونا» (٢).

وقال المفيد والفتال ومسكويه:

«فصعد به وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسوله، ويقول:
اللَّهُمَّ احكم بيننا وبين قوم غَرّونا وكذبونا وخذلونا» (٣).

وقال الطبرسي:

«وجعل مسلم يكبر الله ويستغفره ويصلي على النبي وآله،
ويقول: اللَّهُمَّ احكم بيننا وبين قوم غَرّونا وخذلونا» (٤).

وفي المقتل المشهور:

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٧٠.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧١.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤، روضة الواعظين للفتال: ١٥٢، تجارب الأمم

لمسكويه: ٢ / ٥٣ وفيه الدعاء فقط.

(٤) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٩.

«فلما صعدوا به قال مسلم: دعني أصلي ركعتين وافعل ما بدا لك. فقال: ليس إلى ذلك سبيل» (١).

* * * * *

اقتصرنّا على ذكر نماذج مما ورد في المصادر ولم نُحصِها جميعاً، وذلك لأننا ذكرناها قبل قليل من جهة، ولتقارب النصوص أو اتفاقها من جهة أخرى، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الملاحظات:

ملاحظات:

الملاحظة الأولى: السكينة والوقار

إِنَّ مَنْ يعيش في رحاب هذا المولى العظيم والعبد المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، ويسايره خلال فترة تشرف الكوفة بأقدامه المباركة، يقف بين يديه خاضعاً مخبتاً معجباً متعجباً، بل ربما يصاب بذهول، ويؤخذ بمجامع قلبه، ويختطف البصر والحواس والجوانح فيشدّها إلى نموذج يعزّله النظير في غير الأنبياء والأوصياء..

رجلٌ لا تزيّله السكينة والوقار طرفة عين أبداً.. ثابت الجنان، مطمئن القلب بذكر الله في كل خطوة وفي كل موطن وموقف! حينما

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٧.

يكون الناس حوله.. حينما يخذلونه ويبقى وحده.. حينما يحارب ويقارع الصناديد ويواجه أنواع الأسلحة وشتى الأساليب الحربية والقتالية وحده.. حينما يُصرع إلى الأرض بعد أن أُثخن بالجراح.. حينما يكضّه العطش ويفتت كبده الظمأ.. حينما يؤخذ أسيراً.. حينما ابتلي بوقوفه في مجلس الطاغية الرعديد مكتوفاً، وجرت عليه الدواهي أن يصبر لـ «لؤم الغلبة».. والآن وقد سعدوا به إلى أعلى القصر ليقتل صبراً! مكتوف الأيدي.. ينظر إلى السيف بيد لئيم حقير..

وهو مع ذلك لا زال مطمئن القلب بذكر الله، يسبح الله ويكبره ويستغفره.. لا يغفل عن ذكر الله!

عجباً والله لمن يقبل في مولاي وحببي ومرتجاي حكايات التاريخ التي تنم عن شيء لا يعرفه العبد الصالح أبداً.. حكايات تحكي ما يخالف السكينة والوقار والاطمئنان والثبات والعزيمة على لقاء الله والفوز بالشهادة في محبة الحسين عليه السلام!!

الملاحظة الثانية: الصلوات الكاملة

ذكر بعضهم أنه كان يصلي على أنبياء الله ورسله وملائكته، أو أنه «يصلي على رسوله» كما في عبارة الشيخ المفيد والفتال، واكتفوا بهذا المقدار من ذكر الصلوات، بيد أن الطبرسي قال: «ويصلي على النبي وآله»، وهذا هو الصحيح، لأن الفقيه العالم مسلم بن عقيل عليه السلام لا

يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الصلاة البتراء التي نهى عنها النبي ﷺ.

إِلَّا أَنْ تَحْمِلَ عِبَارَةَ الشَّيْخِ الْمَفِيدِ وَالْفَتَالِ «يُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ» عَلَى الْإِخْتِصَارِ، وَكَذَا عِبَارَةَ أَبِي الْفَرَجِ: «وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ وَمَلَائِكَتِهِ»، وَهُوَ إِخْتِصَارٌ مُخَلٌّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، خُصُوصاً فِي لَفْظِ أَبِي الْفَرَجِ الَّذِي ذَكَرَ الْجَمِيعَ إِلَّا الْآلَ.

أَمَّا عِبَارَةُ مِثْلِ الطَّبْرِيِّ: «يُصَلِّي عَلَى مَلَائِكَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، وَلَمْ يَذْكُرْ حَتَّى النَّبِيِّ مُحَمَّدًا ﷺ، فَفِيهَا نَقْصٌ وَاضِحٌ وَتَعْمِيَةٌ تَسْتَدْعِي التَّأَمُّلَ!

الملاحظة الثالثة: أذْلُونَا!

وَرَدَ فِي لَفْظِ الطَّبْرِيِّ - وَلَمْ نَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِهِ حَسَبَ فَحْصِنَا - قَوْلُهُ فِي الدُّعَاءِ: «وَأَذْلُونَا»، وَيَبْدُو وَفْقَ الْمَوَاقِفِ الْأُخْرَى أَنَّهُ تَصْحِيفٌ، إِذْ أَنَّ الْجَمِيعَ رَوَى: «خَذْلُونَا»، وَلَمْ يَذْكُرْهَا الطَّبْرِيُّ.

الملاحظة الرابعة: التسبيح والتكبير والاستغفار..

رَبَّمَا يَكُونُ تَكْبِيرُ الْمَوْلَى ﷺ لِيُفْهِمَ هَؤُلَاءِ الطُّغَاةَ الْعَتَاةَ الْمُرْدَةَ، وَالْوُجُودَاتِ الْمَشْوْهَةِ الَّتِي مَسَخَهَا الْغُرُورُ وَالتَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ وَالطُّغْيَانُ وَالْعَتَوُ عَلَى رَبِّ الْأَرْبَابِ، أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ وَأَعَزُّ، وَهُوَ الْمُنْتَقِمُ مِنَ الْجَبَّارِ الَّذِي لَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ وَلَا يُعْجِزُهُ غَالِبٌ لَيْمٍ.

وَهُوَ يَسْبِّحُ اللَّهَ وَيَنْزِّهُهُ؛ لِيُعْلَنَ عَنْ رِضَاهُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَيُنْبِئُ

عن تسليمه للحكم العدل الذي لا يجور، وهو من أهل بيت موكل بهم
البلاء..

وهو يستغفر الله، وقد كان النبي ﷺ يستغفر من دون ذنب ارتكبه،
وها هو مسلم عليه السلام العبد الصالح المطيع لا يريد أن يخرج نفسه من حدّ
التقصير مع ربّه ومع إمامه الذي يريد أن يُقتل في محبّته، وهذا هو رسم
العبوديّة الحقّة.

وهو يصلّي على النبي وآله؛ لأنّها الذكر الأعظم الذي لا ترقى إليه
الأذكار، وهو يتضمّن العقائد الحقّة كلّها، وبه يسهل الصعب ويتيسّر
العسير، ويقرب العبد أيّما تقريب من الله ورسوله والأئمّة الميامين عليهم السلام.
وهو بعد ذلك كلّه يستشعر اقتراب لحظة اللقاء بالله، فيقبل عليه
حامداً ممجّداً مسبّحاً مكبّراً.. ويستشعر قرب اللقاء بالأحبة، محمّداً ﷺ
وحزبه، فيقبل عليهم بالصلاة والسلام عليهم..

ولم نجد أحداً يذكر أنّه استرجع، وهو ذكرٌ يكثر الالتجاء إليه عند
المصيبة، فربما كان ذلك لئلا يفسّر وقتئذٍ أو فيما بعد أنّ البطل
الهاشمي عليه السلام قد جزع - والعياذ بالله - من الموت، وهو الذي أقسم لا
يقتل إلاّ حرّاً.. والله العالم!

الملاحظة الخامسة: الدعاء

دعا المولى الغريب عليه السلام عند قتله بدعوة على أقوام بأعيانهم

وصفاتهم، وجعل الله حكماً بينه وبينهم!

حقاً إنّ التعبير المروي عن المولى الغريب عليه السلام مذهل ومدهش في الدقة .. «احكم بيننا وبين قوم..»، نسمع ضمير الجمع في حديثه عن نفسه .. ليس المولى عليه السلام ممن يستعمل ضمير الجمع لتعظيم نفسه، وإنما هو يخبر عن شيء آخر؛ إنّه ضمير يعود إلى الجماعة .. ليس هو وحده الذي قُتل؛ قُتل هؤلاء الطغاة قبله من آل البيت عليهم السلام منذ يوم رسول الله صلى الله عليه وآله، بل يوم حمزة أسد الله وأسد رسوله، ويوم المحسن الشهيد، ويوم الصديقة الشهيدة عليها السلام، ثمّ أمير المؤمنين والحسن المجتبي عليه السلام، ومن قتل بين كلّ شهادة وشهادة، وقبل ذلك، وما سيأتي بعد أيام حيث سيقتل سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وصحبه .. اللهم احكم بيننا!

ويمكن أن يكون إشارة إلى ما سيقع بعد أيام، بقرينة الصفات التي

نعت بها هؤلاء القوم:

قوم غرّونا ..

قوم كذبونا ..

قوم خذلونا ..

قوم قتلونا ..

قوم كادونا ..

قوم هذه صفاتهم: غرّونا.. وكذبونا.. وخذلونا.. وقتلونا.. وكادونا.. وهي مجموع الصفات الواردة في المصادر، وإن كان بعضهم اقتصر على بعضها.

فبهذه القرينة هو يدعو على قوم بأعيانهم، وهم الذين باشروا هذه الرذائل وفعلوا جميع تلك الأفاعيل مع مسلم بن عقيل عليه السلام ومع سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وصحبه الأبرار.

دعا الله أن يحكم بينهم وهو خير الحاكمين، وقد انتقم الله من هؤلاء الأوغاد بسيف آل أبي طالب عليه السلام في طّف كربلاء، وأرسل عليهم غلام ثقيف سقاهم كأساً مصّبة، ولحقهم بلعنته ولعنة الملائكة والناس أجمعين إلى أبد الآبدين، وسينتقم لدمه الزاكي المقدّس بسيف المنتقم الأعظم ووليّ الدم صاحب الأمر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزى!

وقد دعا بنفس هذا الدعاء ولداه الصغيران المظلومان الذبيحان على شاطئ الفرات:

«اللّهُمَّ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ قَتَلْنَا...».

كما ارتجز أبْنُه عبْدُ الله في الطّف بنفس القافية والرويّ والوزن والكلمات..

الملاحظة السادسة: الصلاة ركعتين

في مقتل المشهور لأبي مخنف:

«فلما صعدوا به قال مسلم عليه السلام: دعني أصلي ركعتين وافعل ما

بدالك. فقال: ليس إلى ذلك سبيل» (١).

لا نريد أن نقف هنا طويلاً بين يدي المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام وهو في ساعته الأخيرة، بيد أن صلاة ركعتين ما كانت لتؤخر قتله، فلماذا امتنع الخبيث الرجس من القبول؟! فالمولى عليه السلام يريد أن يختم حياته في هذه الدنيا بقاء الله والوقوف بين يديه قبل أن يلقاه في الآخرة بعد لحظات، ويريد أن يناجي ربه، فلعل الخبيث النجس خاف أن يدعو عليه في الركعتين ويعجل الله نقمته..

الملاحظة السابعة: مسلم أول من زار الحسين على مرتفع، واستجاب ذلك كما في الروايات

قال السيد المقترم عليه السلام - وهو يروي شهادة المولى الغريب مسلم بن

عقيل عليه السلام بعد أن ذكر أنهم أصدوه إلى أعلا القصر:

«وتوجه نحو المدينة وسلم على الحسين» (٢).

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٧.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقترم: ١٩٠.

وهكذا هو أدب السلام على سيّد الشهداء عليه السلام من بُعد، فقد ورد في الأحاديث في كَيْفِيَّة زيارته عليه السلام لمن نأت داره وبعدت شُقَّتْه أن يصعد على السطح أو على مرتفع فيسلم على أبي عبد الله الحسين عليه السلام ^(١)، فربّما كان المولى العارف المقتول في محبّة الحسين عليه السلام

(١) في كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٨٦ الباب ٩٦: مَنْ نَأَتْ داره وبعدت شُقَّتْه كيف يزوره:

١- حدّثني أبي عليه السلام، عن سعد ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن رواه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِذَا بَعُدَتْ بأحدكم الشُّقَّة ونأت به الدار، فليعلّ أعلى منزلٍ له فيصلي ركعتين وليوم بالسلام إلى قبورنا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَصِيرُ الْبَيْنَا».

٢- حدّثني عليّ بن الحسين وعليّ بن محمد بن قولويه عليه السلام، جميعاً عن محمد بن يحيى العطار، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن منيع بن الحجاج، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حنّان بن سدير، عن أبيه - في حديثٍ طويل - قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا سدير، وما عليك أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة خمس مرّات وفي كلّ يوم مرّة». قلت: جعلت فداك، إنّ بيننا وبينه فراسخ كثيرة! فقال: «تصعد فوق سطحك، ثمّ تلتفت يمنةً ويسرة، ثمّ ترفع رأسك إلى السماء، ثمّ تتحرّى نحو قبر الحسين عليه السلام، ثمّ تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته. يُكْتَبْ لك زورة، والزورة حجة وعمره». قال سدير: فربّما فعلته في النهار أكثر من عشرين مرّة.

٣- حَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَنَانٍ، عَنْ مَنِيعٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَنَّانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «يَا سَدِيرُ، تَزُورُ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ؟». قُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، لَا. قَالَ: «مَا أَجْفَاكُم، أَفْتَزُورُهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ؟». قُلْتُ: لَا. قَالَ: «فَتَزُورُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ؟». قُلْتُ: يَكُونُ ذَلِكَ. قَالَ: «يَا سَدِيرُ، مَا أَجْفَاكُم بِالْحُسَيْنِ عليه السلام [بذلك]، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَلْفَ أَلْفِ مَلَكًا [مَلِكًا] شَعَثًا غُبْرًا يَبْكُونَ وَيَزُورُونَ لَا يَفْتَرُونَ، وَمَا عَلَيْكَ يَا سَدِيرُ أَنْ تَزُورَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي كُلِّ جَمْعَةٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» وَذَكَرْتُ مِثْلَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ.

٤- وَرَوَى سُلَيْمَانُ بْنُ عِيسَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَيْفَ أَزُورُكَ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: «يَا عِيسَى، إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْمَجِيءِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاغْتَسِلْ أَوْ تَوَضَّأْ، وَاصْعِدْ إِلَى سَطْحِكَ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَتَوَجَّهْ نَحْوِي، فَإِنَّهُ مَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي فَقَدْ زَارَنِي فِي مَمَاتِي، وَمَنْ زَارَنِي فِي مَمَاتِي فَقَدْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي».

٥- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الرَّزَّازِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدِّهْقَانِ [الدَّهَّانِ]، عَنْ مَنِيعِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ حَنَّانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «يَا سَدِيرُ، تُكْثِرُ مِنْ زِيَارَةِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ؟». قُلْتُ: إِنَّهُ مِنَ الشُّغْلِ. فَقَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ شَيْئًا إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَهُ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِذَلِكَ الزِّيَارَةَ؟». فَقُلْتُ: بَلَى، جُعِلَتْ فِدَاكَ. فَقَالَ لِي: «اغْتَسِلْ فِي مَنْزِلِكَ، وَاصْعِدْ إِلَى سَطْحِ دَارِكَ، وَأَشِيرْ إِلَيْهِ بِالسَّلَامِ، يُكْتَبْ لَكَ بِذَلِكَ الزِّيَارَةُ».

٦- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الصَّفَّارِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ

محمّد بن عيسى، عن إسماعيل بن سهل، عن أبي أحمد، عمّن رواه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إذا بعدت عليك الشقة ونأت بك الدار، فلتعل على أعلى منزلك، ولتصل ركعتين، فلتنوم بالسلام إلى قبورنا، فإن ذلك يصل إلينا».

٧- حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: دخل حنان بن سدير الصيرفي على أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من أصحابه، فقال: «يا حنان بن سدير، تزور أبا عبد الله عليه السلام في كلّ شهر مرّة؟». قال: لا. قال: «في كلّ شهرين مرّة؟». قال: لا. قال: «في كلّ سنة مرّة؟». قال: لا. قال: «ما أجفاكم لسيّدكم!». فقال: يا ابن رسول الله، قلّة الزاد وبُعد المسافة. قال: «ألا أدلّكم على زيارة مقبولة وإن بُعد النائي؟». قال: فكيف أزوره يا ابن رسول الله؟ قال: «اغتسل يوم الجمعة أو أيّ يوم شئت، والبس أطهر ثيابك، واصعد إلى أعلى موضع في دارك أو الصحراء، واستقبل القبلة بوجهك بعد ما تبين أنّ القبر هناك، يقول الله - تبارك وتعالى - ﴿فَأَيُّمًا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، ثمّ تقول: السلام عليك يا مولاي وابن مولاي، وسيدي وابن سيدي، السلام عليك يا مولاي الشهيد ابن الشهيد، والقتيل ابن القتيل، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أنا زائرُك يا ابن رسول الله بقلبي ولساني وجوارحي، وإن لم أزرك بنفسي مشاهدةً لقبتك، فعليك السلام يا وارث آدم صفوة الله، ووارث نوح نبيّ الله، ووارث إبراهيم خليل الله، ووارث موسى كليم الله، ووارث عيسى روح الله، ووارث محمد حبيب الله ونبيّه ورسوله، ووارث عليّ أمير المؤمنين وصيّ رسول الله وخليفته، ووارث الحسن بن عليّ وصيّ أمير المؤمنين، لعن الله قاتليك، وجدد عليهم العذاب في هذه الساعة وفي كلّ ساعة، أنا يا سيدي متقرب إلى الله - جلّ وعزّ -، وإلى جدّك رسول الله،

هو أول من زار سيّد الشهداء عليه السلام من مرتفع!

الملاحظة الثامنة: أبيات شعر قبل الشهادة

روى الطريحي أبياتاً أنشدها المولى الغريب عليه السلام عندما أمر اللعين أن يصعد به إلى أعلى القصر، وقال:

«فعند ذلك بكى مسلم على فراق الحسين عليه السلام»..

والظاهر أنه اعتمد على المقتل المشهور رغم ما فيه من بعض الاختلاف اليسير في ألفاظ الأبيات، وربما يرجع ذلك إلى اختلاف النسخ.

وإلى أبيك أمير المؤمنين، وإلى أخيك الحسن، وإليك يا مولاي، فعليك السلام ورحمة الله وبركاته بزيارتي لك بقلبي ولساني وجميع جوارحي، فكن لي يا سيدي شفيعي لقبول ذلك مني، وأنا بالبراءة من أعدائك واللّعة لهم وعليهم أتقرب إلى الله وإليك أجمعين، فعليك صلوات الله ورضوانه ورحمته. ثم تحول على يسارك قليلاً وتحوّل [تحول] وجهك إلى قبر علي بن الحسين، وهو عند رجل أبيه، وتسلم عليه مثل ذلك، ثم ادعُ الله بما أحببت من أمر دينك ودنياك، ثم تصلي أربع ركعات، فإن صلاة الزيارة ثمان أو ست أو أربع أو ركعتان، وأفضلها ثمان، ثم تستقبل نحو قبر أبي عبد الله عليه السلام وتقول: أنا مودعك يا مولاي وابن مولاي، ويا سيدي وابن سيدي، ومودعك يا سيدي وابن سيدي يا علي بن الحسين، ومودعكم يا ساداتي يا معاشر الشهداء، فعليكم سلام الله ورحمته ورضوانه وبركاته».

وقد أشار الطريحي إلى أنّ المولى عليه السلام أنشد الأبيات عندما أمر أن يُصعد به، وفي نسخة المطبوع: أنشدها بعد أن استمهل لصلاة ركعتين، فأبى اللعين ذلك، ولذلك ذكرنا ما رواه الطريحي في موضع قبل هذا عند الكلام عن «الأمر بالقتل».

وكيف كان! فقد صرح الطريحي - وهو كما ذكرنا ينقل عن المقتل المشهور كما يبدو - أنّ سبب بكاء المولى الغريب عليه السلام إنّما كان على فراق الحسين عليه السلام، وهذا هو دأب المولى عليه السلام طيلة فترة سفره إلى الكوفة.. فقد بكى عند وداع الحسين عليه السلام في مكة، وبكى عندما احتوشته الذئاب وابتلي بقوم لئام وتجرع «لؤم الغلبة»، وهو الآن يبكي لفراق سيد الشهداء عليه السلام.. صدق رسول الله ﷺ - ومن أصدق منه قياً؟ - حينما قال لأُمير المؤمنين عليه السلام في حديثٍ علّل فيه حبّه لعقيل: «وإنّ ولده لمقتولٌ في محبةٍ ولدك» (١).

قال أبو مخنف:

«ثمّ بكى مسلم عليه السلام، وأنشأ يقول: ... (الأبيات) (٢).

(١) أنظر: الأُمالي للصدوق: ١٢٩ المجلس ٢٧ ح ٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٧.

تتمّات

ثمّة جملةٌ من العناوين التي تحيطُ بملاحظات الشهادة أو تليها مباشرة، ويمكن من خلالها استكمال الصورة:

النتمة الأولى: قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام

ذكرنا تحت عنوان «الأمر بالقتل» أنّ الصورة المروّعة المهولة التي تخلع القلوب عن مستقرّها، وتشتّت الذهن حتّى الذهول، التي رواها الطريحي عن مقتل أبي مخنف المشهور كما يبدو، هي أقرب إلى تهديد ابن الأمانة الفاجرة.. والحال أنّ المصادر الأخرى تكاد تتفق أنّ الحبيث قد أمر بضرب عنقه أولاً وإلقاء الرأس والجثمان المقدّس إلى الأرض.

وكيف كان، فإنّنا نشعر أنّ صوراً مقرّزة ومفجعة ومروّعة أخفاها التاريخ، إذ إنّ تهديد ابن زياد كان ينصّ - كما في نفس تلك المصادر -

على أن يقتله قتلةً لم يكن لها مثيل في الإسلام، وأنها شرقتة.. فلا بد أن تكون المصيبة أعظم مما نقله لنا التاريخ، فلهني على المولى الغريب عليه السلام وحرّ قلبي!!

التّمّة الثانية: حضور ابن زياد!

تفرّد كتاب المقتل لأبي مخنف بذكر عبارة تفيد حضور ابن زياد عند إلقاء المولى الغريب عليه السلام من أعلى القصر، حيث يقول بعد أن يسرد الصعود به عليه السلام وما جرى بين القاتل وبينه من كلام وإنشاده عليه السلام الأبيات:

«فنادى ابن زياد - لعنه الله - يا ويلك ألقه. فرموه على أم رأسه، ففضى نخبه».

التّمّة الثالثة: لم يُقتل بأول ضربة

ذكر الطبري - وهو يروي ما حكاه القاتل لابن زياد لعنهما الله - أنّه قال:

«فضربته ضربةً لم تُغن شيئاً... ثمّ ضربته الثانية فقتلته» (١).
وكذا قال المسعودي (٢) وابن الأثير (٣).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٨.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩ وفيه: «لم تعمل شيئاً».

(٣) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٤.

كان المولى الغريب عليه السلام قد أذبل العطش بدنه، وجفّ عروقه، وفَتّت كبده، وقد أثخنته الجراح، وجسمه ينزف دماً من هامته حتّى قدميه، ورغم ذلك لم يتمكّن الرجس الخبيث من قتله بضربة واحدة.. فما أصلب البطل الهاشمي وأقواه، وما أضعف القاتل الذي أقدم على أسدٍ مكتوفٍ جريحٍ نازفٍ إقدامَ الجبان الرعديد المرتجف الخائف الخائر القوى العاجز عن التركيز، ساهم الفكر، مشّت القلب، مرتعش اليد.. ولا زال سيف الحسين عليه السلام المشوق واقفاً متماسكاً صلباً مستجمع القوى، يصدّ الضربة بعنقه وينفّر السيف بجلده!

النتمة الرابعة: الردّ إلى آخر لحظة

روى الطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرهم أنّ المجرذ الخائر أراد أن يشمت بالمولى الغريب عليه السلام، فقال له:

«أدُنْ مِنِّي، الحمد لله الذي أمكن منك وأقادني منك!!».

وظنّها تمرّوا أنّ المولى عليه السلام يواجه القتل.. وكأنّه نسي.. رجّز المولى عليه السلام وقسمه أن لا يُقتل إلاّ حرّاً، وأنّ القتل في محبة الحسين عليه السلام وعدّ ينتظره غريب كوفان، وأثّه عنده أحلى من العسل..

وأقسم بالله يميناً برةً أنّ سكينه المولى مسلم بن عقيل عليه السلام واطمئنّاه وثباته وصلابته في محبة الحسين يعزّها النظير، وتذهل العاقل اللبيب.. إذ لم يفوّت للدعي كلمته تلك وردّها بالفور ردّاً قاصماً

مزليلاً مدمراً مهلكاً شامخاً بالفخر والتعالي على الأراذل بالتحقير والإهانة والإذلال لهم، كما سنسمع بعد قليل.

إنه الإياء الطالبي.. ردّ به حفيد أبي طالب وسليل إبراهيم الخليل عليه السلام على كلّ كلمةٍ تجزأ بها عدوّه ابن زياد، فما قدرُ القاتل الوضع الضئيل المتهاك؟!!

التّمّة الخامسة: الفخر عند الموت

روى الطبريّ والمسعودي وابن الأثير أنّ القاتل الدعيّ حدّث ابن زياد بما سمعه من البطل الهاشمي عليه السلام عندما أقدم على قتله، فلم تُغنِ الضربة الأولى، فقال المولى الأبّي عليه السلام:

«أما ترى في خدشٍ تخدشنيهِ وفاءً من دمك أيّها العبد!..»

وفي لفظ المسعودي:

«أو ما يكفيك! وفي خدشٍ منّي وفاء بدمك أيّها العبد!..»

ما أعظمك يا سيّدي وحببي مسلم! ما أعظمك! ما أعظم عزيمتك وثباتك وسكيتك ووقارك ورباطة جأشك؟! ما أعظم إباءك؟! ما أسمى شموخك وأسمق قمتك!

إنّه مسلم بن عقيل عليه السلام! يتعامل بهذا الهدوء والسكينة والوقار.. ضربه العبد ضربةً كان يظنّ أنّه سيقتل بها مسلماً عليه السلام ويفصل بها رأسه عن جسده.. يلزم إنّه قد وضع فيها كلّ قوّته، وجمع فيها شتات

نفسه.. والمولى مسلم عليه السلام يسمّوها: «خدشاً»! والخدش هو تفرّق في الجلد أو الظفر أو مزق في الجلد وإن لم يُدم (١)، يعني أقلّ ما يسمّى جرحاً!

في ساعة الموت يهجم الضرغام الجريح على عدوّه فيهزمه ويفرغ قلبه وينخر أعماقه، يحتقره ويهينه ويذلّه، ويتركه جذعاً منحوباً خاوياً متهرّأً..

لقد كانت ضربتا المولى عليه السلام مؤثّرة كادت تبلغ جوف الخبيث.. ضربات فاعلة في منطقتين حسّاستين لا تخطؤ في القضاء عليه؛ ضربة على رأسه والأخرى على عاتقه.. فهو ميّت منهما وهو لما به.. وقد أخبره بذلك مسلم بن عقيل عليه السلام حينما قال له: «وفاءً من دمك»، فهو ميّت عمّا قريب، وضربة المولى عليه السلام ستأتي عليه، فليكن هذا الخدش! مقابل دمه العفن!

وقد ردّ المولى عليه السلام عليه قوله قبل قليل: «الحمد لله الذي أقادني منك»، فإن كان الرعديد يريد قوداً ففي الخدش وفاءً وزيادة، «أو ما يكفيك وفي خدش منّي وفاء بدمك؟».. فهو يخبره أنّه هالك من ضربة البطل الهاشمي عليه السلام..

(١) أنظر: مجمع البحرين ولسان العرب: مادّة «خدش».

ثمّ أمعن المولى العزيز الأبّي عليه السلام في تحقير الذليل الوضع، وحدّ له حدّه، فخاطبه قائلاً: «أيّها العبد»! إنّه عبدٌ ذليلٌ كثير عليه الخدش قوداً من العظيم الكبير.. إنّه عبدٌ لا يرقى إلى قتل الأبطال الشجعان والفرسان الصناديد، فلا يظنّ أنّ ما ناله يرجع بالأصالة إليه، إنّه عبدٌ ليس إلّا! «أيّها العبد»!

فلما سمع ابن زياد موقف الأبّي الصابر، قال: أو فخرأ عند الموت؟! ولا نريد أن نعلّق على كلام ابن الأمة الفاجرة؛ لأنّه أقلّ وأحقّر من أن يُفتخَر بشهادته للأبرار الأخيار.. إنّ في موقف ثقة الحسين عليه السلام وسفيره مفتخرٍ يغني عن التفات إلى تصريح أولاد البغايا.

التتمة السادسة: السؤال عن قتله

روى الطبريّ وابن أعثم والخوارزميّ والسيد ابن طاووس سؤال ابن زياد من القاتل بعد أن نزل: «قتلته؟» وروى آخرون سؤالاً آخر: «ما كان يقول وأنتم تصعدون به»؟

ويبدو من سياق الأحداث أنّ ابن زياد كان لا زال خائفاً من ظلّ البطل الطالبيّ عليه السلام، حيث سأل القاتل: «قتلته؟» وفي لفظ ابن أعثم حينما رآه مدهوشاً: «ما شأنك؟ أقتلته؟».

يريد أن يتأكّد ليطمئنّ أنّ الصاعقة النازلة عليه من سماء الحسين عليه السلام قد سكنت.. إنّه يعيش رعباً يمزّق الكيان، وخوفاً يخرس

المنطق عن الكلام، وتهديداً يلاحقه في اليقظة والنام، ودواماً تُغرّقه كل لحظة في ألف كابوس..

اسمه يقصّ عليه مضجعه، وبريق سيفه يززع وجوده، ولسعات لسانه تختطف لُبّه.. فهو يعيش منذ أن دخل الكوفة مرتعشاً مرتجفاً، يقرض ذيله في أقبية قصر الخبال، ملتصقاً بالجدار لائذاً بأغصان الشجرة الملعونة التي ما لها من قرار، لا يدري ماذا يخبّؤه البطل الهاشمي عليه السلام من مفاجأة، وهو يعرف شجاعة آل أبي طالب عليهم السلام، ويعلم جيداً أنّ مسلماً عليه السلام كفوء لكل صناديده، يقاتلهم وحده ولا يخشى. في الله لومة لائم، وقد أثبتت الأحداث ذلك، وتابع الحبيث بنفسه مجريات الحرب الأخيرة، وذاق الذلّ والهوان التي جرّعها إياه مسلم عليه السلام في مناظرته معه..

يريد أن يطمئن أنّه قُتل! يريد أن يسكن خوفه ويهدأ روعه، ويستريح قليلاً إذا علم أنّ التهديد المُترّالذي كان يلاحقه قد قضى نحبه! وأنّ الشجى الذي قد اعترضه والقذى الذي أعمى عينه قد مضى!

التّمّة السابعة: ما رآه القاتل عند قتله وتعليل ابن زياد

روى الطبريّ عن أبي مخنف، قال:

«نزل الأحمريّ.. فقال له ابن زياد: قتلته؟ قال: نعم» (١).

إلى هنا انتهى الكلام بين الأحمريّ وابن زياد عند الطبري، بيد أنّ ابن أعثم والخوارزمي والسيد ابن طاووس ذكروا الحدث بعبارة مفصلة، وعند الأولين القاتل رجلٌ من الشام - كما ذكرنا فيما سبق -، قالوا - واللفظ للخوارزمي -:

«ثمّ نزل الشاميّ وهو مذعورٌ مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، إلّا أنّه عرض عارضٌ فأنا به مرعوب. قال: وما الذي عرض؟ قال: رأيتُ ساعةً قتلته رجلاً بحذائي أسود شديد السواد كرية المنظر، عاصّاً على إصبعه، - أو قال: شفته -، ففزعتُ منه فزعاً لم أفزع مثله قطّ. فتبسّم ابن زياد وقال: دُهِشْتَ من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك» (٢).

ما أكثر ما رأى وسمع ابن الأمة الفاجرة من عذاب الله الذي يتربّص به، وما أبين المحجج التي سمعها وشاهدها بأنّ عينه من النار التي اعرضته، وسيلان جدار القصر دماً، والمعاجز التي أبداها له سيّد الشهداء عليه السلام ورأسه المقدّس وأهل بيته الأطهار، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٨.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٣، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٣، اللّهُوف لابن طاووس: ٥٨.

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ*
أراد الجلف الجافي أن يهوّن الخطب، ويمحو العار، ويغطي الحقّ
بعبارة باردة مهلهلة بائسة، «فتبسّم» ليخفي الهزيمة والرعب، ويغطي
الخواء والخيبة في داخله، وقال: «دُهِشْتَ مِنْ شَيْءٍ لَمْ تَعْتَدِهِ قَبْلَ
ذَلِكَ».. ما الذي كان لم يعتده من قبل؟! القتل؟! أو ليس هو الذي
واجه بطل الأبطال في الكوفة وناوشه بسيفه؟! وقد اشترك في الحرب
الضروس التي أدارحها بجدارٍ وثقة سيف الحسين مسلم بن
عقيل عليه السلام، وهو رجل معروف عند ابن الأمة الفاجرة، بحيث يدعو
لينتقم به من البطل الهاشمي عليه السلام!

التّمّة الثامنة: يبست يد القاتل ورأى النبي صلّى الله عليه وآله

في جلاء العيون:

«وفي روايةٍ أُخرى: إنّه لما شاهد ذلك قبل أن يقتله يبست
يده، فلمّا أخبر ابن زياد - لعنه الله - بذلك دعاه واستعلم منه
ذلك، فتبسّم وقال: لما أردت أن تفعل خلاف عادتك دُهِشْتَ
وتخيّل لك ذلك. فأرسل ابن زياد رجلاً غيره إلى أعلى القصر،
فلمّا أراد قتله رأى النبي صلّى الله عليه وآله قد تصوّر له، فدُهِشَ ومات من

ساعته، فأرسل ابن زياد الشاميّ الملعون، فقتله» (١).

وفي هذا النصّ تصريحٌ أنّ ثلاثة تقدّموا لقتل المولى عليه السلام، بيد أنّ الأول يبست يده، والثاني رأى النبي صلى الله عليه وآله فدهش وهلك، والثالث هو الشاميّ الملعون..

ساعد الله قلبك يا رسول الله! وأنت ترى ما يحلّ بعترتك الذي بكيته قبل أن يُقتل، ودمعت عينك عليه حتّى جرت دموعك على صدرك، ثمّ قلت:

«إلى الله أشكوما تلقى عترتي من بعدي» (٢).

التّمّة التاسعة: كيف رُمي عليه السلام من فوق القصر

يلاحظ خمسة أنماط من التعبيرات في كيفيّة رمي المولى الغريب عليه السلام من أعلى القصر:

النمط الأول: أتبع رأسه جسده

قال البلاذري:

«فضرب عنقه، ثمّ أتبع رأسه جسده» (٣).

(١) جلاء العيون للمجلسي: ٦٢٢، جلاء العيون للسيد عبد الله شبر: ٢ / ١٦٨.

(٢) أنظر: الأمالي للصدوق: ١٢٩ المجلس ٢٧ ح ٣.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨٣.

وقال أبو الفرج وابن الأثير:

«فَضْرَبَ عُنُقَهُ، ثُمَّ أَتْبَعَ رَأْسَهُ جَسَدَهُ» (١).

وقال المفيد والفتال ومسكويه:

«فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ، وَأَتْبَعَ جَسَدَهُ رَأْسَهُ» (٢).

وهذه العبارات تفيد الوجهين، والظاهر أنّه ألقى الرأس أولاً ثُمَّ ألقى الجثمان المقدّس.

وهي تفيد أيضاً أنّ الإلقاء كان متعمّداً، وقد نُسب إلى فاعلٍ - كما هو صريح عبارة ابن كثير -

«ثُمَّ ألقى رأسه إلى أسفل القصر وأتبع رأسه بجسده» (٣).

النمط الثاني: هوى الرأس أولاً

قال الدينوري:

«ضربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلى الرحبة، ثُمَّ أَتْبَعَ الرَّأْسَ

بِالجسد» (٤).

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧١، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٤.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤، روضة الواعظين للفتال: ١٥٢، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٣.

والمسعودي:

«فأهوى رأسه إلى الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده» (١).

وابن الطقطقي:

«فهوى رأسه، وأتبع جثته رأسه» (٢).

ويبدو من هذه الأقوال أنّ الرأس المقدّس هوى - حسب تعبير

المؤرخ - إلى الأرض على أثر الضربة، ثمّ أتبع بالجسد المقدّس.

النمط الثالث: ألقى الرأس

قال سبط ابن الجوزي:

«وألقي رأسه إلى الناس» (٣).

والظاهر من عبارته أنّ الرّجس النّجس ألقى رأس المولى

الغريب عليه السلام إلى الناس، من دون التصريح بإلقاء البدن المقدّس أيضاً،

وربّما ترك ذلك اعتماداً على المركز المتبادر من أمر ابن الأمة الفاجرة.

النمط الرابع: سقطت الجثة أولاً

أفاد ابن حبان أنّ الجسد المقدّس سقط إلى الأرض أولاً، ثمّ ألقى

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٩.

(٢) كتاب الفخري لابن الطقطقي: ١٠٥.

(٣) تذكرة خواصّ الأئمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

الرأس المقدّس.

قال ابن حَبّان:

«فضرب رقبة مسلم بن عقيل ... على طرف الجدار، فسقطت

جثته، ثمّ أتبع رأسه جسده» (١).

وقد أُوهم ابن حَبّان في عبارته وصاغها صياغةً خبيثة، كأنّه يريد

أن يمّوه جريمة رمي الجثمان المقدّس، فنسب السقوط إلى المولى ﷺ

بعد أن قُتل، لأنّه قُتل على طرف الجدار..

النمط الخامس: رُمي حيّاً

مرّمعنا سابقاً عن المقتل المشهور لأبي مخنف والطريحي في

المنتخب أنّهما قالَا أنّ المولى الغريب ﷺ رُمي من أعلى القصر وهو

حيّ، كما فعل ابن الأُمة الفاجرة مع قيس بن مسهر الصيداوي سفير

سيّد الشهداء ﷺ.

تشويحات

يمكن أن ينساق الراوي أو المؤرخ خلف أطماعه أو عقائده أو أي غرضٍ آخر أو هوىً متَّبِع، فيغيّر شيئاً من الواقع أو يروي رواية تحقّق له ما يصبو إليه وتُنبِله ما يروم الوصول إليه، أمّا أن يبلغ بالراوي أو المؤرخ حدّاً يكذب كذباً فجّاً بارداً قبيحاً مفضوحاً يُزكم الأنوف ويقرزّ النفوس وتقشعرّ منه الجلود ويقفّ له الشعر..

كذبةٌ مقرّفة تنته عفته، لو كانت في غير مصيبةٍ لأضحكت كلّ حزين.. كذبةٌ يخال القارئ لها أنّ راويها إمّا أن يكون مختلاً مخلطاً أو ثملاً أطربته خمرة الدينار حتّى ما عاد يميّز ولا يعقل ما يكتب..

جميلٌ أن يحترم الإنسان عقله، أو يغطّي خلله بتحرّي المواقع التي لا تكشف خطئه.. وكيف يسع من تشبّه بالعقلاء وتلوّن بلون العلم أن يفضح نفسه بنقل ما يثّمه فيه من لا حظّ له بالعلم فضلاً عن

العلماء؟!

أيقال ما رواه البلاذري في حق بطل الأبطال مسلم بن عقيل عليه السلام؟
وإنما ننقله هنا بعد الاستغفار والتنصل منه والبراءة إلى الله من القول،
وتقديم الاعتذار لساحة مولانا الحبيب والعظيم الطاهر والقوي الصابر
والشجاع الثابت والعبد الصالح سيدنا ومولانا المكرم المعظم
مسلم عليه السلام، لنقدم صورةً عن جنایات المؤرخ، وتجاسره على ساحة
المقدسين، وتطاوله على أولياء الله المقربين:

قال البلاذري:

«وبعث إلى مسلم بن عقيل فجيء به، فأمر به فدفع بين
شرفتين من شرف القصر، فقال له ناد: أنا مسلم بن عقيل أمير
العاصين، فنادى!!! ثم ضرب رأسه فسقط!» (١).

ولا تحتاج هذه الفرية الفاقعة والفقاعة الزائلة والفقعة الموطوءة بقرقر
إلى مناقشة، فإن من لا يعرف مسلم بن عقيل عليه السلام حق المعرفة، ومن
لا يعرف إباء الطالبين وشمم الهاشميين وشجاعة سيوف الحسين عليه السلام،
لا يقبل هذا الكلام المجوج والنقل المحجوج..

لكن ما رواه البلاذري تتمّةً لصور سابقة رسمها المؤرخ البائس عن
هذا المولى الغريب عليه السلام خلال فترة سفره من مكة إلى الكوفة وصولاً إلى

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٤٢٣.

هذه السقطة التافهة..

تطير!! تردّد.. والتردّد سمة واضحة في كلّ مراحل هذه الحركة!!

تخوّف!!

استغفل!! اخترق من حيث لا يعلم ولا يتوقع ولا يتوجّس ولا

يتحسّب!! صابحه الجاسوس وماساه وهو في مقرّ قيادته، والتفت

القاصي والداني وعرفه إلا هو عَلَيْهِ السَّلَام!!

تردّد مرّةً أخرى.. رضي بالغدر والخيانة والاعتيال.. ثمّ رجع وذكر!!

اختفى في الخزانة!! في بيت النساء!! ارتعد وارتعشت يده، فلم يقوَ على

حمل السيف!! سقط السيف من يده! استجاب لاعتيال ابن زياد..

ونسي الحديث المزعوم.. ثمّ ذكره فتلكاً.. أخذ بقلبه! أخذته كبوة! خرج

من الخزانة أو من بيت النساء.. فلامه أصحابه ووبّخوه!! لم يعذره عاذر

منذ تلك الساعة إلى يوم الناس هذا على ترك قتل من عرفه العالمين

أنّه لو قتله لقتل فاسقاً فاجراً كافراً!!

فشل في تعبئة الجماهير!! أخذ على حين غرة.. أخطأ في حساب

الثورة.. فخرج مبكراً قبل أن يحين موعد القطاف! خذله الناس

وفوجئ..

خرج ولم يخطّط! بقي وحيداً ليس له من يدّله على الطريق! خرج

وهو لم يجهّز حتّى نفسه بأن يجعل له خطّاً يرجع منه إذا آب إلى داره..

فبقي حائراً، لأنه لم يجد من يدلّه على الطريق!!

طردته المرأة الصالحة عن بابها.. حرّمت عليه الجلوس وهو يتوسّل

إليها أن تؤويه سواد الليلة!

خرج يقاتل وعرض نفسه للموت، وبعد أن شتّت جمعهم وأباد

عسكرهم عاد ليقبل الأمان ويمكّن من نفسه.. يمكّن من يده!!

استسلم بعد أن شارف على المنيّة! طلب العفو ممّن أرسلهم ابن

زياد ليأخذوه فيقول لهما: العفو! فيقولان: لا نملك لك عفواً!!

توسّل إلى النغل الأمويّ أن يستبقيه، فإن استبقاه ليكثرن السلام

عليه.. بمعنى أنّه سيلزمه ويكون من ندمائه ويدخل عليه كلّ حين!!

ثمّ الآن.. وقد رُفِعَ إلى أعلى القصر ليقتل، ينادي بهذا النداء.. ثمّ

يُقَتَّل!!!

ومواقف أخرى كثيرة، ومشاهد محتشدة تكرّس هذه الصورة

البائسة للوجه المشرق بنور ربّه، والشعاع البازغ من شمس سيّد

الشهداء ﷺ.. وقد أتينا على مناقشتها بالتفصيل في خضمّ الأبحاث

والدراسات المتتالية عن هذه الفترة من حياة مولانا المعظم مسلم بن

عقيل ﷺ!

حاشاه وألف حاشاه! ووالله لا نرضى أن تجلّل قداسات الرجال

مهما كانوا عظماء، ولا تنكر جلالتهم وسموّ مراتبهم، ونحن نعلم أنّهم

استقوا من التاريخ.. لا نرضى أن نتحرّز عن مناقشة أقوال التاريخ لئلا تكون بنا جرأة على تخطي أقوال الرجال، ثم نرضى أن تمتن كرامة الدين بقبول ما لا يرضاه الله ورسوله ﷺ والمؤمنون في رجال سيّد الشهداء الحسين عليه السلام..

ومناقشة التاريخ لا تعني التعدي على أحد من العلماء، مع حفظ المقام والاعتراف بالخضوع والاحترام والتعامل معهم كالتلميذ الحقير إذا ناقش الأستاذ التحرير.. هذا في العلماء الصالحين والموالي المؤمنين من أهل السابقة والفضل والمقام السامي..

أما المؤرّخ المأجور والناصب الملبوس بسيف فضائل آل الله ﷺ وأتباعهم، فلا والله لا نقيم لقوله وزناً في اتهام الطيبين الأبرار، ولا كرامة! فهو ينطلق من حقه وضغنته، فيعبر بما يريح كوامنه، ويسكن كوائن النيران الملتهبة في جوفه المحشوّ ببغض الطيبين الأطهار، فيسيل في صديد أقلامهم وقبح دواتهم المشبوهة التي تأبى أن يحسن القارئ بها ظناً، كما تسمع نموذجاً من ذلك في تعبير أبي الفداء حيث يقول:

«فانهزم واستتر!!! ونادى منادي عبيد الله بن زياد: مَنْ أتى بمسلم بن عقيل فله ديتة. فأمسك مسلم وأحضر إليه، ولما حضر مسلم بين يدي عبيد الله، شتمه وشمّ الحسين وعليّاً، وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته!!!! من القصر. ثم

أُحضرهاني بن عروة، وكان مَمَّن أخذ البيعة للحسين، فضرب
 عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية»... (١).
 أَسِمِعَتِ التصوير البائس والتعبير الهابط؟! «فانهزم»، «استتر»،
 «شتم الحسين وعلياً»، «ضرب عنقه في تلك الساعة»، «رمى
 جيفته»!!!!!! كلُّها تشقِّف وشماتة وفرح بما فعله ابن الأمة الفاجرة!

الصَّلب

اكتفى جملةٌ من المؤرخين بذكر الصَّلب إجمالاً، واقتصر على قوله: «وصلبهما»^(١)، يعني مسلماً وهائناً ﷺ، ومنهم من قال: «وصلبه»^(٢)، يعني مسلماً عِلاً.

ومنهم مَنْ تعرَّض لذكر بعض الخصوصيات المتعلقة بالمكان أو بالصَّلب بشكل مقتضب جداً: فقال ابن حبيب:

«وصلب عبید الله ابن مرجانة هائئ بن عروة المرادي بسوق

(١) الطبقات لابن سعد: ٤ / ٤٢، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساکر: ٤ / ٣٣٧.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧.

الكوفة، ومسلم بن عقيل أيضاً» (١).

وقال ابن أعثم:

«ثم أمر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل وهانئ بن عروة - رحمهما الله -، فُصلبا جميعاً منكسين» (٢).

المسعودي:

«ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فُصلبت، وهذا أول قتيلٍ صُلبت جثته من بني هاشم» (٣).

الخوارزمي:

«ثم أمر ابن زياد بمسلم وبهانئ فُصلبا منكسين» (٤).

سبط ابن الجوزي:

«وصلب جثته بالكناسة، ثم فعل بهانئ بن عروة كذلك... وجثة مسلم أول جثةٍ صُلبت منهم» (٥) (من بني هاشم).

(١) المحبر لابن حبيب: ٤٨٠.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٥.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٧٠، نفس المهوم للقمي: ١٢٠.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٤.

(٥) تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

موضع الصَّلب

ذكروا في النصوص المشار إليها موضعين للصَّلب: أحدهما سوق الكوفة، والآخر الكناسة.

والكناسة - كما في معجم ما استعجم للبكري :-

«بضمَّ أوله، معروفة بالكوفة، كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناساتهم، فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يسأله أن يقطعه إيَّاه، فسأل ابن سعيد عنها، فقال: ما بالكوفة مثلها. فلم يعطه إيَّاه، واتَّخذها لنفسه» (١).

وهي موضع كبير مسكون في الكوفة، كان يسكنه السَّنة، كما قال المقدسي في أحسن التقاسيم:

«وبالكوفة الشيعة، إلا الكناسة فإنَّها سَنَّة» (٢).

وفيها قتل الشهيد السعيد المظلوم زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام.
ويبدو أنَّ ثَمَّة سوقاً في الكناسة كما يستفاد من عبارة المسعودي، حيث يقول:

«وذلك أنَّ أبا حميد الطوسي دخل ذات يوم من العسكر إلى الكوفة، فلقى سابقاً الخوارزمي في سوق الكناسة..» (٣).

(١) معجم ما استعجم للبكري: ٤ / ١١٣٦.

(٢) أحسن التقاسيم للمقدسي: ١٢٦.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٢٥٥.

وقول ابن الجوزي:

«وأمر بهائى فقتل في السوق، وسحب إلى الكناسة فصلب هناك (١).»

وكذا قول ابن الأثير:

«ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد» (٢).

وعلى التقدير الأبعد يمكن الإفادة من عبارة المسعودي وابن الأثير أن السوق ينتهي بالكناسة إن لم يكن في نفس المحلة، وبهذا يجتمع القولان؛ بأن يكون الصلب في السوق الواقع في الكناسة، وهو أبلغ في التشهير والتخويف والترويع!

قال السيّد المقرم رحمته الله في حديثه عن موضع المرقد المطهر وموقع الكناسة الذي صُلب فيه الشهيد المظلوم زيد بن علي بن الحسين عليه السلام:
«ليس بالهين معرفة هذين الموضعين على سبيل القطع، خصوصاً موقع الكناسة، مع ما لها من الشهرة وتكرّر الذكر في صفحات التاريخ بمناسبة الحوادث الواقعة فيها، إذ لم تكن خارطة تخطيط أرجاءها، ولا بقيت من آثارها ما يتعرّف بها

(١) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٤ / ٢٢٤.

الأحوال، إلا أعلام دارسة وصور مجهولة، كما هو الشأن في آثار الأمم البائدة والديار الخاوية، فليس في وسع المنقّب المجزم بشيءٍ منها إلا بالتقريب بالوقوف على الرسوم والأطلال أو الحفريات، أو الركون إلى كلمات مستطردة خلال السير، وحتى الآن لم يتسنّ لنا شيءٌ من تلك القرائن سوى ما وجدناه في فلك النجاة للعلامة الحجة السيد مهدي القزويني رحمته الله:
 "إنّ المشهد المعروف لزيد بن علي عليه السلام الذي يُزار ويُتبرّك به محلّ صلبه وحرقه".

وهذه الكلمة من سيّدنا البحّثة يجب الاحتفاظ بها، لما هو المعهود من غزارة علمه وسعة إحاطته، وقد وثق بها وأرسلها إرسال المسلّمت أخذاً عن أوثق المصادر المتوفّرة عليه، لذلك لم تترك لنا منتدحاً عن الإذعان بها بأنّ هذا المشهد القائم في شرقيّ قرية ذي الكفل واقع في محلّ الكناسة!

ويشهد له أنّ الصلب وأشباهه ممّا يقصد فيه الإزهاب وتمثيل قوّة البأس وشدة السلطان، لا يكون إلا في المحتشدات العامّة ومختلف زرافات الناس، وهذا الموضع قريب من النخيلة، وهي العباسيّة في كلام ابن نما، والعباسيّات اليوم، ولا شك أنّ النخيلة كانت باب الكوفة للخارج إلى الشام

والمدائن وكربلاء، ومن هنا عسكر فيها علي عليه السلام لما خرج إلى صفين، وعسكر الحسن عليه السلام لما خرج إلى معاوية، وعسكر ابن زياد لما جهّز الجيوش لحرب الحسين عليه السلام، فناسب أن يكون الصلب في الموضع العامّ أو بالقرب منه، على ألا يفوت الغرض المقصود من الإزهاب وإراءة الغلبة وقوّة السلطان، وهذا الاعتبار يؤيّد ما أرسله السيّد المتتبّع... (١).

وقال السيّد البراقى:

«كانت أولاً تُعرَف بكناسة أسد، ثمّ صارت محلّة أو سوقاً أو محطة تجارية كبرى للكوفة، وفيها تركزت الأشغال التجارية مع البلاد العربيّة، فكانت موضعاً للحمولة توضع فيها الأحمال وترفع منها، وكان في ناحية من نواحي الكناسة أسواق البراذين، تجري فيها المعاملات على الماشية من بغال وحمير وإبل بيعاً واكتراءً من قبل النخّاسين، وهناك يباع الرقيق، وكان في الكناسة محلّ للشنق، وفيه عرض جثمان زيد بن علي عليه السلام، واليوم توجد بناية قائمة بين مسجد سهيل (السهلة) وقرية منه وبين مسجد الكوفة، يؤمّها الناس وتُعرَف باسم زيد بن علي عليه السلام، ويعتقدون أنّها المحلّ الذي

عُرض فيه جثمانه شنعاً، فيكون موقع الكناسة اليوم بين مسجد السهلة ومسجد الكوفة.

هذا كلام الأستاذ الشرقي حول الكناسة وتعيين موقعها، ومن الغريب جداً صدور ذلك منه، فإنّا [والكلام للسيد البراقى] لم نعهد اليوم ولا قبل اليوم بناية قائمة بين مسجد السهلة والكوفة يؤمّها الناس وتُعرّف عندهم باسم زيد بن علي عليه السلام، كي يعقد أحدُ أئمّها المحلّ الذي عرض فيه جثمانه شنعاً، فيحكم الأستاذ أنّه موقع الكناسة!

وإنّما البناية التي توجد اليوم هناك هي مسجد زيد بن صوحان صاحب الإمام علي عليه السلام، وهي التي يؤمّها الناس وتُعرّف عندهم بمسجد زيد بن صوحان، يؤدّون فيه من الوظائف الشرعيّة ما هو مدوّنٌ في كتب الأدعية، ولم يزد الحموي في المعجم على قوله:

"الكناسة - بالضمّ - محلّة بالكوفة، عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفى يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام" (١) ..

ثم نقل كلام السيد المكرم عليه السلام المذكور قبل قليل.

ويمكن - ولو على نحو الاحتمال - أن يكون المقصود بالكناسة هنا ليس هو الموضع المعروف، وإنما هي موضع الكناسة بالمعنى اللغوي، أي مطامر النفايات، ولا نطبق التعليق على ذلك، ونكتفي بهذه الإشارة رغباً عنّا، لإمكان صدور ذلك من أمثال ابن الأمة الفاجرة.

الصّلب منكوساً

أفاد ابن أعثم والخوارزمي أنهم صلبوا الجثة المقدسة منكّسة، والمتبادر من العبارة أنهم صلبوه معلّقاً من قدميه الشريفتين وكان عنقه ويديه إلى الأرض!

إنا لله وإنا إليه راجعون! أبلغ الانحطاط والتردي إلى هذا الحد بمخلوقات عجت الأرض وضجت السماء من جرائمهم وتفنتهم بالتنكيل بأولياء الله؟!

والله إنّ البيان لعاجز، والبنان منكش، والعيون عبرى، والقلوب حرى، والأكباد محترقة لهذه الصورة المروّعة والتنكيل المهول والاعتداء الوقح، فإذا يقول القائل سوى أن يجري دمعه الهطول ويسلم أمره لله، ولا حول ولا قوّة إلّا به.. وسيأتي اليوم الذي يصلب فيه المنتقم الأعظم عنه الله تعالى أعداء عترته وأهل بيته والظالمين لهم، ويأخذ بشأر المظلوم الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وستشرق شمسُه عمّا قريب إن

شاء الله، ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟!

أَوَّلُ جَنَّةٍ صَلَّبتَ لِبْنِي هَاشِم

صَرَحَ المسعودي في المروج وسبط ابن الجوزي في التذكرة أَنَّ جَنَّةَ المولى الغريب عليه السلام أَوَّلُ جَنَّةٍ لِبْنِي هَاشِم صَلَّبت، وهو يفيد أَنَّ هذه الجناية العظمى لم تحصل في أَحَدٍ من آل أَبِي طالب عليه السلام قبل ذلك اليوم، وربما كان هو أَوَّلُ مَنْ صلب منكَساً، هو والشيخ الشهيد بطل مذحج وناصر سفير الحسين عليه السلام هاني بن عروة.. لا ندري بالضبط، لأننا لم نسبر التاريخ بحثاً عن ذلك، بيد أننا نستفيده من تهديد النذل الهابط ابن زياد حينما توعد أن يقتله قتلةً لم يقتل بها أَحَدٌ في الإسلام، وأنها ستكون شرَّ قتلة.. وقد صلب من بعدها آل أَبِي طالب عليه السلام وأنصارهم الأوفياء على جذوع النخيل، حتَّى بقي بعضهم سنين على تلك الحال، كما حصل مع جدِّنا وسيدنا الشهيد المظلوم زيد بن عليّ ابن الحسين عليه السلام.

مدَّة الصَّلب

ربَّما يستفاد من كلام ابن فندق أَنَّهُ صُلب على الأقلِّ ثلاثة أيَّام، إذ

يقول:

«صلى عليه ... بعد ثلاثة أيام من قتله» (١).

فيلزم أن يكون قد أنزل من الصلب بعد ثلاث، فأقيمت عليه

الصلاة ليُدْفَن، والله العالم!

جره في الأسواق

قال الدينوري:

«قالوا: ولما رحل الحسين من زرود، تلقاه رجلٌ من بني أسد، فسأله عن الخبر، فقال: لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيْتُ الصبيان يجرّون بأرجلهما. فقال: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾»^(١).

وقال اليعقوبي:

«وجرّ برجله [مسلم عليه السلام] في السوق»^(٢).

وقال الشيخ المفيد:

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

«وإِنَّهُ حَدَّثَنَا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى قُتِلَ مُسْلِمٌ وَهَانِي،
وَرَأَاهُمَا يُجْرَانِ فِي السُّوقِ بِأَرْجُلِهِمَا. فَقَالَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾» (١).

وفي المنتخب للطريحي:

«ثُمَّ إِنِّهِمْ أَخَذُوا مُسْلِمًا وَهَانِيًّا يَسْحَبُونَهُمَا فِي الْأَسْوَاقِ»... (٢).
وفي المقتل المشهور لأبي مخنف:

«فَبَلَغَ ذَلِكَ مَذْحِجَ، فَرَكِبُوا جَمِيعًا، وَقَاتَلُوا ابْنَ زِيَادٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ -
قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَانُوا يَسْحَبُونَ مُسْلِمًا وَهَانِيًّا فِي
السُّوَاعِ»... (٣).

وقال الدرربندي:

«فَبَلَغَ ذَلِكَ مَذْحِجَ شَعْرَهُ وَذَكَرَهُ لَهُمْ، فَرَكِبُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَاقْتَتَلُوا
قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلِيَالِيهَا، وَمَا كَانَ يَسْحَبُونَ هَانِيًّا
وَمُسْلِمًا فِي الْأَسْوَاقِ، فَغَلَبَتْ عَلَيْهِمْ مَذْحِجٌ، فَأَخَذُوهُمَا،
وَوَسَّوهُمَا، وَكَفَّنُوهُمَا، وَصَلَّوْا عَلَيْهِمَا، وَدَفَنُوهُمَا فِي الْجَامِعِ» (٤).

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٧٣.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٨، أسرار الشهادة للدرربندي: ٢٢٨، نفَس المَهموم
للقمّي: ١٢٠ و ١٢١.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٧ و ٣٨.

(٤) أسرار الشهادة للدرربندي: ٢٢٨.

وقال بحر العلوم:

«سحبوهما بالحبال من أرجلهما في الأسواق طوال ذلك

النهار» (١).

وقال أسد حيدر:

«ثم أمر ابن زياد بسحبه [هائي] في الأسواق أمام أعين

عشيرته وأحلافه، تحدياً للكرامة العريّة!!!!!! وسحقاً

للقيم» (٢).

* * * * *

إنه مشهدٌ بشع، مروّع، مهول، يصدّع الفؤاد ويهدّ القلوب،

ويستحقّ أن تجري له من الآماق بدل الدموع دماً.. أيفعل هذا بالعترة

الطيبة؟! حقّ لرسول الله ﷺ أن تجري دموعه على مسلم عليه السلام حتى

تبلّ لحيته الكريمة، ويشكو إلى الله ما ستلقى عترته من بعده، كما في

خبر الأُمالي للصدوق..

أيريد ابن الأُمة الفاجرة الدعيّ ابن الدعيّ أن ينكّل بالبطل

الهاشميّ عليه السلام بهذه الفعلة المستنكرة؟! إنّه ينكّل بالجثمان المقدّس

حسب ظنّه، وأتّى له ذلك؟! وقد أشبعه المولى عليه السلام إذلاًّ وتكليلاً

(١) مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢٤٦.

(٢) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ١٢٥.

وتحقيراً، وعزاه وفضحه ودمره تدميراً، ويأبى الله إلا أن يرفع من يشاء ويضع من يشاء، فلا رافع لمن وضع ولا واضع لمن رفع الله.. وما جرى على مسلم بن عقيل عليه السلام في محبة الحسين عليه السلام حبيب الله كان رفعةً وتسامياً في الدرجات، فقد نالها فوزاً عظيماً خاصاً به، وتركها فخراً لكل الشيعة إلى يوم القيامة.. وقد أصرح الوحش الأموي عن كوامنه مع سيد الشهداء عليه السلام أيضاً يوم أمر برض جسد الحسين عليه السلام وصحبه بعد قتلهم في كربلاء!

ولانقول إلا ما قال سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام، الذي عجبت من صبره ملائكة السماء! حينما سمع خبر مقتل أخيه وابن عمه وجرهما بالأسواق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾! ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض المشاهد والصور التي تشعل القلب وتحرق الأكباد وتسجر اللوعة في الأعماق:

اللوعة الأولى: السحب بالحبال

جثمانٌ مقطَّعٌ آراباً قبل أن يُقتل، مرَّفته الجراح، وسالت منه الدماء كالقفوارة من كل أنحائه، أذبله العطش، وغسلته دماء النحر، مهشَّم العظام من أثر الارتطام بالأرض حين رُمي من أعلى القصر.. وهم مع ذلك يشدّون الحبال برجليه ورجلي الشيخ الكبير هاني بن عروة، ويجزّونه في السوق.. يسحلونه على الأرض.. الأرض الوعرة.. فيها

التراب والرمل والحصى. والناتئة في موضع والمنخفضة في آخر،
تغطّيها الأحجار أحياناً ومخلفات المارة والسوق أحياناً أخرى.. وفي
خشونة الأرض وقساوة التراب كفاية إذا بردت جسماً لطيفاً وبدناً
منهكاً وقشّرت جلده فأبدت اللحم الممزّق..

إنّهم شدّوا الحبال برجليه! لأنّ رأسه مقطوع! وسحلوه منكساً
أيضاً.. جرّوه في السوق على مرأى ومسمع من هذه الأمة المنكوسة
المتعوسة المتخاذلة البائسة، التي أخذت إلى القاع اللزج، والتصقت
بصمغ الشجرة الملعونة العفن..

ما أبشعه من منظر! ما أعظمها من مصيبة.. جثة مقدّسة يعلوها
نور العترة النبويّة، وتحيط بها هالة القدس الإيمانيّة، وتحفّها هيبة رجال
آل أبي طالب ﷺ في سيماء الفرسان والشجعان والأبطال.. تجرّ في
الأسواق.. فيتناثر اللحم المخدّد من أثر الاحتكاك بالأرض القاسية
والتراب الخشن والحجارة وغيرها من الأشياء الحادة، وتبقى آثار الدم
السائل بهدوء وصمت خيوطاً تنسحب وراءها وترسم تفاصيل عار آل
زياد وبني أميّة وشنارها إلى أبد الأبدين.. فلعنة الله عليهم لعناً يغدو
أوله ولا يروح آخره..

ليت كان ثمة من يتبع الجثمان المقدّس وهو يسحّل على الأرض،
ليلتقط نثار الجلد واللحم المتشظّي منه ويجمعه ويدفنه..

جَلَّتْ حكمة أبي الشهداء عليه السلام وسيدهم، إذ أرسل مسلماً عليه السلام وحده إلى الكوفة، فلم يصحب معه أحداً من أهله وعياله.. فإذالو كانت بنت أمير المؤمنين وزوجه رقية وأولاده وبنتاه حميدة وعاتكة قد حضروا المشهد هذا؟!!

اللوحة الثانية: جرّ الصبيان

روى الدينوري على لسان الأسدي الذي أخبر سيّد الشهداء عليه السلام بما شاهده أنّه قال:

«ورأيتُ الصبيان يجرون بأرجلهم»..

سلّطوا الصبيان على الجثمان؟! إمعان في التنكيل.. لابدّ أن تكون جماعة من الصبيان غير قليلة؛ لأنهم يسحبون طودين شامخين نبا السيف عن عنقيهما، وضعف القاتل ونكل عن قتلهما في أوّل ضربة.. جثمان مسلم المهيّب الضخم، لأنّه من رجال بني هاشم، وكان أشبه بني عبد المطلب برسول الله صلى الله عليه وآله، كما ورد في التاريخ الكبير للبخاري في صفته ^(١).. بدن مقاتلٍ بطلٍ فارس شجاع، ثقيل الوزن عظيم

(١) في التاريخ الكبير للبخاري: ٢٦٦/٧ رقم ١١٢٨: روى عمرو بن دينار عن صفوان بن موهب وقال لي يحيى بن موسى عن يزيد بن هارون أرنا محمّد بن راشد عن عمرو بن شعيب قال: أخبرني من سمع أبا هريرة يقول: ما رأيت من ولد عبد المطلب أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله من مسلم بن عقيل.

التقاسيم..

ولابد أن تكون ثمة فاصلة بين الجثمان المقدس وبين جماعة الصبيان بمقدار امتداد الحبل بين رجليه وبين أيديهم الآثمة.. ويلزم أن يكون الرجال والصبيان وغيرهم يتراكمون حول الجثمان وأمامه وخلفه.. والصخب والضجيج يملأ الأرجاء، والشماتة تعلو الوجوه الكالحة التي جاءت تتشقى من بطل قتل صناديدهم وأدخل النائحة في بيوتهم، فلا تهدأ لهم رنة بعد أن صبغ بدمائهم الأرض، وترك لحومهم نقوشاً مرعبة لهم ولصبيانهم على الجدران، وكُدس رؤوسهم بعضها فوق بعض في حربه الأخيرة..

لا يحدثنا التاريخ عن الصرخات والزعقات والأراجيز والأهازيج وما جرى وهم يسحلون ويقشرون جلد المولى الغريب ﷺ بجره على الأرض، وما أحدثوه من ضجة واحتفال، وما حدث في الكوفة يومها!

اللوعة الثالثة: بلوغ الخبر لسيد الشهداء ﷺ

في «زروذ» بلغ خبر شهادة مسلم وشدة الحبال برجله وجره في السوق لركب سيد الشهداء ﷺ، كما ذكر الدينوري والمفيد وغيرهما.. هكذا شاء الإمام أن يخبر بما يسمع لا بما يرى ويعلم بمقتضيات الإمامة.. «فارتجّ الموضع بالبكاء والعويل، وسالت الدموع كل

مسيل» (١) ..

إنه خبرٌ مفجع .. قتل مسلم عليه السلام .. ويزيد اللوعة ويُذكي المصاب ويحرق الفؤاد أن يقترن خبر الشهادة بخبر ربط رجله بجبل وجره في السوق، بسحل جلده عن لحمه بيرده بالتراب، بشماتة الأعداء! وهو أول شهيد من آل أبي طالب بين يدي الحسين سيد الشهداء عليه السلام، أو خبر مفجع يبلغ بنات أمير المؤمنين عليه السلام .. أول يتم يدخل على ركب الحسين عليه السلام .. بدت مصائب كربلاء تلوح في أفق ركب المنايا .. فجيرة لا كالفجائع، ومصيبة فيها أحزان كربلاء، وقارحة فادحة كاظة فيها سمات الطف .. يُقتل شرقتلة لم يُقتل أحدٌ في الإسلام مثلها، ثم يجزّ بالحبال في السوق!!

أي هولٍ ونياحةٍ قامت في سرادق الرسالة وخيام الخدر العلوي في الركب الحسيني؟! كيف تلقت الخبر بنات أمير المؤمنين عليه السلام، بنات مسلم بن عقيل، أولاد مسلم بن عقيل، إخوة مسلم وآل عقيل، بقية الطالبين؟!

ساعد الله قلب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقد استرجع - بأبي هو وأمي - وسالت دموعه كسيلان دموع جدّه المصطفى ﷺ على أخيه مسلم بن عقيل ..

(١) أنظر: اللهوف لابن طاووس: ٤٥.

«عَيْتِي سَيْلِي بِالْمَدَامِ سَيْلِي حُزْناً لِرِغْبَةِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ
لَا غُرُوبَ أَنْ أَدْمِيْتُ جَفْنِي بِالْبُكَاءِ وَلَهُ أَطْلُتُ نِيَّاحَتِي وَعَوِيلِي
فَصَابَهُ أَبْكِي عَيُونََ الْمُصْطَفَى طُوبَى لِمَنْ يَبْكِيهِ خَيْرُ رَسُولٍ» (١)

اللَّوْعَةُ الرَّابِعَةُ: مَدَّةُ السَّحْبِ

قال الدربندي:

«فبلغ ذلك مذحج ... فركبوا عن آخرهم، واقتتلوا قتالاً شديداً
ثلاثة أيام بلياليها، وما كان يسحبون هائئاً ومسلماً في
الأسواق، فغلبت عليهم مذحج، فأخذوهما، وغسلوهما،
وكفنوهما، وصلّوا عليهما، ودفنوهما في الجامع» (٢).

وقال السيّد بحر العلوم:

«سحبوهما بالحبال من أرجلهما في الأسواق طوال ذلك
النهار» (٣).

تفيد عبارة العلامة الدربندي أنّ مذحج قاتلت ثلاثة أيام بلياليها
قتالاً شديداً لاستنقاذ الجثث الزواكي، وتفيد عبارة السيّد بحر العلوم

(١) الأبيات من قصيدة لأخيّنّا الطيّب خادم الحسين عليه السلام الشيخ أحمد الدرّ
- حفظه الله .

(٢) أسرار الشهادة للدربندي: ٢٢٨.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢٤٦.

أنهم سحبوا الجثث الطواهر طيلة ذلك النهار.

والمحصّل من عبارة العلامة الدربندي أنّ جرّ الجثث في الأسواق كان بعد الصلب، لأنّه يفيد أنّ مذبح جهّزتها ودفنتها بعد الاستنقاذ، والحال أنّ عبارة السيّد لا تفيد ذلك، بل ربما يستفاد منها أنّهم جرّوها في الأسواق طيلة ذلك النهار ثمّ صُلبت، وهو الأوفق بمجريات الأحداث، ويشهد له تعبير الطبري:

«وأمر بهائي فسحب إلى الكناسة فُصِّل هنالك».

والله العالم.

تجهيز الأجساد الطاهرة

توجد ثلاث طوائف من الأخبار تتحدّث عن تجهيز الجثث الطواهر
الزواكي:

الطائفة الأولى: تجهيز ابن سعد

في خضمّ الحديث عن تنفيذ وصيّة المولى الغريب عليه السلام، قال ابن
سعد:

«وقضى عمر بن سعد دين مسلم بن عقيل، وأخذ جثته
فكفّنه ودفنه» (١).

وقال الذهبي نقلاً عن ابن سعد:

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٧.

«ثُمَّ قَضَىٰ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ دِينَ مُسْلِمٍ، وَكَفَّنَهُ وَدَفَنَهُ» (١).

ومن البعيد جداً أن يكون القدر المتعلق بذيل الجرو الأمويّ عمر بن سعد قد أقدم على انتشال الجثّة من برائن الأنذال وقد أمر اللعين بصلبها وجزّها في السوق، سيّما إذا لاحظنا أن ابن زياد قد أبى أن يقبل بتنفيذ هذا البند من الوصيّة من أوّل الأمر، فقال:

«أَمَّا جِثَّتُهُ فَإِنَّا لَن نَشْفَعُكَ فِيهَا، إِنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ مِّثْلَ ذَلِكَ، قَدْ

جَاهَدَنَا وَخَالَفَنَا وَجَهَدَ عَلَىٰ هَلَائِكُنَا» (٢) ..

وابن سعد أحقر وأقلّ من أن يفعل شيئاً يتجاوز فيه سائسه ومولاه.

ثُمَّ إِنَّ الْمَوْلَى الْغَرِيبَ عليه السلام إِنَّمَا أَوْصَاهُ لثَلَايِمُثْلَ بِجِثَّتِهِ بَعْدَ قَتْلِهِ، كَمَا صَرَّحَ الدِّينُورِيُّ فِي نَقْلِهِ لِكَلَامِ الْمَوْلَى الْغَرِيبِ عليه السلام عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، فَقَالَ:

«وَإِذَا أَنَا قُتِلْتُ فَاسْتَوْهَبْ مِنْ ابْنِ زِيَادٍ جِثَّتِي؛ لثَلَايِمُثْلَ

بِهَا» (٣).

وها هو قد مثّل به وصلبه وجزّه في الأسواق.

فهو على كلّ تقدير لم ينفذ الوصيّة في هذا البند.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩ - عن: ابن سعد.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٧٠.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١.

الطائفة الثانية: تجهيز مذحج

ورد في مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف المشهور: «فحملت عليهم مذحج، وفرقوهم وأخذوا مسلماً وهائناً، وغسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما ودفنوهما» (١).
وقريباً منه قاله الطريحي في المنتخب والقمي في نفس المهموم والدربندي في أسرار الشهادة والحائري في معالي السبطين (٢).
والظاهر من عبارة الأطياب المتأخرين أنهم اعتمدوا نقل المقتل المشهور، فقوّ كلامهم بقوّ النسخة المتداولة من مقتل أبي مخنف، وربما تحركت في مذحج شيء من النخوة العشائريّة على زعيمهم الذي خذلوه وأسلموه وباعوه ودينهم بدنيا الأنذال والقروء، والله العالم!

الطائفة الثالثة: تجهيز زوجة ميثم

روى المتبّع المتبحّر في المصادر العربيّة والفارسيّة خادم الحسين عليه السلام الشيخ الحائري رحمته الله في معالي السبطين، قال:

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٧ و ٣٨.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٨، نفس المهموم للقمي: ١٢٠، أسرار الشهادة للدربندي: ٢٢٨، معالي السبطين للحائري: ١ / ٢٤٤. وقد أضاف الدربندي: «ودفنوهما في الجامع».

«فقال الشعبي: فبقيت تلك الحجة الطاهرة على وجه الأرض من غير غُسلٍ ولا كفنٍ، ولما دجى الليل ونامت كلُّ عين، شدّت زوجة ميثم التمار على نفسها، وخرجت إلى الكناس، وحملت مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وحنظلة بن مرة إلى دارها، ولما انتصف الليل ونامت كلُّ عين، حملتهم إلى جنب المسجد الأعظم، ودفنتهم بدمائهم، ولم يعلم بها أحدٌ إلا زوجة هاني بن عروة، لأنها كانت في جوارها - رحمة الله عليهم ورضوانه - (١).

ونحن وإن لم نقف على مصدره، لكننا نشق من خلال معرفتنا باطلاعه على المصادر الفارسيّة والعربيّة في آن أن له مصدراً لم نعثر عليه إلى اليوم، وفي مكتبتنا عشرات المصوّرات والمطبوعات حجرياً منذ أكثر من مائة عام لم تُوفّق بعدُ لمراجعتها، فربما كان قد اعتمد عليها الشيخ الحائري ونقل عنها.

وربما كان إقدام هذه الحرّة العفيفة الشجاعة أوفق وأكثر انسجاماً مع ظروف الكوفة يومها، وتحاذل القوم، والرعب المسيطر على الموقف وانهمزام مذحج وغير مذحج وإعلانها الطاعة، وشماتة الأعداء وتحاملهم على الطيّبين الذين أشبعوهم قتلاً وتنكيلاً قبل أن يقتلوا، والله العالم!

الطائفة الرابعة: الصلاة عليه!

تفرد ابن فندق - حسب فحصنا - بذكر مَنْ صَلَّى عليه، فقال:

«... صَلَّى عليه عمر بن سعد بعد ثلاثة أيام من قتله» (١).

فإن صحَّ ما قاله ابن فندق - وهو بعيد - فباعتبار أنَّ ابن سعد يعدّ نفسه من الرحم وهو الأقرب إليه، لما ذكرناه في سبب اختياره للوصية، ولطالما فعل الطواغيت ذلك مع أهل البيت عليهم السلام في الظاهر والذي يتولّى ذلك منهم في الباطن مَنْ هو أولى بهم في الله!

(١) لباب الأنساب لابن فندق: ١ / ٣٩٧.

ناصر الجثمان المقدّس حنظلة بن مرّة

روى العلامة الحائري المازندراني رحمته الله في كتاب معالي السبطين موقف ناصر الجثمان المقدّس حنظلة بن مرّة الهمداني، وقد تحدّثنا عن نقولات خادم الحسين عليه السلام الحائري قبل قليل، وسوف نذكر ما رواه ونعلّق عليه لعدم وجود ما ينافيه، ونترك الإثبات والنفي للعلماء والمتخصّصين وأهل التحقيق.

«قال رحمته الله: في بعض مؤلّفات أصحابنا، عن قبسات الشيخ درويش علي البغدادي: لما قُتل مسلم وجرى عليه ما جرى، ربطوا برجله حبلاً وجزّوه في أسواق الكوفة.

قال الشعبي: فمَرَبَه رجلٌ أعرابيٌّ من أهل واقصة يقال له: حنظلة بن مرّة الهمداني، وكان من شيعة عليّ بن أبي طالب، وهو راكبٌ على مطيّة، فقال: ويلكم يا أهل الكوفة، ما فعل

هذا الرجل الذي تفعلون به هذا الفعال؟!

فقالوا: هذا خارجي، خرج على الأمير يزيد بن معاوية.

فقال: يا قوم، بالله عليكم ما يُقال له؟ وما اسمه؟

قالوا: هذا مسلم بن عقيل ابن عمّ الحسين عليه السلام.

فقال: ويلكم، إذا علمتم أنّه ابن عمّ الحسين فلمَ قتلتموه

وسحبتموه على وجهه؟!!

ثمّ نزل عن مطيته، وردّ يده إلى سيفه وسلّه من غمده، وحمل

عليهم، وجعل يقاتل وهو يقول: لا خير في الحياة بعدك يا

سيّدي.

ولم يزل يقاتل حتّى قتل أربعة عشر رجلاً، فتكاثروا عليه حتّى

قُتل وعجّل الله بروحه إلى الجنّة، وربطوا برجله حبلاً وسحبوه

على وجهه، حتّى رُمي على كناسة الكوفة بجانب مسلم بن

عقيل» (١).

فوائد

أفاد هذا النصّ عدّة فوائد:

الأولى: أنّ الرجل الغيور كان من أهل واقصة.

(١) معالي السبطين للمازندراني الحائري: ١ / ٢٤٤.

الثانية: أنّه كان من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

الثالثة: أنّ المشهد كان غاية في البشاعة بحيث أثار هذا الغيور

العابر.

الرابعة: أنّ القوم غاية في الانحطاط والسقوط، وقد أقدموا على

فعاظم عن علمٍ وعمد، فهم يعرفونه تماماً ويعرفون علاقته وقربه من

سيد شباب أهل الجنّة وريحانة النبي صلّى الله عليه وآله، وقد قرّعهم البطل الغيور

بقوله: «ويلكم، إذا علمتم أنّه ابن عمّ الحسين فلمّ قتلتموه وسحبتموه

على وجهه؟».

الخامسة: صرّح القوم بخضوعهم وخنوعهم وتبعيتهم البغيضة للقرّد

الأمويّ وتعبيرهم المقيت عن المولى الغريب سفير الحسين عليه السلام بأنّه

خارجي.

السادسة: يبدو من قوله: «وسحبتموه على وجهه» أنّ الجثمان كان

يُسحب مكبوباً على وجهه! أو أنّهم كانوا يقلّبونه وهم يسحبونه مرّة

على ظهره ومرّة على وجهه، أو أنّهم يسحبونه سحباً عنيفاً فتقلّب الجثة

على جوانبها! هنيئاً لك يا أخا الحسين وابن عمّه وثقته وسفيره، لقد

واسيت سيّد الشهداء عليه السلام!

السابعة: ما أعظم مواساته ودفاعه وغيرته وحميته على رجال الحقّ

وسيوف الحسين عليه السلام وبقية الطيّبين الأبرار؛ «لا خير في الحياة بعدك يا

سَيِّدِي»!

كان عابراً، فمرّ من السوق إلى جنان الخلد عن طريق المولى الغريب عليه السلام.. لقد ردّ شيئاً من غربة مسلم بن عقيل ولو بعد شهادته، وانتصر لجنّته، وأذاقهم الخوف في لحظة زهوهم وطغيانهم، وقتل منهم، ورحل إلى الله مع سيّده، وأبى إلا أن يواسيه، فجزّوه بالحبال مع مَنْ لم يجد للحياة خيراً ولا طعماً ولا معنى بعده..

الثامنة: أنّ القوم فعلوا فعلتهم بعد الصلب، كما يظهر من قوله: «حتّى رُمي على كناسة الكوفة بجانب مسلم».. إذ أتهم ختموا جنائتهم بالكناسة برمي الجثث الزواكي الطواهر هناك.

التاسعة: أنّ مذحجاً لم تتقدّم بشيء ولم تقاتل من أجل إنقاذ الجثث الطاهرة، وإنّما ظلّ الغوغاء السفلة يتمادون في غيهم وجنائتهم، حتّى وصلوا إلى الموضع الأخير الذي كانوا يقصدونه.

العاشرة: وما أدراك ما العاشرة! ولا يطاوع القلب ذكرها ولا يجروء المرء على بيانها، ولكن نشير إليها إشارة الخائف الوجل المرتعش المرتجف المتنصّل، ونكتفي بذكر نصّ العبارة، ولا نظنّ أنّ ثمة حاجة إلى كثير تأمل حتّى يبلغ المعنى إلى المتلقّي سوى أن يعرف معنى «الكناسة».. «حتّى رُمي على كناسة!!! الكوفة»..

﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

بعث الرؤوس إلى الشام

«وبعث عبيد الله برأس مسلم بن عقيل وهاني بن عروة إلى يزيد بن معاوية» (١).

«وبعث برأسه [عمارة بن صلخب] مع رأس مسلم وهاني إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هاني بن أبي حية الوادعي من همدان» (٢).

«ثم بعث عبيد الله برؤوسهما إلى يزيد، وكتب إليه بالنبأ فيهما.

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات: ٦٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٧٠.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢.

وكان أنفذ الرأسين إليه مع هاني بن أبي حيّة الهمداني والزبير ابن الأرواح التميمي» (١).

«قال أبو مخنف: عن أبي جناب يحيى بن أبي حيّة الكلبي قال: ثم إنَّ عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهانئاً، بعث برؤوسهما مع هاني بن أبي حيّة الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهاني، فكتب إليه كتاباً أطال فيه - وكان أول من أطال في الكتب -، فلما نظرفه عبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ أكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون، ودست إليهما الرجال، وكدتهم حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حيّة الهمداني والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر، فإنَّ

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٢.

عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً، والسلام» (١).

«وعزم أن يوجّه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية.

قال: [ثمّ] كتب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبيد الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه، وكفاه مؤونة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين - أيده الله - أنّ مسلم ابن عقيل الشاقّ للعصا قدم إلى الكوفة، ونزل في دار هاني بن عروة المذحجيّ، وأتني جعلتُ عليهما العيون حتّى استخرجتهما، فأمكني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثتُ برأسيهما مع هاني بن [أبي] حيّة الوادعيّ والزبير بن الأرواح التميميّ، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليساألها أمير المؤمنين عمّا يجب، فإتتهما ذو عقلٍ وفهم وصدق» (٢).

«وحمل رأسه [مسلم] إلى دمشق، و[هذا] أوّل رأسٍ حُمِل من رؤوسهم [رؤوس بني هاشم] إلى دمشق» (٣).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨٠.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٥ وما بعدها.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٧٠، نفس المهموم للقمي: ١٢٠.

«ثم بعث عبيد الله بن زياد برأسي مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهاني بن عروة مع هاني بن [أبي] حية الوادعي والزبير ابن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية» (١).

ولما قُتل مسلم وهاني - رحمة الله عليهما -، بعث عبيد الله بن زياد برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب إلى يزيد بما كان من أمر مسلم وهاني، فكتب الكاتب - وهو عمرو بن نافع - فأطال فيه، وكان أول من أطل في الكتب، فلما نظرفيه عبيد الله كرهه، فقال: ما هذا التطويل وما هذه الفضول؟ أكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأئير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما المراسد والعيون، ودسست إليهما الرجال، وكدثهما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير ابن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليساألهما أمير المؤمنين عما أحب من أمرهما، فإن عندهما

علماً وصدقاً وورعاً، والسلام» (١).

«وأمر بكلّ مَنْ عرفه ممّن خرج مع مسلم، فأُتي به إلى قومه، فُضِرَت عنقه فيهم، وُبعث برؤوس مَنْ قُتل منهم إلى يزيد وكتب بالقصة» (٢).

«وبعث ابن زياد برأسهما إلى يزيد بن معاوية» (٣).

«قال: ثمّ كتب ابن زياد إلى يزيد: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد أمير المؤمنين من عبيد الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوّه»..

ثمّ ذكر قدوم مسلم بن عقيل وذكر هانيّ ابن عروة، وكيف أخذهما وكيف قتلهما، ثمّ قال:

«وقد بعثت برأسيهما مع هانيّ بن [أبي] حيّة الوادعيّ والزبير ابن الأرواح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحب، فإنّ عندهما علماً وفهماً وصدقاً وورعاً» (٤).

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٦، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٩.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣.

(٣) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٩.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٥.

«وأنفذ رأسهما إلى يزيد في صحبة هانئ بن حيوة
الوداعي»^(١).

«وكتب عبيد الله إلى يزيد: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ
لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، إن مسلم بن عقيل
لجأ إلى دار هانئ بن عروة، فكدثهما حتى استخرجتهما،
وضربت أعناقهما، وقد بعث برأسيهما»^(٢).

«وبعث ابن زياد برأسيهما إلى يزيد»^(٣).

«وبعث عبيد الله بن زياد برأس مسلم وهانئ إلى يزيد بن
معاوية مع الزبير بن الأرواح التميمي - أحد بني مالك بن
سعد - ومع هانئ بن أبي حية الوداعي، وأخبره بأمرهما»^(٤).
«وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى دمشق إلى يزيد،
وهو أول رأسٍ حُمِل من رؤوس بني هاشم.

وبعث برأسه ورأس هانئ بن عروة إلى يزيد، وكتب إليه:

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣٢١، نفس المضمون للقمي: ١٢٠.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٩.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٥، نفس المضمون للقمي: ١٢٠، نهاية الإرب للنويري:

٢٠ / ٤٠٣.

(٤) مثير الأحزان لابن نما: ١٨.

الحمد لله الذي أخذ لأئمة المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة
عدوه» (١).

«قال الراوي: وكتب عبيد الله بن زياد بنجر مسلم وهائي إلى
يزيد بن معاوية» (٢).

«ثم بعث برؤوسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام، وكتب له
كتاباً صورة ما وقع من أمرهما» (٣).

«وأرسل برأسه إليه» (٤).

«ثم إن ابن زياد - لعنه الله - بعث كتاباً إلى يزيد - لعنه الله -،
يخبره بقصتهما» (٥).

ثم إن ابن زياد - لعنه الله - لما قتل هائناً ومسلماً، أنفذ
برأسهما إلى يزيد - لعنه الله -، وكتب: الحمد لله الذي أخذ
للخليفة حقه، وكفاه عدوه، واعلم أيها الخليفة أن مسلم بن
عقيل عليه السلام ورد إلى هائي بن عروة، فعرضت عليهما المراسيد،

(١) تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي: ١٣٩ و ١٤٠.

(٢) اللّهُوف لابن طاووس: ٦٠.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

(٤) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٧.

(٥) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٨.

فضربتُ أعناقهما، وأنفذتُ إليك برأسهما» (١).

عدد الرؤوس المبعوثة

ذكر ابن سعد في الترجمة والذهبي في التاريخ والطبري وابن أعثم وابن حبان والمفيد والطبرسي والخوارزمي وابن شهر آشوب وابن الجوزي وابن الأثير والنويري وابن نما وسبط ابن الجوزي وابن كثير، أنَّ ابن الأمة الفاجرة بعث برأس مسلم وهاني إلى القرد الأمويّ المجدور، فيما ذكر المسعودي وابن حجر مسلماً فقط.

وثمة رأس ثالث ذكره البلاذري في الجمل، وهو رأس «عمارة بن صلخب الأزدي»، وأفاد نصّ مسكويه أنه بعث برؤوس من قتل من الشيعة وأنصار المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام.

وربما اقتصر المسعودي وابن حجر على ذكر مسلم بن عقيل عليه السلام بالخصوص باعتباره الأصل وأتتهما في معرض الحديث عنه.

ولا يبعد قول البلاذري ومسكويه باعتبار الأغراض المتوخاة من بعث الرؤوس لدى الطغاة من التخويف والترهيب والإرعاب والتبجح، وقد أمر الحنبيث أن يقتل الشهيد السعيد عمارة بن صلخب في الأزدي (٢)، زيادةً في استخفاف القوم وتخويفهم وترويعهم وتذليلهم كما لا

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٣٨.

(٢) أنظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣٤١/٢، تاريخ الطبري: ٣٧٩ / ٥.

يخفي.

ويبقى العدد الذي ذكره مسكويه غير محدد!

حاملو الرؤوس إلى الشام

قال البلاذري وابن شهر آشوب^(١):

«هاني بن أبي حيّة الوادعي من همدان».

وذكر الدينوري والطبري وابن أعثم وابن حبان والمفيد والخوارزمي

وابن نما^(٢):

«هاني بن أبي حيّة الهمداني والزبير بن الأروح التميمي».

وربما اقتصر البلاذري وابن شهر آشوب على ذكر الأول باعتباره

المكلف الرئيسي والثاني تبع ومعين له، فاكتمل بذكر المأمور الأصلي.

ما أقسى قلوب هؤلاء الأجلاف وأغلظ أكبادهم! يطوي الصحاري

والفيافي، ويقطع الليل والنهار، ويأكل ويشرب، وينام ويسترخي،

ويضحك ويلهو ويلعب.. وهو يحمل معه رؤوساً مقطوعة! رؤوساً يسطع

منها النور وتعلوها المهابة والجلالة.. رأس مفصول محزوز عن البدن!

ووجه وضاء مغسل بالدماء.. محاسن مخضبة مرملة.. جباه فيها سيماء

(١) ذكره ابن شهر آشوب باسم «هاني بن حيوة الوادعي»، ولعله تصحيف.

(٢) قال ابن نما: «الزبير بن الأروح التميمي، أحد بني مالك بن سعد».

السجود لله الواحد الأحد.. عيون شاحجة إلى الله أحكم الحاكمين..
كيف كانوا يسيرون بها؟!!

وحوش كاسرة وذئاب مسعورة! يقطعون المنازل والمسافات،
ويطوون الفيافي والمفاوز، ويعلمون الجبال ويهبطون الوديان، جدلانين
مسرورين مبتهجين فرحين، يحملون معهم رؤوساً! رؤوساً مقطوعة
ليُدخلوا بها السرور على قلب القرد المتوحش القابع في قصور الشام
وأقبية السقيفة! وينالوا الجائزة! ألا لعنة الله على الظالمين!

ويكفي في تعريفهما ما ذكره ابن زياد في حقهما وهو يقدمها ليزيد،
فشهد لهما أنهما من أهل السنّة والجماعة والسمع والطاعة والنصحية،
كما هو محصل كلام الطبري وابن أعثم والشيخ المفيد والخوارزمي،
ونعتهما بالعقل والعلم والورع والفهم والصدق..

ولكي يُعرَفَ مَنْ هذان الوحشان من خلال شهادة الدعيّ ابن
الدعيّ، لابدّ أن نعرف ما وصف به الخبيث المولى العالم العارف والعبد
الصالح مسلم بن عقيل عليه السلام كلّما ذكره، وما وصف به سيّد شباب أهل
الجنة عليه السلام والطيّبين الأبرار من أنصاره وأهل بيته.. فإذا كان هؤلاء الذين
طهرهم الله واختصّهم وانتجبهم واصطفاهم عنده بتلك الصفات،
فيُعرَفَ حينئذٍ معنى العقل والعلم والصدق والورع الذي نعت به
جرذانه وأدعياءه..

وويل لمن شهد له ابن الأمة الفاجرة عند يزيد الفاجر الزاني السكير
بأنه من أهل السمع والطاعة والنصيحة.. النصيحة لأولاد البغايا وأعداء
الله ورسوله! وويل له وقد صدق يزيد مقال ابن زياد بهما واستوصى
بهما خيراً^(١).

أول رأس هاشمي يُحمَل

صرّح المسعودي وسبط ابن الجوزي أنّ رأس المولى الغريب مسلم
ابن عقيل عليه السلام هو أول رأس هاشمي يُحمَل، والظاهر أنّه الأول في
التاريخ؛ لإطلاق العبارة، وعدم تسجيل واقعة من هذا القبيل قبل يوم
سفير الحسين عليه السلام، فيما شهد به المسعودي في إطلاق عبارته.
وقد حاز البطل الهاشمي سابقة الفخر هذه ونال الرتبة السامية،
وواسى سيّده سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام وصحبه وأهل بيته، ورافقهم
في بقية الطريق من الشام.

(١) أنظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٥، وغيره.

كتاب ابن زياد ليزيد

اختصر السيد ابن طاووس وابن كثير الكلام في الكتاب، واكتفيا بالقول أنّ ابن زياد كتب كتاباً إلى يزيد يخبره بما جرى (١). وذكر الطبري وابن أعثم نصّ الكتاب، وبينهما اختلاف يسير، بيد إنّه له دلالاته، ولذا سنكتفي بذكرهما:

قال الطبري والشيخ المفيد:

«... أمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ، فكتب إليه كتاباً أطال فيه، وكان أوّل من أطال في الكتب، فلمّا نظرفيه عبید الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ أكتب: أمّا بعد، فالحمد

(١) أنظر: اللهوف لابن طاووس: ٦٠، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٧.

لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني ابن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال، وكدثهما حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هاني بن أبي حية الهمداني والزبير بن الأروح التيمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسا لهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر، فإن عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً، والسلام» (١).

وقال ابن أعثم:

«[ثم] كتب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبيد الله ابن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أيده الله أن مسلم بن عقيل الشاق للعصا قدم إلى الكوفة، ونزل في دار هاني بن عروة المذحجي، وأني جعلت عليهما العيون، حتى استخرجتهما، فأمكني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة، فقدمتهما فضربت

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٦، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٥٩.

أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن [أبي] حية الوادعي
والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة
والجماعة، فليسألهما أمير المؤمنين عما يحب، فإنهما ذو عقل
وفهم وصدق» (١).

وقد احتوى الكتاب - حسب النصين - على جملة من المعلومات،
نشير إليها باختصار شديد:

المعلومة الأولى: التصريح بأسماء حاملي الرؤوس.

المعلومة الثانية: أن كاتب ابن زياد هو عمرو بن نافع، وقد أطل،
وكان أول من أطل في الكتب، ويبدو أن هذه المعلومة التي زرقها
الطبري هنا غير دقيقة، فإن أمير المؤمنين وسيد الموحدين عليه السلام كتب كتباً
طويلة منها عهده لملك الأشر.

المعلومة الثالثة: أن الكتاب من ألفاظ ابن زياد، لأنه يصرح أنه كره
التطويل وأمره أن يكتب ما يمليه عليه.

المعلومة الرابعة: احتوى الكتاب على حزمة معلوماتية امتازت
بتشويه الحقائق، واحتشد فيها الكذب، وحشيت بالمبالغات الفجة
التي شاء ابن زياد أن يعظم فيها دوره ويتمطى على يزيد ويقتل أمامه
شاربه المدنس.

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٥ وما بعدها.

المعلومة الخامسة: بعث إلى يزيد بعبدین من عبيده المخلصين، اللذين يعتمد عليهما ويطمئن لقولهما وخبرتهما في الكذب والتزويق والتمنيق وعرض الصورة المطلوبة له أمام سائسه.

وسنسمع في الإشارات السريعة التالية بعض كذباته المقصودة:

الكذبة الأولى:

حمد الله على شيء يبغضه الله ويسخط عليه، في محاولة بائسة منه للتمويه والانتساب إلى الله، جلّ وعلا وتبارك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون.

الكذبة الثانية:

خطابه ليزيد الخمر والفسق والزنا بالمحرّمات والفجور واللعب بمثله من إخوانه من القروء بأقدس خطاب: «أمير المؤمنين»!

الكذبة الثالثة:

زعمه أنّ الله أخذ ليزيد الفاجر حقّه من مسلم بن عقيل، وأيّ حقّ كان لهذا الدعي؟! وكيف أخذه الله له؟!

الكذبة الرابعة:

زعمه أنّ الله كفى يزيداً مؤونة عدوّه، ولا زالت مؤونة عدوّ يزيد

تلاحقه وستبقى «حتى يبعث الله قائماً»!

الكذبة الخامسة:

إنَّ مسلماً عليه السلام لجأ إلى بيت هاني في نصّ الطبري، في إشارة إلى ما يريد أن يروّجه المؤرّخ عن المولى الغريب عليه السلام ويرسمه لابن زياد من دور فاعل فيما يأتي من كلامه.. وهذا ما فرضه ابن زياد على التاريخ، فجرى قلم المؤرّخ بما أراد وسرى في الصفحات حتى اقتنع به القاصي والداني..

يلاحظ الخبث في تعبير: «لجأ»، فيما عبّر ابن أعثم: «نزل»، ولفظ أبي مخنف في المقتل المشهور: «ورد».

إنَّ الفتى الطالبيّ دخل بيت هاني قاصداً غير مضطّرٍّ ولا مُكرَه ولا لاجئ، بل دخل ضمن خطّته التي رسمها له سيّد الشهداء عليه السلام الذي أوصاه أن ينزل عند أوثق أهلها، بل نصّ على بيت هاني^١، وقد بايعه في تلك الدار ثمانية عشر ألفاً!

الكذبة السادسة:

رسم الخبيث لنفسه دوراً عرضه أمام يزيد، ليعلن على رؤوس الأشهاد ويسجّله له التاريخ، وكأنته قد بادروا واستقصى وكاد واحتال

(١). انظر الجزء الثاني من هذه المجموعة «وقائع دخول الكوفة».

واستعمل أساليبه الفريدة فاستخرج مسلماً وهانياً.. ومن هنا نفهم اللغز في تسخير قصّة معقل وما شاكلها المنسوجة على نفس هذا المنوال والطامحة لتأكيد هذا المقال..

«جعلتُ عليهما العيون؟! وددستُ إليهما الرجال؟!» وكأنّه يريد أن يمتطي أكتاف يزيد ويركب عنق التاريخ، ليسيره كيف يشاء ويملي عليه ما يسجله.. أيّ عيون جعلها عليهما وقد فتحا باب دار هاني لاستقبال أفواج المبايعين؟! وأيّ رجل استطاع أن يخترقهما ويخدعهما؟! إنها كذبة فجّة وقيحة تدنس ساحة القدس الطاهرة لأصحاب الحسين وسيوف سيّد الشهداء عليه السلام، وقد أتينا على مناقشتها مفصلاً تحت عنوان «قصّة معقل» وغيرها من الدراسات..

الكذبة السابعة:

ساق الدعيّ قصته باقتضاب مقصود؛ «استخرجتهما وأمكن الله منهما فقدّمتهما فضربت أعناقهما...»، هكذا بسهولة وبتفريع بالفاء المستعجلة، وكأنّهما لقمة سائغة لآكل متنزّه.. وكأنّ لم تتزلزل الكوفة، ولم يخنس منكوساً في أقبية السقيفة، ولم ينجحرفي ظلمات قصر الخبال، ولم يقتل رجاله وصناديده، ولم يحدث أكثر من أن يكون رجل التجأ إلى رجل واختبأ معاً واختفيا، فجعل عليهما العيون ودس إليهما الرجال.. دس خفية فالتقطهما، فقدّمهما على عجلٍ وضرب أعناقهما

وبعث برأسيهما! جعل العيون ودس الرجال.. وكأن لم تكن كئائب
القوم تُسحق ورؤوسهم تطير بسيف البطل الهاشمي!!
وقد جاءت زيادة في نصّ ابن أعثم تنسجم أكثر مع مجريات
الأحداث، حيث قال: «فأمكنني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة».

جواب يزيد على كتاب ابن زياد

البلاذري:

«كتب إليه (يزيد): إنك لم تعد ان كنت كما أحب، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع، وحققت ظني بك. وقد بلغني أن حسيناً توجه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح وأذك العيون، واحترس كل الاحتراس، فاحبس على الظنه، وخذ بالتهمة، غير أن لا تقاتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل يوم بما يحدث من خبر إن شاء الله» (١).

الدينوري:

«فكتب إليه يزيد: لم نعد الظن بك، وقد فعلت فعل الحازم

الجليد، وقد سألتُ رسوليك عن الأمر، ففرشاه لي، وهما كما ذكرتُ في النصيح وفضل الرأي، فاستوص بهما. وقد بلغني أنَّ الحسين بن علي قد فصل من مكَّة متوجَّهاً إلى ما قبلك، فأدرك العيون عليه، وضع الأرصاد على الطرق، وقم أفضل القيام، غير أنَّ تقاتل إلاَّ مَنْ قاتلك، واكتب إليَّ بالخبر في كلِّ يوم» (١).

الطبري:

«فكتب إليه يزيد: أمَّا بعد، فإنَّك لم تعد أن كنت كما أحبَّ، عملتَ عمل المحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً. وإنَّه قد بلغني أنَّ الحسين ابن علي قد توجَّه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظنِّ وخُذ على التهمة، غير أنَّ تقتل إلاَّ مَنْ قاتلك، واكتب إليَّ في كلِّ ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله» (٢).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٥.

ابن أعثم:

«ثُمَّ كَتَبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعُدْ إِذَا كُنْتَ كَمَا أَحَبَّ، عَمَلْتَ عَمَلَ الْحَازِمِ، وَصَلْتَ صَوْلَةَ الشَّجَاعِ الرَّابِضِ، فَقَدْ كَفَيْتَ وَوَقَيْتَ ظَنِّي وَرَأْيِي فِيكَ، وَقَدْ دَعَوْتُ رَسُولِيكَ فَسَأَلْتُهُمَا عَنِ الَّذِي ذَكَرْتَ، فَقَدْ وَجَدْتُهُمَا فِي رَأْيِهِمَا وَعَقْلِهِمَا وَفَهْمِهِمَا وَفَضْلِهِمَا وَمَذْهَبِهِمَا كَمَا ذَكَرْتَ، وَقَدْ أَمَرْتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَسَرَّحْتُهُمَا إِلَيْكَ، فَاسْتَوْصِ بِهِمَا خَيْرًا. وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْعِرَاقِ، فَضَعِ الْمُرَاصِدَ وَالْمَنَاظِرَ وَاحْتَرَسْ، وَاحْبِسْ عَلَى الظَّنِّ، وَارْتَبِطْ إِلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِمَا يَتَجَدَّدُ لَكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَالسَّلَامُ» (١).

المفيد:

«فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدٌ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعُدْ أَنْ كُنْتَ كَمَا أَحَبَّ، عَمَلْتَ عَمَلَ الْحَازِمِ، وَصَلْتَ صَوْلَةَ الشَّجَاعِ الرَّابِطِ الْمَجَاشِ، وَقَدْ أَغْنَيْتَ وَكَفَيْتَ وَصَدَقْتَ ظَنِّي بِكَ وَرَأْيِي فِيكَ، وَقَدْ دَعَوْتُ رَسُولِيكَ فَسَأَلْتُهُمَا وَنَاجَيْتُهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا فِي رَأْيِهِمَا وَفَضْلِهِمَا كَمَا ذَكَرْتَ، فَاسْتَوْصِ بِهِمَا خَيْرًا. وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ حُسَيْنًا قَدْ

توجّه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنّة واقتل على التهمة، واكتب إليّ فيما يحدث من خبر إن شاء الله» (١).

الخوارزمي:

«ثم كتب لابن زياد: أمّا بعد، فإنّك عملتَ عملَ الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجاش، فكفيت ووفيت، وقد سألتُ رسوليك فوجدتهما كما زعمت، وقد أمرتُ لكلّ واحدٍ منهما بعشرة آلاف درهم، وسرّحتُهما إليك، فاستوص بهما خيراً. وقد بلغني أنّ الحسين بن علي قد عزم على المصير إلى العراق، فضع المراصد والمناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنّ واقتل على التهمة، واكتب في ذلك إليّ كلّ يوم بما يحدث من خبر» (٢).

ابن شهرآشوب:

«كتب: قد بلغني أنّ الحسين قد عزم إلى المسير إلى العراق، فضع المراصد، واحبس على الظنّ واقتل على التهمة حتّى تُكفى أمره» (٣).

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٦٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢١٤ وما بعدها.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٩ وما بعدها - بتحقيق: السيّد ←

ابن الأثير:

«فكتب إليه يزيد يشكره ويقول له: وقد بلغني أنّ الحسين قد توجه نحو العراق، فضع المراسد والمسالح واحترس، واحبس على التهمة وخذ على الظنة، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك» (١).

ابن طاووس:

«فأعاد الجواب إليه يشكره فيه على فعاله وسطوته، ويعرفه أن قد بلغه توجه الحسين عليه السلام إلى جهته، ويأمره عند ذلك بالمؤاخاة والانتقام والحبس على الظنون والأوهام» (٢).

ابن نما:

«وكتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان وابتليت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد» (٣).

علي أشرف.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٦.

(٢) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٣٧.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ٤٠.

النويري:

«فكتب إليه يزيد يشكره ويقول له: قد بلغني أنّ الحسين بن عليّ توجّه نحو العراق، فضع المراسد والمسالح واحترس، واحبس على التهمة وخذ بالظنّة، غير أنّ تقتل إلا من قاتلك» (١).

الطريحي:

«فكتب إليه الجواب يقول: كنت كما أردتُ وفعلتُ ما أحببتُ وصدقتُ ظنيّ فيك، وقد بلغني أنّ الحسين متوجّه إلى العراق، فضع عليه المراسيد، واكتب إليّ بما يحدث من الأمور، والسلام» (٢).

أبو مخنف:

«قال: فلمّا وصل الكتاب إلى يزيد فرح واسترّ، ثمّ كتب جوابه: أمّا بعد، فقد علمت أنّك أحبّ الناس إليّ، ولعمري لقد نصحت وأغنيت وكفيت وصلت صولة الأسد، ولقد دعوتُ رسوليك وسألتهما عمّا شرحت، فوجدتهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً. وقد بلغني أنّ الحسين توجّه إلى العراق،

(١) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٣.

(٢) المنتخب للطريحي: ٤١٧ وما بعدها.

فضع المراد وكتب إليّ كل يوم بخبره» (١).

مقاطع الكتاب:

احتوى الكتاب الموجّه من القرد الأمويّ إلى جروه المسعور ابن زياد على مقاطع أصليّة:

المقطع الأوّل: ذكر ابن زياد وشكره

شكر اللعين فعلة ابن زياد من خلال وصفه ونعت فعله، فوصفه:

الوصف الأوّل: إنّ ابن زياد كما يحبّ يزيد

إنّه كما يحبّ وكما كان يظنّ فيه ويتوقّعه وينتظره، إذ إنّه يعرف من قبل ابن زياد وأبيه، فإنّهما منذ أن دتسا الأرض بأقدامهما، نشأ تحت أغصان الشجرة الملعونة يرعيان في بستان القرد الأمويّة، حتّى نسب معاوية زياداً إلى أبيه!

وتاريخ ابن زياد البطّاش المجرم الذي يسفك الدم الحرام ولا يمتنع عن ارتكاب جميع الآثام وهو يلهو ويلعب وكأنّه لم يفعل شيئاً، كما شهد به المولى العارف العالم ابن عقيل عليه السلام!

ولا يخفى أنّ يزيداً الخبيث إنّما شكره على قتل البطل الهاشمي

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٥٥ وما بعدها.

وأنصاره وشيعة أمير المؤمنين، وفق ما حدّث به ابن زياد نفسه وأخبره به الرسولان.. وهو قد شوّه الأحداث وغير الحقائق بالشكل الذي يبدو فيه بطلاً شجاعاً وذكياً حاذقاً ماهراً، ولم ينقل له الحقيقة كما وقعت في الكوفة، ولم يفصل ما فعله الفتى الطالبي، والخرج والمأزق الذي تورّط به، والأيام الصعبة العسيرة المكفّهرة التي أظلم نهاره عليه بظلّ مسلم ابن عقيل الذي سدّ عليه الفروج وجحره حتّى أوصد عليه أبواب القصر وبقي يتمنّى اللحظة التي تنقذه من هذا الوجود المهيمن على سير الأحداث والموجّه لمجرياتة..

وقد عرفنا يزيد بما وصفه لنا التاريخ وما شهد به سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء الحسين عليه السلام، وبه نعرف من يكون رضا له ومحبوّاً لديه!

الوصف الثاني: وصفه بالحزم

«الحزم: ضبط الرجل أمره والحذر من فواته، وفي الحديث: أنْ تَنْتَظِرَ فُرْصَتَكَ وتُعَاجِلْ ما أَمَكَّنَكَ، وكذا ورد في الحديث أيضاً في الحزم: الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحسين الأسرار. فالحزم أن تقدم العمل للحوادث الممكنة قبل

وقوعها» (١).

وهذا الوصف أبعد ما يكون عن ابن زياد، غير أنه وصف ليزيد ما فعله، فكان وصف يزيد تكرر لما نسبته ابن زياد لنفسه، فقد زعم أنه استقبل الأمور مع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام استقبلاً وجعل عليه العيون ودس إليه الرجال، وغيرها من الفعال التي تفيد أنه قد عرف بالضبط ما يدور حوله وأخذ زمام المبادرة بيده..

والحال أن سفير الحسين عليه السلام كان هو المبادر طيلة فترة وجوده في الكوفة حتى وقع أسيراً بعد أن صرعته المراحات الثقيلة وبلغ به العطش، بل حتى بعد أن وقع في الأسر كان هو المهيمن على الموقف بلسانه ومواقفه وشجاعته، بحيث أخرس الطاغى وألغمه الأثلب والكثكث ملأفه.

الوصف الثالث: وصفه بالشجاع

وصفه بقوله: «صلت صولة الشجاع.. الرابض»...

لابد ليزيد أن يشجع جروه ويشد قلبه وأزره ويلقنه أنه كفوا لما أمر به؛ لأنه يحتاجه فيما يستقبل من الأيام، ومضطر لعرضه كسلطان متسلط صاحب سطوة وبطش ليخيف به ويرعب الناس..

(١) أنظر: مجمع البحرين للطريحي: مادة «حزم».

أيّ شجاعةٍ بدت من الدعيّ؟ في أيّ موقفٍ من مواقفه بين يدي
البطل الطالبيّ ثبت؟

أحين دخل النظّارة وهم ينادون: «جاء ابن عقيل»، فانسلّ عن
المنبر وترك جموع المحتشدين في المسجد يسمعون خطابه وانجحرفي
القصر وأوصد الأبواب؟!

أم حين تفرّق عسكره في الكوفة بعد أن نودي بالشعار، فبقي
يقرض ذيله ويتشبّث بالرجال حوله استيحاشاً؟!

أم حين انفضّ الجمع وولّوا الدبر ليلة أحاطوا بالقصر، فأبى أن يخرج
إلا أن تنزل شعل نيران المشاعل وتمسح ما تحت التختاج؟!

أم حين أراد أن يصليّ بالناس وقد أحاط به الحرس والشرطة
وجعل الحرس الخاصّ حوله وكلف أمير شرطته أن يبقى واقفاً مراقباً؟!

لم يظهر في المسجد للناس إلا بعد أن كان يطمئنّ من تأمين
الحماية الكافية، فيخرج والسيوف تلمع بين يديه وتحيطه من كلّ
حذب كالحلقة.. وهو مع ذلك يتلذّد يميناً وشمالاً؟!

لم يسجّل له أيّ مواجهةٍ مع البطل الطالبيّ قبل أن يقع في الأسر..
وبعد الأسر كان يرتجف رغم سطوة السلطان، ولم يمثل بين يدي سفير
الحسين عليه السلام إلا بعد أن توثق من وثاق الأسد الهصور وأثّه قد كُتِف،
ومع ذلك فقد أدخل إلى المجلس والجلّالوزة تحيط به.. خوفاً وفرقاً من

سطوة سليل إبراهيم الخليل!

لقد شهد التاريخ والنسب والحسب والسيرة الذاتية كل صور البطولة والشجاعة لمسلم بن عقيل عليه السلام، ولا زالت ذكريات بسالته وشجاعته وسطوته ترنّ في أسماع الزمن وتتجاوب بها جدران المسجد الأعظم وقصر الإمارة.. كما قد شهد التاريخ بجبن ابن الأمة الفاجرة رغم بطشه إذا كان معه أحد، وقد أتينا على تفصيل ذلك في دراساتٍ سابقة.

الوصف الرابع: رابط الجأش

وصفه بأنه رابط الجأش، والجأش: القلب، والنفس، والجنان. يقال: فلان رابط الجأش: أي ثابت القلب، لا يرتاع ولا ينزعج للعظام والشّدائد^(١). والقلب وهو روعة إذا اضطرب عند الفزع، يقال: فلان رابط الجأش: أي ربط نفسه عن الفرار لشجاعته^(٢).

والكلام هنا تماماً كالكلام في وصفه بالشجاعة، وأيّ قلب كان لابن زياد وأيّ ثبات ورباطة جأش وهو يتفرقع كالشعيرة على حديدة محماة، ولا يهدأ له روع مع كلّ ما يحيط به من جند وشرطة وغوغاء؟!

(١) أنظر: النهاية في غريب الحديث: مادة «جاش».

(٢) أنظر: مجمع البحرين للطريحي: مادة «جيش»، ولسان العرب: مادة «جاش».

وقد سلبه المولى مسلم بن عقيل قراره وأفرغ قلبه وجعله خاوياً مضطرباً، وهو وحده لا ناصر له ولا معين!

لقد كانت صورة المولى مسلم بن عقيل وشجاعته وصولته تجيش في أعماق ابن زياد الرعب والخوف، فكان يجيش لها الذئاب التي تحوطه لتمزق أوصاله، أما هو نفسه فقد التصق بجدران القصر العالي الأسوار المنيع المحصن بالأبراج كأنه القلعة المنيعة.. وقد ملأ الكوفة خيلاً ورجالاً، وحشد الغوغاء وشيوخ العشائر والعرفاء، والمولى الغريب مسلم عليه السلام وحده يدير الميدان كما يحلول سيفه، ويستحث ملك الموت ومالك خازن النيران ويوجههما حيث يشاء!

أجل، لابن زياد قدم راسخ وجأش رابط في الإقدام على حرمان الله وارتكاب كل ما حرّمه الله، إرضاءً لعبدة الشيطان واتباعاً لمردة عفاريت السقيفة والمجرمين بحق البشرية طول الزمان.

وهكذا قس بقية ما وصف به القرد المجذور جروه المسعور في باقي

الكتاب..

المقطع الثاني: ذكر الرسولين ومدحهما

أفادت جملة النصوص الواردة فيما ذكره القرد المجذور يزيد حول الرسولين ورأيه فيهما عدّة نقاط:

النقطة الأولى: دعوتهما من قبل يزيد

المفروض أنهما رسولان لقرد هند ويحملان معهما كنزاً ثميناً وبشرى لابن آكلة الأكباد، فلا بدّ أن يستقبلهما ويستلم منهما الكتاب والرؤوس.

بيد إنّه عبّر عن ذلك بالدعوة، أو إنّه خصّهما بدعوة وأقام لهما مأدبة وخلّى بهما لتكون لهما ميزة وزلفة خاصّة، ويُسعرهما وغيرهما أنهما مقربان، كما تفيد لفظ «وناجيتهما»، والإقبال عليهما بالسؤال منهما والاهتمام بشأنيهما.

النقطة الثانية: شرح ما ذكره ابن زياد

إنّهما شرحا له ما ذكره ابن زياد وفرشاه له وأطالا فيما اختصره الكتاب، وقد شهد يزيد أنهما تحدّثا تماماً كما ذكر ابن زياد، فهما رسولان من عنده ومكلفان من قبله أن يرسمان للقرد المجذور الصورة التي يريدّها هو وفق مشتهيّاته، فهما لم يحدّثاه بما جرى كما جرى وإنّما كما أراد ابن زياد أن يخبره ويرسمه. وإذا كان سيّدتهما يكذب في كتابه

كذباً مفترعاً ويسجّله، فكيف بهما وهما موصيان!

النقطة الثالثة: تأكيد يزيد على نذاتهما

لقد شهد ابن زياد لهذين العلجين بالنصيحة والإخلاص والرسوخ في مذهبهما، فلمّا خالطا القرد المخمور واستروح منهما قيأه شهد لهما بجميع ما شهد لهما به جروه، وفي هذا كفاية لمعرفة لهما والاطلاع على مدى انصهارهما في الولاء لأولاد البغايا.

النقطة الرابعة: الجائزة والوصيّة بهما

أمريزيد لكل واحدٍ منهما بعشرة آلاف، كما في نصّ ابن أعثم والخوارزمي، واستوصى بهما ابن زياد! فأَيُّ بشرى أدخلها على قلب هذا القرد المنحط، وأَيُّ شيءٍ وجد فيهما وعرفه في خلاهما وخصالهما وخلوصهما ونصيحتهما، بحيث نالا عنده الخطوة وتقرّبا إليه بهذه الخطوة؟

المقطع الثالث: إصدار الأوامر

أشار القرد الأبقع في ذيل كتابه إلى خبر مهمّ بلغه، وهو توجّه سيّد شباب أهل الجنّة إلى العراق! والحال أنّ سيّد الشهداء عليه السلام توجّه إلى العراق في الثامن من ذي الحجة، وهو يوم النداء بالشعار، فكان خروجه من مكّة بعد أن استتبّ الوضع وأعلنت الكوفة إذعانها وخنوعها

وخضوعها الكامل للسلطة، وقد استبق الأحداث باتخاذ كل التدابير لملاحقة سيّد الشهداء ومحاصرته واستئصال آل محمّد وذريّة الطاهرة البتول فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو اليوم الذي كان يسعى إليه الثائرون لقتلى بدر وأحد والأحزاب ويتمنّاه جردان السقيفة ورؤوسها ويخطّط له ذراري القروذ والوزغ.. ليتسنى لهم ترويح جمة الانتقام التي لا تخمد في قلوبهم الوغرة على النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي عليه السلام..

فقد حاصره الرجس النجس في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ومسقط رأسه حتّى خرج منها تحت جُنب الليل البهيم، وأمر أن تؤخذ منه البيعة وإلّا فهو ينتظر على عجل رأسه مع جواب الكتاب.. ثمّ حاصره في مكّة حرم الله الآمن، ودسّ شياطينه ليقتل ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة.. فخرج الإمام الغريب المظلوم مشرّداً مطارداً، متوجّهاً إلى الأرض الموعودة ميّماً كربلاء، وإن كانت وجهته المعلنة الكوفة التي وعدته النصرة والوفاء.. بيد أنّه سمع في الطريق - بغضّ النظر عن علم الإمامة - نبأ شهادة مسلم عليه السلام ومَن معه، وارتداد الناس هناك وفقدان الناصر، وأن ليس له فيها سيف ولا كسر سيف، وأنّ الصحراء قد نظمت خيلاً ورجالاً، وأُطبق على الكوفة ومداخلها ومخارجها إطباقاً لا يسمح أن يتسلّل إليها أحدٌ إلّا إذا فُتّش، ومع ذلك استمرّ في المسير..

* * * * *

قد أصدر ابن آكلة الأكباد حزمةً من الأوامر لجروحه المتوحّش في
ذيل الكتاب تخصّ مستقبل الأحداث المترقّبة القريبة:

الأمر الأول: وضع المناظر والمسالح، ووضع الإرصّاد على الطرق.

الأمر الثاني: إذكاء العيون.

الأمر الثالث: الاحتراس كلّ الاحتراس.

الأمر الرابع: الحبس على الظنّة.

الأمر الخامس: الأخذ بالتهمة والقتل على التهمة حتّى يكفي أمر سيّد

الشهداء عليه السلام.

الأمر السادس: أن لا يقاتل من لا يقاتله.

الأمر السابع: أن يكتب إليه في كلّ يوم بما يحدث من خبر ويتجدّد

من خير أو شرّ. ولا ندري ما إذا كان البريد يصله كلّ يوم أو خلال أيام

قليلة جدّاً بحيث يصدق عليه أنّه يكون مطلعاً على كلّ ما يحدث

ويتجدّد..

هذه الأوامر الصارمة تكشف عن أجواء الرعب التي خيّمّت على

المنطقة الممتدّة في الصحراء التي يتحرّك فيها الركب الحسينيّ الفاتح،

وتنبؤ عن الارتجاج والزلازل الهائل الذي ضرب الكوفة وضواحيها

ومخارجها ومواجهها، فالعيون حادّة محدقة تحصي الأنفاس في جميع

الأرجاء، وتمتدّ إلى أقصى الخصوصيات، وتخترق حريم العشائر والقبائل والدور والبيوت والقوافل، والحركة مرصودة ولو كانت ديبياً في رمال المفاوز والصحاري والقفار، والمسالح والمناظر والمراصد مزروعة في كلّ اتجاه، والربايا تجعل الطرق تحت الإشراف المباشر لملاحقات العساكر.. العساكر التي كانت تجوب الصحراء تبحث عن الصيد السماوي الأعظم، المتعطّشة للولوغ في الدماء الزاكية، المتألّبة على انتهاك حرم الله وحرم رسوله.. وقد أعدّت مخالبها وأنيابها لتقطيع أوصال العترة الطاهرة، واشتدّ ولعها وتجيّش توخّشها لاستخراج العلقه من جوف سيّد الشهداء عليه السلام..

وقد أطلقت الوحوش الكاسرة على كلّ ما هبّ ودبّ في الكوفة، لتكون مجرّد التهمة كافية لاستباحة الحريم، والظنّة موجبة لسفك الدم.. لقد التهمت شوارع الكوفة وأزقتها، وانتشرت النار إلى أطرافها وأكنافها والمنازل والطرق المؤدية إليها.. واستسلم الناس فيها للطاغية حينما استخفّهم فأطاعوه.. فازدحمت المناهج والسكك بالرجال، يتكالبون على التقرب إلى ابن الأمة الفاجرة، فارفع الضجيج وتعالى الصخب، وانبثت الضوضاء تلبّ الأجواء، وتداخلت أصوات قعقة السلاح وصهيل الخيل ودبك حوافرها وسنابكها وأزيز شحذ السيوف وبري الرماح وقدح النبال، وزعقات الرجال يخطون الأرض ويشيرون

رمال الفيافي والصحراء يستعدّون لارتكاب الجريمة العظمى..
 فأغضبت الله في قتله وأرضت بذلك شيطانها
 عشيةً أنهضها بغيها فجاءته تركب طغيانها
 بجمع من الأرض سدّ الفروج وغطى النجود وغيطانها (١)
 وأما أمره أن لا يقاتل من لا يقاتله - كما ورد في بعض المصادر،
 فلئلا يتورّط في حربٍ جانبيةٍ ويتشاغل بصراعاتٍ تفرّق عسكره وتبدّد
 قوته وتضعف جانبه في الحرب التي يسعى لها حفيد أبي سفيان، فلا
 يحقق له ما يروم من قتل سيّد الشهداء عليه السلام.

المقطع الرابع: تهديد ابن زياد

ذكر الشيخ ابن نما الكتاب محتويّاً على تهديدٍ غليظ، قال:
 «وقد ابْتُلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان
 وابتليت به من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما
 تعبد العبيد» (٢).

ربما كان هذا في ذيل تلك المقدّمة والأوامر الصادرة من ابن آكلة
 الأكباد، لينذره بماضيه ويحسسه بمزايا الوضع الذي هو يعيشه الآن،

(١) من قصيدة للسيد حيدر الحلي رحمته الله.

(٢) مشير الأحران لابن نما: ٤٠.

ويجعل له حافظاً إضافياً في قتاله مع سيّد الشهداء عليه السلام.. فالقضية لا تتوقّف بعدئذٍ عند أحقاد ابن زياد وحوافزه الخاصّة ومنطلقاته وعقائده الأصليّة.. وإنما تحوّلت إلى وجود أو عدم؛ أن يكون أو لا يكون.. سلطنة وتفرعن وإمارة وحظوة وعود خاصّ يتميز به من فروع الشجرة الملعونة وحشرمع قرودها المتدلّية من أغصانها في الجحيم، أو عبوديّة ورقيّة وطرد من حظيرة القروء!!

ومن هنا يمكن أن تلوح أحقاد يزيد واستعجاله في قتل سيّد الشهداء عليه السلام وتربّصه لهذا اليوم الثأر، وقوّة نهمه لشرب الدماء الزواكي والتشقي واستنهاض المشايخ الذين أطاح رؤوسهم أمير المؤمنين في بدر..

صلب الرؤوس في الشام

قال ابن أعثم:

«فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً إلى يزيد بن معاوية، قرأ الكتاب، وأمر بالرأسين فنُصبا على باب مدينة دمشق» (١).

وقال ابن شهرآشوب:

«فنصب الرأسين في دربٍ من دمشق» (٢).

وقال ابن نما:

«فلما بلغه الكتاب مع الرأسين فرح فرحاً شديداً، وأمر أن

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠٨، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢١٥. وانظر

أيضاً: المحبر لابن حبيب: ٤٩٠، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ٢٠٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣٢١.

يُصَلِّبَا عَلَى بَاب دِمَشْق» (١).

لقد فرح الطاغية المخمور والقرد المجدور، وأمر بنصب الرأسين المقدسين على باب دمشق، كما نصب رأس سيّد الشهداء عليه السلام وأصحابه الأبرار الأوفياء، وما أشوق مسلم بن عقيل لرؤية وجه الحسين! وقد التقيا..

«فعن بعض المقاتل أنّ رأس مسلم كان معلّقاً على باب دمشق إلى ورود الرؤوس وأهل البيت إلى الشام، فلمّا وصلوا في الباب انحنى رأس الحسين عليه السلام، وكذلك رأس مسلم انحنى، وتعانقا، وجرت الدموع على خديهما».. (٢).

لفتة

إنّ بقاء الرؤوس المقدسة كلّ هذه المُدَد الطويلة حيّة كأنّها بعد لم تُفصل عن أبدانها حتّى يميّزها الناظر فيعرف الرأس وينسبه إلى صاحبه، لمن المعاجز التي لا يُلْتَفَت إليها غالباً.. الرأس محزوز، قطع مفصول عن البدن، معرّض للهواء والشمس وعوامل التأثير الأخرى التي تؤثر في البشرة الحيّة التي يسري فيها الدم وهي لا تزال على حالها..

(١) مثير الأحزان للجواهري: ٢٨.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للشيخ محمّد رضا الطوسي: ٢٥٠.

إنّما لمن كرامة الله ومعاجز الأولياء المقربين.

بيد أنّنا نقرأ الخبر غالباً ونمرّ عليه مروراً سريعاً، كما يذكره المؤرّخ ويمرّ بسرعة على عاداته في هذه المواضع.. وربما علّل ذلك بتعليلٍ من عند نفسه، فيغفل القارئ عن النظر في غير ما يعلّله المؤرّخ باعتباره قد وقرّ له سابقة يقرأ الخبر من خلالها.. كما فعل الطبري وابن حجر حينما روىا جناية خالد بن الوليد مع رأس الشهيد مالك بن نويرة.

قال ابن حجر:

«إنّ مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلما قُتل أمر خالد برأسه فنصب أثفية لقدر، فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه» (١).

وفي لفظ الطبري:

«فإنّ القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره، وقي الشعر البشرة حرّها أن يبلغ منه ذلك» (٢).

فجاء من روى عنه ونقله مع التعليل البارد، ولم يسأل نفسه أن لو كان الشعر جبلاً لا حترق بأول شرارة نار تصل إليه في لحظات، فكيف بشعر رأس واحد؟! فهو مهما كان كثيراً وكثيفاً فإنّه لا يبقى هذه المدّة

(١) الإصابة لابن حجر: ٥ / ٥٦١.

(٢) تاريخ الطبري: ٣ / ٢٧٩.

بتاتاً في الحالة العادية..

لِمَ لا يقال: إنها كرامة من الله لهذا الرجل المطيع لله في وليه
والمقتني أثر وصيه، وإعلاءً لشأنه وتنويهاً بحفظ الله له من شماتة
الأعداء وتشقيهم، ودحضاً للقوم وكسراً لحجتهم التافهة!!؟

وكذا هورأس مولانا المظلوم ورؤوس الأطياب الأطهار، وقد نقلوا
رأس المولى الغريب عليه السلام من الكوفة إلى الشام ونُصب هناك وهو لا زال
مسلماً عليه السلام، يراه الناس فيعرفونه بوجهه الوضّاء المضرّج بالدماء حياً
مشرقاً يشعّ على الكون بأنواره..

موادّ البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحثٍ احتوى على نصوصٍ تكرّر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظاتٍ شتّى متعدّدة. وثمّة نصوص أخرى استفدنا منها مرّةً واحدة بحكم الحاجة إليها. وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبتته، هذا من جهة. ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من مواضع البحث أن نُرجع إلى المصدر، فإنّه سيجدّه هنا، إن شاء الله تعالى.

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠):

«ومسلم بن عقيل، وهو الذي بعثه الحسين بن عليّ بن أبي

طالب عليه السلام من مكة يبايع له الناس، فنزل بالكوفة على هاني
ابن عروة المرادي، فأخذ عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل
وهاني بن عروة فقتلتهما جميعاً وصلبهما، فلذلك قول الشاعر:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل
تري جسداً قد غيّر الموت لونه
ونضح دم قد سأل كل مسيل» (١)

ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد، تاريخ الاسلام للذهبي:

«وجاء الليل، فهرب مسلم حتى دخل على امرأة من كندة
يقال لها: طوعة، فاستجار بها، وعلم بذلك محمد بن الأشعث
ابن قيس، فأخبره عبيد الله بن زياد، فبعث إلى مسلم
فجيء به، فأثبه وبكته وأمر بقتله.
فقال: دعني أوصي. قال: نعم.
فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: إن لي إليك
حاجة، وبينك وبينك رحم.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤ / ٤٢.

فقال عبيد الله: أنظر في حاجة ابن عمك. فقام إليه فقال: يا هذا، إنه ليس هاهنا رجلٌ من قريش غيرك، وهذا الحسين بن عليّ قد أظلك، فأرسل إليه رسولاً فلينصرف، فإنّ القوم قد غرّوه وخدعوه وكذبوه، وأنه إن قُتل لم يكن لبني هاشم بعده نظام، وعليّ دينٌ أخذته منذ قدمت الكوفة فاقضه عني، واطلب جثتي من ابن زياد فوارها.

فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ فأخبره بما قال، فقال: قل له: أمّا مالك فهو لك لا نمنعك منه، وأمّا حسينٌ فإن تركنا لم نرده، وأمّا جثته فإذا قتلناه لم نبال ما صنع به. ثم أمر به فقتل، فقال عبد الله بن الزبير الأسديّ في ذلك:

إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقيل

ترى جسداً قد غير الموت لونه

ونضح دمٌ قد سال كل مسيل

أصابهما أمر الإمام فأصبحا

أحاديثٌ من يهوى بكل سبيل

ترى بطلاً قد هشم السيف رأسه

وأخريهوى من طمار قتيل

أيركب أسماء الهماليج آمناً

وقد طلبته مذحج بقتيل

فإن أنتم لم تثاروا بأخيكم

فكونوا بغايا أرضيت بقليل

يعني بأسماء ابن خازجة الفزاري، كان عبيد الله بن زياد بعثه وعمرو بن الحجاج الزبيدي إلى هاني بن عروة، فأعطياه العهود والمواثيق، فأقبل معهما حتى دخل على عبيد الله بن زياد فقتله.

قال: وقضى عمر بن سعد دين مسلم بن عقيل، وأخذ جثته فكفنه ودفنه، وأرسل رجلاً إلى الحسين فحمله على ناقه وأعطاه نفقة وأمره أن يبلغه ما قال مسلم بن عقيل، فلقيه على أربع مراحل فأخبره، وبعث عبيد الله برأس مسلم بن عقيل وهاني بن عروة إلى يزيد بن معاوية.

وبلغ الحسين قتل مسلم وهاني، فقال له ابنه علي الأكبر: يا أبه، ارجع، فإنهم أهل (كدر) وغدر وقلة وفائم، ولا يفون لك بشيء. فقالت بنو عقيل لحسين: ليس هذا بحين رجوع. وحرّضوه على المضي.

فقال حسين لأصحابه: قد ترون ما يأتينا، وما أرى القوم إلا

سيخذلوننا، فمن أحبّ أن يرجع فليرجع. فأنصرف عنه [الذين] صاروا إليه في طريقه، وبقي في أصحابه الذين خرجوا معه من مكّة ونفير قليل [من] من صحبه في الطريق» (١).

المحبّر لمحمّد بن حبيب (ت ٢٤٥):

«وصلب عبيد الله ابن مرجانة هاني بن عروة المراديّ بسوق الكوفة، ومسلم بن عقيل أيضاً»... (٢).

الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦):

«قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر. فلما أسربعث الرجال، فقال: اسقوني ماء. قال: ومعه رجلٌ من بني أبي معيط ورجلٌ من بني سليم يقال له: شهر بن حوشب، فقال له شهر بن حوشب: لا أسقيك إلّا من البئر. فقال المعيطي: والله لا نسقيه إلّا من الفرات. قال: فأمر غلاماً له، فأتاه بإبريق من ماء وقدح قوارير

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي:

ومنديل.

قال: فسقاه، فتمضمض مسلم فخرج الدم، فما زال يمسح الدم ولا يسيغ شيئاً منه حتى قال: أخروه عني.

قال: فلما أصبح دعا به عبيد الله بن زياد وهو قصير، فقدمه لتضرب عنقه، فقال: دعني حتى أوصي. فقال: أوص.

فنظر مسلم في وجوه الناس، فقال لعمر بن سعيد: ما أرى هاهنا من قريش غيرك، فادنُ مني حتى أكلّمك. فدنا منه، فقال له: هل لك أن تكون سيّد قريش ما كانت قريش؟ إنّ الحسينَ ومَن معه - وهم تسعون - بين رجلٍ وامرأة في الطريق، فارددهم واكتب إليهم بما أصابني.

قال: فضرب عنقه، وألقاه عمرو لعبيد الله وقال: أتدري ما قال؟ فقال عبيد الله: أكنتم على ابن عمك.

فقال عمرو: هو أعظم من ذلك. فقال ابن زياد: فأَيُّ شيء هو؟

قال: أخبرني أنّ الحسينَ ومَن معه قد أقبل، وهم تسعون إنساناً بين رجلٍ وامرأة.

فقال: أما والله إذ دلت عليه لا يقاتلهم أحدٌ غيرك» (١).

أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩):

«(وأخذ مسلم) فأتى به ابن زياد، وقد آمنه (محمد) ابن الأشعث فلم ينفذ أمانه، فلما وقف مسلم بين يديه نظر إلى جلسائه فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إن بيني وبينك قرابة أنت تعلمها، فقم معي حتى أوصي إليك. فامتنع!! فقال ابن زياد: قم إلى ابن عمك.

فقام (إليه) فقال (له مسلم): إن علي بالكوفة (دينًا) سبعمائة درهم (أخذته) مذكمتها فاقضها عني، وانظر (إذا ما قُتلت) جثتي فاطلبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يرده.

فأخبر عمر بن سعد ابن زياد بما قال له! فقال: أما مالك فهو لك تصنع فيه ما شئت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وأما جثته فإننا لا نشفعك (فيها) لأنه قد جهد أن يهلكنا، ثم قال: وما نصنع بجثته بعد قتلنا إياه.

وقال الهيثم بن عدي: حدّثني ابن عياش، عن مجالد، عن

الشعبي قال: أُدخل مسلم بن عقيل - رحمه الله تعالى - على ابن زياد وقد ضُرب على فيه، فقال: يا ابن عقيل، أتيت لتشتيت الكلمة؟ فقال: ما لذلك أتيت، ولكن أهل المصركتبوا أن أباك سفك دماءهم وانتهك أعراضهم، فجئنا لأنمر بالمعروف ونهى عن المنكر. فقال: وما أنت وذاك؟ وجرى بينهما كلام، فقتله.

وقال هشام ابن الكلبي: قال أبو مخنف في إسناده: قال ابن زياد لابن عقيل: أردت أن تشتت أمر الناس بعد اتفاقه، وتفرق ألفتهم بعد اجتماعهما (كذا). وجرى بينهما كلام حتى قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال له مسلم: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه من سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة.

ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه، فأتبعوا رأسه جسده.

فقال (مسلم): يا ابن الأشعث، فوالله لولا أمانك ما استسلمت.

فكان الذي تولى ذلك منه بكير بن حمران الأحمري، أشرف به

على موضع الحدّائين، وهو يسبح ويدعو على من غره وخذله،
فضرب عنقه ثم أتبع رأسه جسده.

وطلب ابن الأشعث إلى ابن زياد في هائي بن عروة، فأبى أن
يشفعه، فأمر به فأخرج من محبسه إلى السوق وهو مكشوف
الرأس يقول: وا مذحجاه ولا مذحج (لي) اليوم!! فضرب عنقه
مولي لعبيد الله بن زياد تركي يقال له: رشيد. (و) هذا يوم
الخارز بالموصل قتله عبد الرحمان بن الحصين المرادي، وفي
يوم الخارز قتل (أيضاً) عبيد الله بن زياد.

وقال عبد الرحمان (في ذلك اليوم):
إني قتلْتُ راشد التركيا وليته أبيض مشرفياً

أرضي بذاك الله والنبيّا

وقال عبد الله بن الزبير (الأسدّي)، ويقال: (بل قاله:) الفرزدق
ابن غالب:

إن كنت لا تدرين بالموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشمَ السيفُ وجهه

وأخريهوي من طمار قتل

تري جسداً قد غير الموت لونه

ونضح دمٍ قد سال كل مسيل

أصاهما أمرُ الإله فأصبحا
 أحاديث يهوي بكلّ سبيل
 وقال الأخطل بن زياد:
 ولم يكُ عن يوم ابن عروة غائباً
 كما لم يغب عن ليلة ابن عقيل
 أخو الحرب صرّاهَا فليس بناكل
 جبار ولا وجب الفؤاد ثقيل

وقال أبو الأسود الدؤلي:
 أقول وذاك من جزع ووجد
 أزال الله ملك بني زياد
 هم جدّوا الأنوف وكنّ شّما
 بقتلهم الكريم أخا مراد
 قتيل السوق يالك من قتيل
 به نضح من احمرّ كالجساد
 وأهل مكارم بعدوا وكانوا
 ذوي كرم وروساً في البلاد

قالوا: وخرج عمارة بن صلحب الأزديّ (كذا)، وكان ممّن أراد
 نصرة مسلم، فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به، فأمر به
 فضربت عنقه في الأزد، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانئ

(بن عروة) إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانئ بن أبي حية الوادعي من همدان.

ووجه محمد بن الأشعث إلى الحسين من الحيرة بخبر ابن عقيل وسأله الانصراف، فلم يلتفت إلى قوله وأبى إلا القدوم إلى العراق، وقد كان مسلم كتب إليه يُعلمه كثرة من بايعه من الناس وإظهار أهل الكوفة السرور بمقدمه ويسأله تعجيل القدوم.

قالوا: ولما كتب ابن زياد إلى يزيد بقتل مسلم وبعثته إليه برأسه ورأس هانئ بن عروة ورأس ابن صلح وما فعل بهم، كتب إليه (يزيد): إنك لم تعد ان كنت كما أحب، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع وحقت ظني بك، وقد بلغني أنّ حسيناً توجه إلى العراق، فضع المناظر والمسالخ وأذك العيون واحترس كلّ الاحتراس، فاحبس على الظنّه وخذ بالتهمة، غير أن لا تقاتل إلا من قاتلك، واكتب إليّ في كلّ يوم بما يحدث من خير إن شاء الله. وقال عبيدة بن عمرو البديّ (في غدر) محمد بن الأشعث:

وقتل وافتد آل أحمد غيلة وسلبت أسيافاً له ودروعا (١)

* * * * *

وكان الحسين قدّم مسلم بن عقيل بين يديه، فنزل على هانيّ ابن عروة المراديّ، وجعل يبايع أهل الكوفة، فبعث ابن زياد إلى هانيّ فقال: اتّني بمسلم. فقال: ما لي به علم. قال: فاحلف بالطلاق والعتاق. قال: إنكم يا بني زياد لا ترضون إلاّ بهذه الأيمان الخبيثة!! فأمر مكانه فضرب رأسه ثمّ رمى به إلى الناس.

وبعث إلى مسلم بن عقيل فجيء به، فأمر به فدفع بين شرفتين من شرف القصر، فقال له: ناد: أنا مسلم بن عقيل أمير العاصين، فنادى!!! ثمّ ضرب رأسه فسقط!! وأقبل الحسين حتّى نزل نهر كربلا، وقد بلغه خبر الكوفة. وقال القائل (كذا):

(و) إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هانيّ في السوق وابن عقيل
تري رجلاً قد جدّع السيف أنفه

ونضح دمٍ قد سال كلّ مسيل
أصابهما أمر الإله فأصبحا

أحاديث من يهوي بكلّ سبيل

قال خلف: وسمعت من يزيد في هذا الشعر:
أيركب أسماء الهمالج آمنا

وقد طلبته مذحج بقتيل (١)

* * * * *

حدّثني حفص بن عمر، عن الهيثم بن عديّ، عن عوانة قال:
جرى بين ابن عقيل وابن زياد كلام، فقال له (ابن زياد): ايه
يا ابن حلية. فقال له (ابن) عقيل: حلية خير من سميّة
وأعفّ (٢).

* * * * *

ولجأ (مسلم) إلى دارٍ من دور كندة، فجاء رجلٌ إلى محمّد بن
الأشعث وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك، فقال (ابن
الأشعث) لابن زياد: إنّه قال لي: إنّ مسلماً في دار فلان.
فقال: اتّوني به.

فدخل (ابن الأشعث) عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً فهي
تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير. فقال: عفواً.
قالوا: ما نملك ذلك. فانطلق معهم، فلمّا رآه أمر به فكُتِفَ،

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨٦.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٨٧.

وقال: أجبني يا ابن حلية لتنزع سلطاني؟ وأمر به فضربت عنقه.

قال: وحلية أم مسلم بن عقيل، وهي أم ولد» (١).

الأخبار الطّوال للدينوري (ت ٢٨٢):

«فأقبلوا حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم، فرمى، فكسرفوه، وأخذ، فأتي ببغلة فركبها، وصاروا به إلى ابن زياد، فلمّا أدخل عليه وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له: سلّم على الأمير. قال: إن كان الأمير يريد قتلي فما أنتفع بسلام عليه، وإن كان لم يرد فسيكثر عليه سلامي. قال ابن زياد: كائنك ترجو البقاء. فقال له مسلم: فإن كنت مزمعاً على قتلي، فدعني أوص إلى بعض من هاهنا من قومي. قال له: أوص بما شئت.

فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: أخلّ معي في طرف هذا البيت حتّى أوصي إليك، فليس في القوم أقرب إليّ ولا أولى بي منك. فتنحّى معه ناحية، فقال له: أتعقل وصيتي؟ قال: نعم. قال مسلم: إن عليّ هاهنا ديناً مقدار ألف درهم

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٢٤.

فاقض عني، وإذا أنا قُتِلْتُ فاستوهب من ابن زياد جثتي لئلا
يمثل بها، وابعث إلى الحسين بن علي رسولا قاصداً من
قبلك، يُعلمه حالي وما صرْتُ إليه من غدر هؤلاء الذين
يزعمون أنهم شيعة، وأخبره بما كان من نكثهم بعد أن بايعني
منهم ثمانية عشر ألف رجل، لينصرف إلى حرم الله فيقيم به ولا
يغترب بأهل الكوفة. وقد كان مسلم كتب إلى الحسين أن يقدم
ولا يلبث، فقال له عمر بن سعد: لك على ذلك كله، وأنا به
زعيم.

فانصرف إلى ابن زياد، فأخبره بكل ما أوصى به إليه مسلم،
فقال له ابن زياد: قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك، وقد
قيل: "إنه لا يخونك إلا الأمين، وربما ائتمنك الخائن".

وأمر ابن زياد بمسلم فرقى به إلى ظهر القصر، فأشرف به على
الناس وهم على باب القصر ممّا يلي الرحبة، حتّى إذا رآوه
ضربت عنقه هناك، فسقط رأسه إلى الرحبة، ثمّ أتبع الرأس
بالجسد، وكان الذي تولّى ضرب عنقه أحمر بن بكير. وفي ذلك
يقول عبد الرحمان بن الزبير الأسدي:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقال

إلى بطلٍ قد هشم السيف أنفه
 وآخريهوي من طمار قتيْل
 أصابهما ريب الزمان فأصبحا
 أحاديث من يسعى بكلّ سبيل
 ترى جسداً قد غيّر الموت لونه
 ونضح دمٍ قد سال كلّ مسيل
 ثمّ بعث عبيد الله برؤوسهما إلى يزيد، وكتب إليه بالنبأ فيهما،
 فكتب إليه يزيد: لم نعد الظنّ بك، وقد فعلتَ فعل الحازم
 الجليد، وقد سألتُ رسوليك عن الأمر ففرشاه لي، وهما كما
 ذكرتَ في النصّح وفضل الرأي، فاستوص بهما. وقد بلغني أنّ
 الحسين بن علي قد فصل من مكّة متوجّهاً إلى ما قبلك،
 فأدرك العيون عليه، وضع الأرصّاد على الطرق، وقم أفضل
 القيام، غير أنّا تقاتل إلّا من قاتلك، واكتب إليّ بالخبر في كلّ
 يوم.

وكان أنفذ الرّاسين إليه مع هانئ بن أبي حيّة الهمدانيّ، والزبير
 ابن الأروج التميميّ (١).

* * * * *

قالوا: ولما رحل الحسين من زرود، تلقاه رجلٌ من بني أسد، فسأله عن الخبر، فقال: لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم ابن عقيـل وهائـي بن عروـة، ورأيت الصبيان يجرون بأرجلهمـا. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله نحتسب أنفسنا. فقال له: أنشدك الله يا ابن رسول الله في نفسك وأنفس أهل بيتك هؤلاء الذين نراهم معك، انصرف إلى موضعك ودع المسير إلى الكوفة، فوالله ما لك بها ناصر. فقال بنو عقيـل - وكانوا معه - ما لنا في العيش بعد أخينا مسلم حاجة، ولسنا براجعين حتى نموت. فقال الحسين: "فما خير في العيش بعد هؤلاء". وسار، فلما وافى زبالـة وافاه بها رسول محمد بن الأشعث وعمر بن سعد بما كان سأله مسلم أن يكتب به إليه من أمره وخذلان أهل الكوفة إتيـاه بعد أن بايعوه، وقد كان مسلم سأل محمد بن الأشعث ذلك، فلما قرأ الكتاب استيقن بصحة الخبر، وأفضعه مسلم بن عقيـل وهائـي بن عروـة، ثم أخبره الرسول بقتل قيس ابن مسهر رسوله الذي وجهه من بطن الرمة، وقد كان صحبه قوّم من منازل الطريق، فلما سمعوا خبر مسلم وقد كانوا ظنّوا

أنه يقدم على أنصار وعضد تفرّقوا عنه، ولم يبق معه إلا خاصّته» (١).

تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢):

«فأخذه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق، وقتل هائئ ابن عروة لنزول مسلم منزله وإعانتة إيّاه» (٢).

تاريخ الطبري (ت ٣١٠):

«وأقبل محمّد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر، فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله خبر ابن عقيل وضرب بكير إيّاه، فقال: بُعداً له. فأخبره محمّد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إيّاه، فقال عبيد الله: ما أنت والأمان؟ كأنّا أرسلناك تؤمنه! إنّما أرسلناك تأتينا به. فسكت.

وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب. (قال أبو مخنف): فحدّثني قدامة بن سعد أنّ مسلم بن عقيل

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

حين انتهى إلى باب القصر فإذا قلّة باردة موضوعة على الباب، فقال ابن عقيل: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم ابن عمرو: أتراها ما أبردها، لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنّم. قال له ابن عقيل: ويحك! من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحق إذا أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت، أنا مسلم ابن عمرو الباهلي. فقال ابن عقيل: لأُمك الثكل، ما أجفاك وما أفظك وأقسى قلبك وأغلظك، أنت - يا ابن باهلة - أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم مني. ثمّ جلس متسانداً إلى حائط.

(قال أبو مخنف): فحدّثني قدامة بن سعد أن عمرو بن حريث بعث غلاماً له يدعى: سليمان، فجاءه بماءٍ في قلّة فسقاه.

(قال أبو مخنف): وحدّثني سعيد بن مدرك بن عمارة أن عمارة بن عقبة بعث غلاماً له يدعى: قيساً، فجاءه بقلّة عليها منديل ومعه قدح، فصبّ فيه ماء ثمّ سقاه، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً، فلمّا ملأ القدح المرّة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيّته فيه، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وأدخل مسلم على ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسى: ألا تسلم على الأمير؟ فقال له: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فلعمري ليكثرن سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمري لتقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوص إلى بعض قومي. فنظر إلى جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نبح حاجتي، وهو سرّ فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك. فقام معه، فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد، فقال له: إن عليّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمْتُ الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى حسين من يردّه، فإنّي قد كتبتُ إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلاّ مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ إنّه ذكر كذا وكذا. قال له ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما حسينُ فإنّه إن لم يردنا لم نرده وإن أردنا لم نكف عنه، وأما جثته فإنّا لن نشفعك فيها، إنّه ليس بأهلٍ منّا لذلك، قد جاهدنا

وخالَفنا وجهد على هلاكنا. وزعموا أَنَّهُ قال: أَمَّا جِئْتَهُ فَإِنَّا لَا نَبالي إِذا قتلناه ما صنع بها. ثُمَّ إِنَّ ابن زياد قال: إِيهِ يا ابن عقيل، أَتَيْتَ الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لَتَشْتَتَهُم وتَفَرِّقَ كلمتهم وتحمل بعضهم على بعض؟ قال: كَلَّا، لَسْتُ أَتَيْتَ، وَلَكِنَّ أَهلَ المصر زعموا أَنَّ أَباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فَأَتَيْنَاهُمْ لِنَأْمُرَ بِالْعَدْلِ وَنَدْعُو إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ. قال: وما أَنتَ وَذاك يا فاسق؟ أَوْ لَمْ نَكُنْ نَعْمَلْ بِذاك فِيهِمْ إِذْ أَنتَ بِالْمَدِينَةِ تَشْرِبُ الْخَمْرَ؟ قال: أَنَا أَشْرَبُ الْخَمْرَ؟! وَاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَنَّكَ غَيْرُ صَادِقٍ وَأَنَّكَ قُلْتَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَنِّي لَسْتُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَإِنْ أَحَقَّ بِشْرَبِ الْخَمْرِ مِنِّي وَأَوَّلَى بِهَا مَنْ يَلْغُ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَلِغَاً، فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا وَيَقْتُلُ النَّفْسَ بِغَيْرِ النَّفْسِ وَيُسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ وَيَقْتُلُ عَلَى الْغَضَبِ وَالْعَدَاوَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَهُوَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ كَأَن لَّمْ يَصْنَعْ شَيْئاً. فَقَالَ لَهُ ابن زياد: يا فاسق، إِنَّ نَفْسَكَ تَمْنِيكَ مَا حَالُ اللَّهِ دُونَهُ وَلَمْ يَرْكُ أَهْلَهُ. قال: فَمَنْ أَهْلُهُ يا ابن زياد؟! قال: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، رَضِينَا بِاللَّهِ حُكْمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. قال: كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ لَكُمْ فِي الْأَمْرِ شَيْئاً. قال: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالظَّنِّ، وَلَكِنَّهُ

اليقين. قال: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. قال: أما إنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحقّ بها منك. وأقبل ابن سميّة يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه.

وزعم أهل العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء، فسقى بخزفة، ثم قال له: إنّه لم يمنعنا أن نسقيك فيها إلا كراهة أن تحرم بالشرب فيها ثمّ نقتلك، ولذلك سقيناك في هذا.

ثمّ قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثمّ أتبعوا جسده رأسه. فقال: يا ابن الأشعث، أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت، قم بسيفك دوني، فقد أخفرت ذمّتك. ثمّ قال: يا ابن زياد، أما والله لو كانت بيني وبينك قرابة ما قتلتي. ثمّ قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه؟ فدعي، فقال: اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد به وهو يكبر ويستغفرو ويصلي على ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وأذلّونا. وأشرف به على موضع الجزّارين اليوم، فضربت عنقه وأتبع

جسده رأسه (١).

(قال أبو مخنف): حدّثني الصقعب بن زهير، عن عوف بن أبي جحيفة قال: نزل الأحمري بكير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يكبر ويسبّح ويستغفر، فلما أدنيته لأقتله قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغرّونا وخذلونا وقتلونا. فقلت له: أدن مني، الحمد لله الذي أقادني منك. فضربته ضربة لم تُغن شيئاً، فقال: أما ترى في خدشٍ تخدشنيه وفاءً من دمك أيها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت؟ قال: ثمّ ضربته الثانية فقتلته (٢).

قال: وقام محمد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد، فكلمه في هاني بن عروة وقال: إنك قد عرفت منزلة هاني بن عروة في المصروبيته في العشيرة، وقد علم قومه أنني وصاحبي سقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته لي، فإنّي أكره عداوة قومه، هم

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٨٣.

أعزَّ أهل المصر وعدد أهل اليمن.

قال: فوعده أن يفعل، فلمَّا كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان بدا له فيه وأبى أن يفي له بما قال. قال: فأمر بهائي بن عروة حين قتل مسلم بن عقيل، فقال: أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقه (١).

* * * * *

فقال عبد الله بن الزبير الأسدي في قتلة مسلم بن عقيل وهائي بن عروة المرادي، ويقال: قاله الفرزدق:
 إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري
 إلى هائي في السوق وابن عقيل
 إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
 وآخرهوى من طمار قتيل
 أصابهما أمر الأمير فأصبحا
 أحاديث من يسرى بكل سبيل
 ترى جسداً قد غيّر الموت لونه
 ونضح دمٍ قد سال كل مسيل
 فتى هو أحي من فتاة حيّة
 وأقطع من ذي شفرتين صقيل

أيركب أسماء الهماليج آمنأً
وقد طلبته مذحجٌ بذحولٍ
تطيف حواليه مراد وكلّهم
على رقبة من سائل ومسولٍ
فإن أنتم لم تثاروا بأخيكم
فكونوا بغايا أرضيت بقليل (١)

* * * * *

(قال أبو مخنف): عن أبي جناب يحيى بن أبي حيّة الكلبي
قال: ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد لما قتل مسلماً وهائناً، بعث
برؤوسهما مع هاني بن أبي حيّة الوادعيّ والزبير بن الأرواح
التميميّ إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن
يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهاني، فكتب
إليه كتاباً أطال فيه، وكان أوّل من أطال في الكتب، فلمّا نظر
فيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه
الفضول؟ أكتب: أمّا بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين
بحقّه وكفاه مؤونة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنّ مسلم
ابن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المراديّ، وأني جعلتُ

عليهما العيون ودسستُ إليهما الرجال، وكدتُهما حتّى
استخرجتُهما وأمكن الله منهما، فقدّمتهما ف ضرب أعناقهما،
وقد بعثتُ إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حيّة الهمداني
والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة
والنصيحة، فليساألها أمير المؤمنين عمّا أحبّ من أمر، فإنّ
عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً، والسلام.

فكتب إليه يزيد: أمّا بعد، فإنّك لم تعد أن كنت كما أحبّ،
عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش،
فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت
رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما
كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً. وإنّه قد بلغني أنّ الحسين
ابن عليّ قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح،
واحترس على الظنّ وخذ على التهمة، غيرالّا تقتل إلّا من
قاتلك، واكتب إليّ في كلّ ما يحدث من الخبر، والسلام عليك
ورحمة الله (١).

فأعطاه عبد الرحمن الأمان، فأمكن من يده، فجاء به إلى
عبيد الله، فأمر به فأُصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه وألقي
جثته إلى الناس، وأمر بهائي فُسحب إلى الكناسة فُصَلب
هنالك.

وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقيل

أصابهما أمر الامام فأصبحا

أحاديث من يسعى بكل سبيل

أيركب أسماء الهماليج آمناً

وقد طلبته مذحجٌ بذحول (١)

* * * * *

فجاء رجلٌ إلى محمد بن الأشعث وهو جالسٌ إلى ابن زياد،
فسأره، فقال له: إنَّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما
قال لك؟ قال: قال: إنَّ مسلماً في دار فلان. قال ابن زياد
لرجلين: انطلقا فأتياي به. فدخلا عليه وهو عند امرأةٍ قد
أوقدت له النار فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير

يدعوك. فقال: اعقدوا لي عقداً. فقالوا: ما نملك ذاك. فانطلق معهما حتى أتاه، فأمر به فكُتِف، ثم قال: هيه هيه يا ابن خلية. قال الحسين في حديثه: يا ابن كذا، جئتَ لتنزع سلطانِي؟ ثم أمر به فُضِرَت عنقه» (١).

الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤):

«قال: ثم دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالة وقال: ويلك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمنٌ ودمك في عنقي. فقال له مسلم: أتظنّ يا ابن الأشعث أنّي أُعطي بيدي أبداً وأنا أقدر على القتال! لا والله لا كان ذلك أبداً. ثم حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه، ثم رجع موضعه فوقف وقال: اللهم إنّ العطش قد بلغ منّي. قال: فلم يجسر أحداً أن يسقيه الماء ولا قرب منه. فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إنّ هذا هو العار والفشل أن تجزعوا من رجلٍ واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملةً واحدة. قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصدته من أهل الكوفة رجلٌ يقال له بكير بن حمران الأحمري، فاختلفا بضربتين، فضربه بكير ضربةً على شفته

العليا، وضربه مسلم بن عقيل ضربةً فسقط إلى الأرض قتيلاً، قال: فطعن من ورائه طعنةً فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه.

وتقدم رجلٌ من بني سليمان يقال له: عبيد الله بن العباس، فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربةً من الماء! فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله لا تذوق الماء يا ابن عقيل أو تذوق الموت! فقال له مسلم بن عقيل: ويلك يا هذا! ما أجفاك وأفظك وأغلظك! أشهد عليك أنك إن كنت من قريش فإنتك مصلق، وإن كنت من غير قريش فإنتك مدع إلى غير أبيك، من أنت يا عدو الله؟ فقال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي! فقال له مسلم بن عقيل: أنت أولى بالخلود والحميم، إذ أثرت طاعة بني سفيان على طاعة الرسول محمد ﷺ.

ثم قال مسلم بن عقيل رحمه الله: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربةً من ماء! فأتاه غلامٌ لعمر بن حريث الباهلي بقلّة فيها ماء وقدح فيها، فناوله القلّة، فكلّمها أراد أن يشرب امتلاً القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في

القدح، فامتنع مسلم بن عقيل عليه السلام من شرب الماء. قال: وأُتي به حتى أُدخل على عبيد الله بن زياد ^(١).

* * * * *

ذكر دخول مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد وما كان من كلامه وكيف قُتل.

قال: فأدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد، فقال له الحرسي: سلّم على الأمير! فقال له مسلم: أسكت لا أمّ لك! مالك وللكلام؟ والله ليس هولي بأمر فأسلّم عليه! وأخرى فما ينفعني السلام عليه وهو يريد قتلي؟! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي. فقال له عبيد الله بن زياد: لا عليك، سلّمت أم لم تسلّم فإنّك مقتول. فقال مسلم بن عقيل: إن قتلتنى فقد قتل شرّ منك من كان خيراً مني. فقال له ابن زياد: يا شاقّ يا عاقّ! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألّقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان [معاوية] خليفةً بإجماع الأئمة، بل تغلب على وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة بالغصب، [و] كذلك ابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّك ألّقتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بني

(١) الفتوح لابن أعمش الكوفي: ٥ / ٥٤.

ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شربريته،
فوالله ما خالفْتُ ولا كفرْتُ ولا بدّلت! وإنما أنا في طاعة أمير
المؤمنين الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ،
ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد. فقال له ابن
زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة؟ فقال مسلم
ابن عقيل: أحقّ والله بشرب الخمر منّي من يقتل النفس
الحرام وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنّه لم يسمع شيئاً. فقال له
ابن زياد: يا فاسق! متتكَ نفسك أمراً أحالك الله دونه وجعله
لأهله. فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال:
أهله يزيد ومعاوية. فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفى
بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد - لعنه الله -: أتظنّ أنّ
لك من الأمر شيئاً؟ فقال مسلم بن عقيل: لا والله ما هو
الظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: قتلتني الله إن لم أقتلك!
فقال مسلم: أنّك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث
السرية، والله لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرتُ على
شربةٍ من ماءٍ لطال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن
كنتُ عزمّت على قتلي ولا بدّ لك من ذلك فأقم إليّ رجلاً من
قريش أوصي إليه بما أريد. فوثب إليه عمر بن سعد بن أبي
وقاص فقال: أوصِ إليّ بما تريد يا ابن عقيل! فقال: أوصيك

ونفسي بتقوى الله، فإنَّ التقوى فيها الدرك لكل خير، وقد علمت ما بيني وبينك من القرابة، ولي إليك حاجة وقد يجب عليك لقرايتي أن تقضي حاجتي. قال: فقال ابن زياد: لا يجب يا ابن عمر أن تقضي. حاجة ابن عمك وإن كان مسرفاً على نفسه، فإنه مقتولٌ لا محالة. فقال عمر بن سعد: قل ما أحببت يا ابن عقيل! فقال مسلم عليه السلام: حاجتي إليك أن تشتري فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم، فتبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استدنتها في مصركم، وأن تستوهب جثتي إذا قتلني هذا وتواريني في التراب، وأن تكتب إلى الحسين بن علي أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي. قال: فالتفت عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيها الأمير! إنه يقول كذا وكذا. فقال ابن زياد: أما ما ذكرت يا ابن عقيل من أمر دينك فأئماً هو مالك يقضى به دينك، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت، وأما جسدك إذا نحن قتلناك فالخيار في ذلك لنا، ولسنا نبالي ما صنع الله بجثتك، وأما الحسين فإن لم يردنا لم نرده وإن أردنا لم نكف عنه، ولكني أريد أن تخبرني يا ابن عقيل بماذا أتيت إلى هذا البلد؟ شئت أمرهم وفرقت كلمتهم ورميت بعضهم على بعض! فقال مسلم بن عقيل: لست لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من

غير رضى، وحملتوهم على غير ما أمركم الله به، وعلمتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم تزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإننا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى، وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غصباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله - تبارك وتعالى :- ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

قال: فجعل ابن زياد يشتم علياً والحسن والحسين - رضى الله عنهم -، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة منهم، فاقض ما أنت قاض، فنحن أهل بيت موكل بنا بالبلاء. فقال عبيد الله بن زياد: الحقوا به إلى أعلى القصر فاضربوا عنقه وألحقوا رأسه جسده. فقال مسلم رضي الله عنه: أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بيني وبينك رحم أو قرابة لما قتلتني، ولكنك ابن أبيك. قال: فأدخله ابن زياد القصر، ثم دعا رجلاً من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه على رأسه ضربة منكرة، فقال له: خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر،

واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك.

قال: فأصعد مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أعلى القصر، وهو في ذلك يستبج الله تعالى ويستغفره وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. فلم يزل كذلك حتى أتى به إلى أعلى القصر، وتقدّم ذلك الشامي فضرب عنقه عليه السلام. ثم نزل الشامي إلى عبيد الله بن زياد وهو مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير! إلاّ إنّه عرض لي عارضٌ فأنا له فزعٌ مرعوب. فقال: ما الذي عرض لك؟ قال: رأيتُ ساعة قتلته رجلاً حذاي أسود كثير السواد كرية المنظر وهو عاض على إصبعيه - أو قال: شفّتيه -، ففزعت منه فزعاً لم أفزع قطّ مثله. قال: فتبسّم [ابن] زياد وقال له: لعلك دهشت، وهذه عادةٌ لم تعتدها قبل ذلك (١).

* * * * *

قال: ثمّ أمر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل وهانئ بن عروة - رحمهما الله -، فضلّبا جميعاً منكّسين، وعزم أن يوجه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، فأنشأ رجلٌ من بني أسد يقول:

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ٥ / ٥٥.

إذا كنتِ لا تدريين ما الموت فانظري
إلى هائي في السوق وابن عقيلِ
إلى بطلٍ قد فلق السيفُ رأسه
وأخريهوى من جدار قتيلِ
أصابهما أمر الإله فأصبحا
أحاديث من يسعى بكل سبيلِ
ترى جسداً قد غيّر الموتُ لونه
ونضح دمٍ قد سال كل مسيلِ
فتى كان أحي من فتاة حيّةٍ
وأقطع من ذي شفرتين صقيلِ
فإن أنتم لم تثاروا بأخيكم
فكونوا بغايا أرضيت بقليلِ

ذكر كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية

قال: ثمّ كتب ابن زياد إلى يزيد بن معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين، من عبيد الله ابن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين - أيده الله - أنّ مسلم بن عقيل الشاق للعصا قدم إلى الكوفة ونزل في دار هائي بن عروة

المذحجي، وأني جعلتُ عليهما العيون حتى استخرجتهما، فأمكنني الله منهما بعد حربٍ ومناقشة، فقد مثَّهما فضرب أعناقهما، وقد بعثت برأسيهما مع هانئ بن [أبي] حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسا لهما أمير المؤمنين عمّا تحب، فإنَّهما ذو عقل وفهم وصدق. قال: فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً إلى يزيد ابن معاوية، قرأ الكتاب، وأمر بالرأسين فنُصبا على باب مدينة دمشق، ثم كتب إلى ابن زياد: أمّا بعد، فإنَّك لم تعد إذا كنت كما أحب، عملتَ عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابض، فقد كفيت ووقيت ظنِّي ورأيي فيك، وقد دعوتُ رسوليك فسألتهما عن الذي ذكرت، فقد وجدتهما في رأيهما وعقلهما وفهمهما وفضلهما ومذهبهما كما ذكرت، وقد أمرتُ لكل واحدٍ منهما بعشرة آلاف درهم وسرَّحتهما إليك، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني أنّ الحسين بن علي - رضي الله عنهما - قد عزم على المسير إلى العراق، فضع المراسد والمناظر واحترس واحبس على الظنّ، واكتب إليّ في كلّ يومٍ

بما يتجدّد لك من خيرٍ أو شرٍّ، والسلام (١).

* * * * *

ابتداء أخبار الحسين بن علي عليه السلام

قال: وبلغ الحسين بن عليّ بأنّ مسلم بن عقيل قد قُتل رحمته الله، وذلك أنّه قدم عليه رجلٌ من أهل الكوفة، فقال له الحسين: من أين أقبلت؟ فقال: من الكوفة، وما خرجتُ منها حتّى نظرت مسلم بن عقيل وهائى بن عروة المذحجيّ - رحمهما الله - قتيّلين مصلوبين منكّسين في سوق القصابين، وقد وجّه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية. قال: فاستعبر الحسين باكياً، ثمّ قال: إنّنا لله وإنا إليه راجعون. ثمّ إنّّه عزم على المسير إلى العراق، فدخل عليه عمر بن عبد الرحمان [بن الحارث] بن هشام المخزوميّ، فقال: يا ابن بنت رسول الله! إنّني أتيتُ إليك بحاجةٍ أريد أن أذكركها لك، فأنا غير غاش لك فيها، فهل لك أن تسمعها؟ فقال الحسين: هات، فوالله ما أنت عندي بمسيء الرأي، فقلّ ما أحببت. فقال: قد بلغني أنّك تريد العراق، وإنّي مشفق عليك من ذلك، أنّك ترد إلى قوم فيهم

(١) الفتوح لابن أعمى الكوفي: ٥ / ٦١.

الأمراء ومعهم بيوت الأموال، ولا آمن عليك أن يقاتلك من أنت أحب إليه من أبيه وأمه ميلاً إلى الدنيا والدرهم، فاتق الله ولا تخرج من هذا الحرم. فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا ابن عم! فقد علمت أنك أمرت بنصح، ومهما يقضي الله من أمر فهو كائن، أخذتُ برأيك أم تركته. قال: فانصرف عنه عمر بن عبد الرحمان وهو يقول:

رُبَّ مستنصحٍ سيعصي ويؤذى ونصيح بالغيب يلقي نصيحاً» (١)

العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨)، جواهر المطالب للباعوني:

«وأتى به ابن زياد، فقدّمه ليضرب عنقه، فقال له: دعني حتى أوصي. فقال له:

أوص. فنظر في وجوه الناس، فقال لعمر بن سعد: ما أرى قريشاً هنا غيرك، فادنُ مّي حتى أكلمك. فدنا منه، فقال له: هل لك أن تكون سيّد قريش ما كانت قريش؟ إنّ حسيناً ومن معه - وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وامرأة - في الطريق، فارددهم واكتب لهم بما أصابني. ثمّ ضرب عنقه،

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي: ٥ / ٦٤.

فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ قال: اكنم على ابن عمك! قال: هو أعظم من ذلك. قال: وما هو؟ قال: قال لي: إنَّ حسيناً أقبل [ومن معه] وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وامرأة، فارددهم واكتب إليه بما أصابني. فقال له ابن زياد: أما والله إذ دلت عليه لا يقاتله أحدٌ غيرك» (١).

مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦):

«فأمكنهم من نفسه، وحملوه على بغلةٍ وأتوا به ابن زياد، وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء في كلمةٍ يهجو فيها ابن الأشعث: وتركتَ عمَّك أن تقاتل دونه فشلاً، ولولا أنت كان منيعاً وقتلتَ وافدَ آل بيت محمدٍ وسلبتَ أسيفاً له ودروعاً

مقتل هاني بن عروة:

فلما صار مسلم الى باب القصر نظر الى قلة مبردة، فاستسقاهاهم منها، فمنعهم مسلم بن عمرو الباهلي - وهو أبو قتيبة بن مسلم - أن يسقوه، فوجه عمرو بن حريث فأتاه بماء في قدح، فلما رفعه الى فيه امتلأ القدح دماً، فصبه وملاه له

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٥ / ١٢٨، جواهر المطالب للباغوني: ٢ / ٢٦٨.

الثانية، فما رفعه الى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دماً، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته. ثم أدخل إلى ابن زياد، فلما انقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب، أمر به فأصعد إلى أعلى القصر، ثم دعا الأحمري الذي ضربه مسلم، فقال: كن أنت الذي تضرب عنقه، لتأخذ بثأرك من ضربته.

فأصعدوه الى أعلى القصر، فضرب بكير الأحمري عنقه، فأهوى رأسه إلى الأرض، ثم أتبعوا رأسه جسده. ثم أمر بهاني بن عروة فأخرج الى السوق، فضرب عنقه صبراً، وهو يصيح: يا آل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً؛ فشلاً وخذلاناً، فقال الشاعر وهو يرثي هاني بن عروة ومسلم ابن عقيل ويذكر ما نالهما:

إذا كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه

وأخريهوي في طمارقتيل

أصاهما أمرُ الأمير فأصبحا
أحاديثَ مَنْ يسعى بكلِّ سبيلٍ
ترى جسداً قد غيّر الموتُ لونه
ونضجَ دمٌ قد سال كلَّ مسيلٍ
أترك أسماءَ المهاليجِ آمناً
وقد طلبته مَذْحَجَ بذخولٍ
فتى هو أحي من فتاةٍ حيّةٍ
وأقطع من ذي شفرتين صقيلٍ
ثمّ دعا ابن زياد بيكير بن حمران الذي ضرب عنق مسلم،
فقال: أقتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به
لتقتلوه؟ قال: كان يكبر ويسبح الله ويهلل ويستغفر الله، فلمّا
أدنيه لنضرب عنقه قال: اللَّهُمَّ احْكُم بيننا وبين قومٍ غرّونا
وكذبونا ثمّ خذلونا وقتلونا. فقلت: الحمد لله الذي أقادني
منك، وضربته ضربةً لم تعمل شيئاً، فقال لي: أو ما يكفيك
وفي خدشٍ مّي وفاءٌ بدمك أيها العبد؟ قال ابن زياد: أو
فخراً عند الموت؟ قال: وضربته الثانية فقتلته، ثمّ أتبعنا رأسه
جسده.

وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمانٍ ليالٍ مضين من

ذي الحجة سنة ستين، وهو اليوم الذي ارتحل فيه الحسين
من مكة إلى الكوفة، وقيل: يوم الأربعاء يوم عرفة لتسع
ماضين من ذي الحجة سنة ستين.
ثم أمر ابن زياد بجثة مسلم فضُلبت، وحُمِلَ رأسه إلى دمشق،
وهذا أول قتيلٍ صُلبت جثته من بني هاشم، وأول رأسٍ حُمِلَ
من رؤوسهم إلى دمشق» (١).

الثقات لابن حبان (ت ٣٥٤):

«فجعل مسلم يحاربهم عن نفسه حتى كلّ وملّ، فأمنوه،
فأخذوه وأدخلوه على عبيد الله، فأصعد القصر وهو يقرأ
ويسبح ويكبر ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا
وكذبونا ثم خذلونا حتى دفعنا إلى ما دفعنا إليه. ثم أمر عبيد
الله بضرب رقبة مسلم بن عقيل، فضرب رقبة مسلم بن
عقيل بكير بن حمران الأحمري على طرف الجدار، فسقطت
جثته ثم أتبع رأسه جسده.
ثم أمر عبيد الله بإخراج هاني بن عروة إلى السوق، وأمر بضرب
رقبته في السوق.

ثمّ بعث عبيد الله بن زياد برأسي مسلم بن عقيل بن أبي طالب وهاني بن عروة مع هاني بن أبي حيّة الوداعيّ والزبير ابن الأروح التميميّ إلى يزيد بن معاوية، فلمّا بلغ الحسين بن عليّ الخبر بمصاب الناس بمسلم بن عقيل خرج بنفسه يريد الكوفة» (١).

مقاتل الطالبين للأصفهانيّ (ت ٣٥٦):

«ثمّ أقبل على ابن الأشعث، فقال: إنّني والله أظنّك ستعجز عن أماني. وسأله أن يبعث رسولاً إلى الحسين بن عليّ يعلمه الخبر ويسأله الرجوع، فقال له ابن الأشعث: والله لأفعلنّ. قال أبو مخنف: فحدّثني قدامة بن سعد: إنّ مسلم بن عقيل حين انّهي به إلى القصر رأى قلّة مبردة موضوعة على الباب، فقال: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو أبو قتيبة ابن مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها؟ فوالله لا تذوق منها قطرة واحدة حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم. فقال له مسلم بن عقيل: ويلك ولألمك الثكل، ما أجفاك وأفطّك وأقسى قلبك، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم. ثمّ جلس

وتساند إلى الحائط.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو قدامة بن سعدان عمرو بن حريث بعث غلاماً له يدعى سليماً، فأتاه بماء في قلة فسقاه. قال: وحدّثني مدرك بن عمارة أنّ عمارة بن عقبة بعث غلاماً يدعى نسيماً، فأتاه بماء في قلة عليها منديل وقدح معه، فصبّ فيه الماء ثمّ سقاه، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً، فأخذ لا يشرب من كثرة الدم، فلمّا ملأ القدح ثانية ذهب يشرب فسقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

قال: ثمّ أدخل على عبيد الله بن زياد - لعنه الله -، فلم يسلم عليه، فقال له الحرس: ألاّ تسلّم على الأمير؟ فقال: إن كان الأمير يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فليكثرنّ سلامي عليه. فقال له عبيد الله - لعنه الله -: لَتَقْتُلَنَّ. قال: أكذلك؟ قال: نعم. قال: دعني إذاً أوصي إلى بعض القوم. قال: أوصِ إلى مَنْ أحببت. فنظر ابن عقيل إلى القوم وهم جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة دون هؤلاء، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك لقرايتي نجاح حاجتي، وهي سرّ فأبى أن يمكنه من

ذكرها، فقال له عبيد الله بن زياد: لا تمتنع من أن تنظر في حاجة ابن عمك. فقام معه وجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد - لعنه الله -، فقال له ابن عقيل: إِنَّ عَلِيَّ بالكوفة دِيناً استدنته مذكمتها تقضيه عني حتى يأتيك من غلتي بالمدينة، وجئتي فاطمها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يردّه. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال؟ قال: اكتم ما قال لك. قال: أتدري ما قال لي؟ قال: هات، فإنه لا يخون الأمين ولا يؤتمن الخائن. قال: كذا وكذا. قال: أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك منه فاصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكف عنه، وأما جثته فإننا لا نشفعك فيها فإنه ليس لذلك منا بأهل وقد خالفنا وحرص على هلاكنا. ثم قال ابن زياد لمسلم: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد من الناس في الإسلام. قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لم تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغيلة لمن هو أحق به منك. ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه. ثم قال: ادعوا الذي ضربه ابن عقيل على رأسه وعاتقه بالسيف. فجاءه، فقال: اصعد وكن أنت الذي تضرب عنقه.

وهو بكير بن حمران الأحمريّ - لعنه الله - .

فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصليّ على النبيّ محمد صلّى الله عليه وآله وعلى أنبيائه ورسله وملائكته، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكادونا وخذلونا. ثمّ أشرفوا به على موضع الحدّائين، فضرب عنقه ثمّ اتبع رأسه جسده، صلى الله عليه ورحمه (١).

* * * * *

وقال المدائني: عن أبي مخنف، عن يوسف بن يزيد قال: فقال عبد الله بن الزبير الأسديّ:

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه

وأخريهوى من طمارقتيل

ترى جسداً قد غير الموت لونه

ونضح دم قد سال كلّ مسيل

أصابهما أمراؤا أمير فأصبحا

أحاديث من يسعى بكلّ سبيل

أيركب أسماء الهماليج آمناً

وقد طلبته مذحج بذحول

تطيف حواليه مراد وكلهم
على رقة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تثاروا بأخيك
فكونوا بغايا أرضيت بقليل (١)

* * * * *

قال أبو مخنف في حديثه خاصة عن رجاله: إن عبيد الله بن زياد وجه الحر بن يزيد ليأخذ الطريق على الحسين (عليه السلام)، فلما صار في بعض الطريق لقيه أعرابي من بني أسد، فسألها عن الخبر، فقالا له: يا ابن رسول الله، إن قلوب الناس معك وسيوفهم عليك، فارجع. وأخبراه بقتل ابن عقيل وأصحابه، فاسترجع الحسين (عليه السلام)، فقال له بنو عقيل: لا نرجع والله أبداً أو ندرك ثأرنا أو نقتل بأجمعنا. فقال لمن كان لحق به من الأعراب: من كان منكم يريد الانصراف عنا فهو في حل من بيعتنا. فانصرفوا عنه وبقي في أهل بيته ونفر من أصحابه» (٢).

الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣):

«وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر، فاستأذن

(١) مقاتل الطالبين للأصفهاني: ٧٢.

(٢) مقاتل الطالبين للأصفهاني: ٧٣.

فأذن له، فدخل على ابن زياد فأخبره خبر ابن عقيل وضرب بكرائياه وما كان من أمانه له، فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان؟ كأنا أرسلناك لتؤمنه! إنما أرسلناك لتأتينا به. فسكت ابن الأشعث، وانتهي بابن عقيل إلى باب القصر، وقد اشتد به العطش، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذن، فيهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب، وإذا قلة باردة موضوعة على الباب، فقال مسلم: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو: أتراها؟ ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم. فقال له ابن عقيل عليه السلام: ويلك، من أنت؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال له مسلم ابن عقيل: لأمك الثكل، ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك! أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني. ثم جلس فتساند إلى حائط. وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فجاءه بقلّة عليها منديل وقدح، فصب فيه ماء، فقال له: اشرب، فأخذ كلماً شرب امتلأ القدح دماً من فيه فلا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرةً ومرةً، فلما ذهب في الثالثة ليشرب

سقطت ثنيتاه في القدرح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه، فلمّا دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسى: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي ليكثرن سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمرى لتقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوص إلى بعض قومي. قال: افعل. فنظر مسلم إلى جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نصح حاجتي، وهي سرّ. فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك؟ فقام معه فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال له: إنّ عليّ ديناً بالكوفة استدنته منذ قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، وإذا قُتلْتُ فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يردّه، فإنّي قد كتبتُ إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلاّ مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري أيّها الأمير ما قال لي؟ أنّه ذكر كذا وكذا. فقال له ابن زياد: أنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن! أمّا مالك

فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمّا جثته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع بها، وأمّا حسين فإن هو لم يردنا لم نرده. ثمّ قال ابن زياد: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جميع، فشئت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناه لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لم تعمل فيهم بذاك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! أمّ والله إنّ الله ليعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق، وأنك قد قلت بغير علم، وأنّي لستُ كما ذكرت، وأنك أحقّ بشرب الخمر منّي، وأولى بها من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويسفك الدم الحرام على الغضب والعداوة وسوء الظنّ، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إنّ نفسك تمّنيك ما حال الله دونه ولم يرك الله له أهلاً. فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟! فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد. فقال مسلم: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: قتلني

الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس. قال له مسلم: أما إنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة. فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً - عليهم الصلاة والسلام -، وأخذ مسلم لا يكلمه.

ثمّ قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثمّ أتبعوه جسده. فقال مسلم بن عقيل عليه السلام: لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتنى. فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي بكر بن حمران الأحمريّ، فقال له: اصعد فلتكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد به وهو يكبر ويستغفر الله ويصليّ على رسوله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. وأشرفوا به على موضع الحذّائين اليوم، فضربت عنقه وأتبع (جسده رأسه) (١).

* * * * *

وفي مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة - رحمة الله عليهما - يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

إن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه

وأخريهوي من طمارقتيل

أصاهما أمرا الأمير فأصبحا

أحاديث من يسري بكل سبيل

تري جسداً قد غير الموت وجهه

ونضح دمٍ قد سال كل مسيل

فتى هو أحياء من فتاة حيّة

وأقطع من ذي شفرتين صقيل

أيركب أسماء الهماليج آمناً

وقد طلبته مذحجٌ بذحول

تطيف حواليه مراد وكلهم

على رقبة من سائل ومسول

فلإن أنتم لم تثاروا بأخيكُم

فكونوا بغايا أرضيت بقليل

ولما قُتل مسلم وهائي - رحمة الله عليهما - بعث عبيد الله بن

زياد برؤوسهما مع هائي بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح

التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب إلى يزيد بما

كان من أمر مسلم وهاني، فكتب الكاتب - وهو عمرو بن نافع - فأطال، وكان أول من أطال في الكتب، فلما نظرفيه عبيد الله تكرهه وقال: ما هذا التطويل وما هذه الفصول؟ أكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه وكفاه مؤونة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي، وأني جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال، وكدتها حتى استخرجتهما، وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حية والزيبر بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألها أمير المؤمنين عما أحب من أمرهما، فإن عندهما علماً وصدقاً وورعاً، والسلام. فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنيك وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنه قد بلغني أن حسيناً قد توجه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنة واقتل على التهمة، واكتب إلي

فيما يحدث من خبر إن شاء الله (١).

* * * * *

وروى عبد الله بن سليمان والمندربن المشمعل الأسديان،
قالا: لما قضينا حجنا لم تكن لنا همّة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام
في الطريق لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل بنا نياقنا
مسرعين حتّى لحقنا بزروء، فلما دنونا منه إذا نحن برجلٍ من
أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام،
فوقف الحسين كأنه يريد، ثم تركه ومضى، ومضينا نحوه،
فقال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسأله، فإنّ عنده
خبر الكوفة. فمضينا حتّى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك.
فقال: وعليكم السلام. قلنا: ممّن الرجل؟ قال: أسديّ. قلت:
ونحن أسديان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان. وانتسبنا له،
ثم قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك. قال: نعم، لم أخرج من
الكوفة حتّى قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ورأيتهما
يُجرّان بأرجلهما في السوق. فأقبلنا حتّى لحقنا الحسين
- صلوات الله عليه -، فسايرناه حتّى نزل الثعلبيّة ممسياً،
فجئناه حين نزل، فسلمنا عليه فردّ علينا السلام، فقلنا له:

رحمك الله، إنَّ عندنا خبراً، إن شئت حدّثناك علانيةً وإن شئت سراً. فنظر إلينا وإلى أصحابه، ثم قال: ما دون هؤلاء ستر. فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته عشيّ أمس؟ قال: نعم، وقد أردت مسألته. فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره وكفيّناك مسألته، وهو امرؤٌ منا ذو رأيٍ وصدقٍ وعقل، وإنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم وهاني، ورأهما يُجرّان في السوق بأرجلهما. فقال: إنّ الله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما. يكرّر ذلك مراراً، فقلنا له: نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك. فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون؟ فقد قُتل مسلم. فقالوا: والله لا نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق. فأقبل علينا الحسين عليه السلام وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء. فعلمنا أنّه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له: خار الله لك. فقال: رحمكما الله. فقال له أصحابه: إنّك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع. فسكت، ثم انتظر حتّى إذا كان السحر قال لفتيانهِ وغلمانهِ: أكثروا من الماء فاستقوا وأكثروا ثمّ اتحلّوا. فسار حتّى انتهى إلى زباله، فأتاه خبر عبد الله بن يقطر، فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه

عليهم» (١).

تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١):

«فلما دخل به على ابن زياد قال: - إني آمنته. قال: - وما أنت والأمان؟ كأنما أرسلناك لتؤمنه! إنما أرسلناك لتأتينا به. فسكت، وانتهى بمسلم إليه، فقال: - إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتحمل بعضهم على بعض. قال: - كلاً! لسْتُ لذلك أتيت، لكن أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وندعو إلى حكم الكتاب. وتراجعا الكلام إلى أن قال له ابن زياد: - قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. قال: - أما إني لا أدع أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، وإني لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة، لا أحد من الناس أحق بها منك. وأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً، وأمسك مسلم لا يكلمه، ثم قال: - اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم أتبعوا جسده رأسه. فصعد وهو

يقول: - اللَّهُمَّ احْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ غَرَوْنَا وَخَذَلُونَا. وأشرف به على موضع الحذائين اليوم، فضربت عنقه وأتبع جسده رأسه (١).

* * * * *

وأمر بكلِّ مَنْ عرفه مِمَّنْ خرج مع مسلم، فأتى به إلى قومه، فضربت عنقه فيهم، وبُعث برؤوس مَنْ قُتل منهم إلى يزيد، وكتب بالقصة، ولحق رسول مسلم الذي أشخصه محمد بن الأشعث الحسين، وهو بيزالة لأربع ليال، فأخبره الخبر وبلغه الرسالة، فقال له الحسين: كلَّ ما حمَّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا» (٢).

إعلام الوري للطبرسي (ت ٥٤٨):

«وأقبل ابن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر، ودخل على عبيد الله فأخبره خبره وما كان من أمانه، فقال ابن زياد: ما أنت والأمان؟ كأنا أرسلناك لتؤمنه، وإنما أرسلناك لتأتيناه! فسكت ابن الأشعث، وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخال مسلم، فلمَّا دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال الحرسي: ألا

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٣.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٥٥.

تسلم على الأمير؟ قال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي ليكثرن سلامي عليه. فقال ابن زياد: لعمرى لئقتلن قتلةً لم يقتلها أحدٌ من الناس في الإسلام. فقال له مسلم: أنت أحقُّ من أحدث في الإسلام، وأنت لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة. وأخذ ابن زياد - لعنة الله عليه - يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه. ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه ثم أتبعوه جسده. فقال مسلم: لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتنى. فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابنٌ عقيل رأسه بالسيف؟ فدعى بكر بن حمران الأحمري، فقال له: اصعد فكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد، وجعل مسلم يكبر الله ويستغفره ويصلي على النبي وآله، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. وضربت عنقه وأُتبع جسده رأسه، وأمر بهائي بن عروة فأخرج إلى السوق وضربت عنقه، وهو يقول: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتك ورضوانك.

وفي قتلها يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

إن كنت لا تدريين ما الموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
 وآخره يوي من طمار قتيْل
 في أبيات.. وبعث ابن زياد - لعنه الله - برأسهما إلى يزيد
 ابن معاوية - لعنه الله -» (١).

مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (ت ٥٦٨):

«ضربه بكبير على شفته العليا، وضربه مسلم فبلغت الضربة
 جوفه فأسقطه قتيلاً، وطعن من ورائه فسقط إلى الأرض،
 فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه.
 وتقدم رجلٌ من بني سليم يقال له: عبيد الله بن العباس،
 فأخذ عمامته، فجعل يقول: اسقوني شربةً من الماء. فقال له
 مسلم بن عمرو بن عمرو الباهلي: لا والله لا تذوق الماء يا ابن
 عقيل حتى تذوق الموت. فقال له مسلم: ويلك، ما أجفاك
 وأفظلك وأقسى قلبك، أشهد عليك إن كنت من قريشٍ فإنك
 ملصق، وإن كنت من غير قريش فأنت دعي، من أنت يا
 عدو الله؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح الإمام إن
 غششته، وأطاع إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال

له مسلم: لأُمِّك الهبل يا ابن باهلة، أنت أولى بالمجيم والخلود في نار المجيم، إذ أثرت طاعة آل أبي سفيان على طاعة آل محمد. ثم قال: ويحكم يا أهل الكوفة! اسقوني شربة من ماء. فأتاه غلامٌ لعمر بن حريث المخزومي بقلّةٍ فيها ماء وقدح من قوارير، فصبّ القلّة في القدح وناولته، فأخذ مسلم القدح بيده، فكلّمَا أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فلم يقدر أن يشرب من كثرة الدم، وسقطت ثنيتاه في القدح، فامتنع من شرب ذلك الماء.

ثمّ أتى به فأدخل على ابن زياد فأوقف، ولم يسلم عليه، فقال له الحرسيّ: سلّم على الأمير. فقال مسلم: اسكت لا أمّ لك، ما لك والكلام، ما هولي بأمرٍ فأسلم عليه، وأخرى ما ينفعني سلامي وهو يريد قتلي؟ فإن استبقاني فسيكثر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمّت أو لم تسلّم فإنك مقتول. فقال مسلم: إن قتلتنّي فلقد قتل من هو شرُّ منك من هو خيراً منّي.

ثمّ قال له: إنّ القوم قد آمنوني. فقال محمد بن الأشعث: إنّّي قد آمنّته. فقال ابن زياد: وما أنت وذاك؟ كأني إنّما أرسلتك لتؤمنه!

ثمّ قال لمسلم: يا شاقّ، يا عاقّ! خرجت على إمامك وشقت

عصا المسلمين وألقحت الفتنة. فقال: كذبت يا ابن زياد! إنّما شقّ عصا المسلمين معاويةً وابنه يزيد، وإنّما ألقح الفتنة أنت وأبوك زياد ابن عبيد بن علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرّ بريّته، فوالله ما خلعتُ وما غيّرت، وإنّما أنا في طاعة الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله، فهو أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد.

فقال له ابن زياد: يا فاسق، ألم تكن تشرب الخمر بالمدينة؟ فقال مسلم: الله يعلم أنّي ما شربتها قطّ، وأحقّ ممّي بشرب الخمر من يقتل النفس الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة والظنّ، وهو في ذلك يلهو ويلعب كأنّه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق! متّكت نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ فقال له: يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد: أتظنّ أنّ لك من الأمر شيئاً؟ فقال: لا والله ما هو بالظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد له: قتلني الله إن لم أقتلك شرّ قتلة. فقال له مسلم: أما إنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبت السريرة ولؤم الفعلة لأحدٍ غيرك أولى منك، والله لو كان معي عشرة ممّن أثق بهم وقدرت

على شربة ماء لطلال عليك أن تراني في هذا القصر، ولكن إن كنت قد عزمْتَ على قتلي فأقم لي رجلاً من قریش حتى أوصي إليه بما أريد.

ثمَّ نظر مسلم إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال له: إنَّ بيني وبينك قرابة، فاسمع مِنِّي. فامتنع، فقال له ابن زياد: ما يمنعك من الاستماع لابن عمِّك؟ فقام عمر إليه، فقال له مسلم: أوصيك بتقوى الله، فإنَّ التقوى درك كلِّ خير، ولي إليك حاجة. فقال عمر: قل ما أحببت. فقال: حاجتي إليك أن تستردَّ فرسي وسلاحي من هؤلاء القوم فتبيعه وتقضي. عني سبعمائة درهم استدنتُها في مصركم هذا، وأن تستوهب جثتي إن قتلني هذا الفاسق فتواريني في التراب، وأن تكتب للحسين أن لا يقدم فينزل به ما نزل بي. فقال عمر بن سعد: أيها الأمير! إنَّه يقول كذا وكذا. فقال ابن زياد: يا ابن عقيل! أمَّا ما ذكرت من دينك فأئماً هو مالك تقضي- به دينك ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمَّا جسدك فإنَّا إذا قتلناك فالخيار لنا ولسنا نبالي ما صنع الله بجثَّتكَ، وأمَّا الحسين فإِنَّه إن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكفَّ عنه.

وفي روايةٍ أنَّه قال: وأمَّا الحسين فلا ولاكرامة، ولكن أريد أن

تخبرني يا ابن عقيل لماذا أتيت أهل هذا البلد وأمرهم جميع
وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرّق عليهم أمرهم وتحمل بعضهم
على بعض؟ فقال له مسلم: ليس لذلك أتيت، ولكن أهل
هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وأنّ
معاوية حكم فيهم ظلماً بغير رضى منهم، وغلبهم على ثغورهم
التي أفاء الله بها عليهم، وأنّ عاملهم يتجبر ويعمل أعمال
كسرى وقيصر، فأتينا لنأمر بالعدل، وندعو إلى الحكم بكتاب
الله إذ كتبنا أهلهم، ولم تزل الخلافة لنا وإن قهرنا عليها، رضيت
بذلك أم كرهتهم، لأنّكم أول من خرج على إمام هدىّ وشقّ
عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تعالى:
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

قال: فجعل ابن زياد يشتمه ويشتم عليّاً والحسن والحسين،
فقال مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالثتم والسبّ، فاقض ما أنت
قاضي يا عدوّ الله، فنحن أهل بيتٍ موكل بنا بالبلاء. فقال ابن
زياد: اصعدوا به إلى أعلى القصر واضربوا عنقه وأتبعوا رأسه
جسده. فقال مسلم: أمّ والله يا ابن زياد! لو كنت من قريشٍ
أو كان بيني وبينك رحمٌ لما قتلتنى، ولكنتك ابن أبيك.

فازداد ابن زياد غضباً، ودعا برجلٍ من أهل الشام قد كان

مسلم ضربه على رأسه ضربة منكرة، فقال له: خُذ مسلماً إليك وأصعده إلى أعلى القصر واضرب أنت عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك.

قال: فأصعد مسلم إلى أعلى القصر، وهو يسبح الله ويستغفره ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا. حتى أتى به إلى أعلى القصر، فتقدّم ذلك الشامي وضرب عنقه، ثم نزل الشامي وهو مذعورٌ مدهوش، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ أقتلته؟ قال: نعم، إلاّ إنّه عرض عارضُ فأنا به مرعوب. قال: وما الذي عرض؟ قال: رأيتُ ساعة قتله رجلاً بجذائي أسود شديد السواد كرية المنظر، عاضاً على إصبعه - أو قال: شفته -، ففرعتُ منه فرعاً لم أفزع مثله قط. فتبسّم ابن زياد وقال: دهشت من شيءٍ لم تعتده قبل ذلك (١).

* * * * *

ثمّ أمر ابن زياد بمسلم وبهاني فصلبا منكّسين ...
قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي في تاريخه: ولما صلب مسلم ابن عقيل وهاني بن عروة، قال فيهما عبد الله بن الزبير الأُسدي:

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢١٠ وما بعدها.

إذا كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانيءٍ بالسوق وابن عقيلٍ
إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
وأخريهوي من طمار قتلٍ
تري جسداً قد غيّر الموت لونه
ونضح دمٍ قد سال كل مسيلٍ
فتى كان أحيى من فتاة حيّة
وأقطع من ذي شفرتين صقيلٍ
وأشجع من ليث بخفان مصر
وأجرء من ضار بغاية غيلٍ
أصابهما أمر الأمير فأصبحا
أحاديث من يسري بكل سبيلٍ
أيركب أسماء الهماليج آمناً
وقد طلبته مذحجٌ بذحولٍ
تطوف حواليه مراد وكلهم
على رقبة من سائل ومسولٍ
فإن أنتم لم تثأروا لأخيكم
فكونوا بغايا أرضيت بقليلٍ

قال: ثم كتب ابن زياد إلى يزيد:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد أمير المؤمنين من عبيد الله بن زياد، الحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه، وكفاه مؤونة عدوه.. ثم ذكر قدوم مسلم بن عقيل وذكر هاني بن عروة، وكيف أخذهما وكيف قتلهما، ثم قال: وقد بعثت برأسيهما مع هاني بن حية الوداعي والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل الطاعة والسنة والجماعة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحب، فإن عندهما علماً وفهماً وصدقاً وورعاً. فلما ورد الكتاب والرأسان جميعاً، نصبهما على باب دمشق، ثم كتب لابن زياد: أما بعد، فإني عملت عمل المحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجاش، فكفيت ووفيت، وقد سألت رسوليك فوجدتهما كما زعمت، وقد أمرت لكل واحد منهما بعشرة آلاف درهم وسرحتهما إليك، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني أن الحسين بن علي قد عزم على المصير إلى العراق، فضع المراصد والمناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظن واقتل على التهمة، واكتب في ذلك إلي كل يوم بما يحدث من خبر.

قال: وبلغ الحسين أن مسلم بن عقيل قد قُتل، وذلك إته قدم عليه رجل من أهل الكوفة، فسأله عن مسلم، فقال: والله يا

ابن رسول الله ما خرجت من الكوفة حتّى نظرتُ إلى مسلم ابن عقيل وهاني بن عروة المذحجيّ قتلين جميعاً، مصلوبين منكسين في سوق القصّابين، وقد وجّه برأسيهما إلى يزيد. فاستعبر الحسين باكياً، ثمّ قال: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون. وعزم على المسير إلى العراق» (١).

روضة الواعظين للفتال النيسابوري (ت ٥٠٨):

ثمّ أقبل بابين عقيل إلى باب القصر، فاستأذن فأذن له، فدخل على عبيد الله، فأخبره خبر ابن عقيل وذكر ما كان من أمانه له، فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان؟ كأنّما أرسلناك لتأتينا به! فسكت ابن الأشعث.

وانتهى بابين عقيل إلى باب القصر، وقد اشتدّ به العطش، فقال: اسقوني من هذا الماء. وتساند إلى حائط، وبعث عمرو ابن حريث غلاماً فجاءه بقلّة عليها منديل وقدح، فصبّ فيه ماءً فقال له: اشرب، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً من فمه فلا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرّةً أو مرّتين، فلمّا ذهب في الثالثة ليشربه سقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٢١٤ وما بعدها.

كان لي من الرزق المقسوم شربته.

وخرج رسول ابن زياد وأمر بإدخاله، فلما دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرس: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي ليكثرن سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمرى لتقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: دعني أوصى إلى بعض قومي. قال: افعل. فنظر مسلم إلى جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر، إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة وقد يجب عليك نبح حاجتي، وهو سرّ. فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال عبيد الله: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك؟ قال: فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال: إن عليّ ديناً استدنته مذ وقت قدمت الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، وإذا قُتِلْتُ فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يردّه، فإنّي قد كنتُ أعلمته أنّ الناس ليسوا إلاّ معه ولا أراه إلاّ مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري أيها الأمير ما قال؟ إنّه ذكر كذا وكذا. فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا مالك فهو لك وللسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأمّا جثته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما صنع

بها، وأمّا الحسين فهو إن لم يردنا لم نرده، اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه، ثمّ أتبعوا جسده، أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي بكر بن حمران الأحمريّ، فقال له: اصعد، فلتكن أنت الذي تضرب عنقه.

فصعد به، وهو يكبر ويستغفر الله ويصليّ على رسول الله ﷺ ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. فأشرفوا به على موضع الحراس اليوم فضرب عنقه وأتبع جسده رأسه (١).

* * * * *

ووقع الخبر عند الحسين بقتل مسلم بن عقيل وهاني، فقال: إنّ الله وإنّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما. يردّد ذلك مراراً، فقيل له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك. فنظر إلى بني عقيل وقال: ما ترون؟ فقد قُتل مسلم بن عقيل! قالوا: والله لا نرجع حتّى نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق» (٢).

(١) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ١٧٦.

(٢) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ١٧٨.

لباب الأنساب لابن فندق (ت ٥٦٥):

«قتله راشد بن صرد بن عتبة، وقيل: قتله ابن حمران الأحمري، قُتل بالكوفة على سطح قصر الإمارة، قبره بمقبرة الكوفة، صَلَّى عليه عمر بن سعد بعد ثلاثة أيام من قتله» (١).

مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨):

«فقال ابن الأشعث: لا تقتل نفسك وأنت في ذمتي. قال: أُوسروني طاقة؟! لا والله لا يكون ذلك أبداً. وحمل عليه فهرب منه، فقال مسلم: اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَطَشَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي. فحملوا عليه من كل جانب، فضربه بكير بن حمران الأحمري على شفته العليا، وضربه مسلم في جوفه فقتله، وطعن من خلفه فسقط من فرسه فأُسر، فقال مسلم: اسقوني شربةً من ماء. فأتاه غلام عمرو بن حريث بشربة زجاج، وكانت تملئ دماً وسقطت فيه ثنيتته.

فأتي به إلى ابن زياد فتجاوبا، وكان ابن زياد يسب حسيناً وعلياً عليه السلام، فقال مسلم: فاقض ما أنت قاضٍ يا عدو الله. فقال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه. وكان

(١) لباب الأنساب لابن فندق: ١ / ٣٩٧.

مسلم يدعو الله ويقول: اللَّهُمَّ احْكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِ غَرَوْنَا
وخذلونا. فقتله وهو على موضع الحدّائين، ثمّ أمر بقتل هاني
ابن عروة في محلّة يباع فيها الغنم، ثمّ أمر بصلبه منكوساً.
وأنشد أسدي:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموتُ فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

وأنفذ رأسهما إلى يزيد في صحبة هاني بن حياة الوادعي،
ف نصب الرأسين في دربٍ من دمشق، وكتب: قد بلغني أنّ
الحسين قد عزم إلى المسير إلى العراق، فضع المرصد، واحبس
على الظنّ واقتل على التهمة حتّى تُكفى أمره» (١).

المنتظم لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ):

«ولمّا جيء بمسلم إلى عبيد الله بن زياد، أخبره عبد الرحمن
أنّه قد أمنه، فقال: ما أنت والأمان؟ إنّما بعثناك لتجيء به لا
لتؤمّنه. فأمر به، فأُصعد إلى أعلى القصر، فضرّبت عنقه، وألقي
جثته إلى الناس، وأمر بهائي فقتل في السوق، وسُحب إلى
الكناسة فصُلِب هناك.

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٠ / ٣١٩ وما بعدها - بتحقيق: السيّد
علي أشرف.

وقال شاعرهم في ذلك:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقيل

ترى جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمٍ قد سال كل مسيل

أصابهما أمر الإمام فأصبحا

أحاديث من يسعى بكل سبيل^(١)

الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠):

«وأما مسلم، فإنَّ محمّداً قدم به القصر، ودخل محمّد على

عبيد الله فأخبره الخبر وأمانه له، فقال له عبيد الله: ما أنت

والأمان؟ ما أرسلناك لتؤمنه، إنّما أرسلناك لتأتينا به! فسكت

محمّد.

ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرّة فيها ماء بارد،

فقال: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو الباهلي:

أتراها ما أبردها؟ والله لا تذوق منها قطرةً حتّى تذوق الحميم

في نار جهنّم. فقال له ابن عقيل: من أنت؟ قال: أنا من عرف

(١) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

الحقّ إذ تركته، ونصح الأمة والإمام إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو. فقال له ابن عقيل: لأُثَمِّك الشكل، ما أجفاك وأفظك وأقسى. قلبك وأغلظك، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم مني. قال: فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد، فصبّ له في قدح، فأخذ ليشرب فامتلاً القدح دماً، ففعل ذلك ثلاثاً، فقال: لو كان من الرزق المقسوم شربته.

وأدخل على ابن زياد، فلم يسلم عليه بالإمارة، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فليكثر تسليمي عليه. فقال له ابن زياد: لعمرى لتقتلن. فقال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوص إلى بعض قومي. قال: افعل. فقال لعمر بن سعد: إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرّ. فلم يکنه من ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمّك. فقام معه، فقال: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته [منذ قدمت الكوفة] سبعمائة درهم فاقضها عني، وانظر جيّتي فاستوهبها فوارها، وابعث إلى الحسين من يرده. فقال عمر لابن زياد: إنّّه قال كذا وكذا، فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين،

ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت،
وأما الحسين فإن لم يردنا لم نرده وإن أردنا لم نكف عنه، وأما
جثته فإننا لن نشفعك فيها. وقيل: إنه قال: أما جثته فإننا إذا
قتلناه لا نبالي ما صنع بها.

ثم قال لمسلم: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع
وكلمتهم واحدة، لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم. فقال: كلاً،
ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك
دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر
بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب والسنة. فقال: وما أنت وذاك
يا فاسق؟! ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر
بالمدينة؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله يعلم أنك تعلم
أنك غير صادق، وأني لست كما ذكرت، وأن أحق الناس
بشرب الخمر مني من بلغ في دماء المسلمين، فيقتل النفس
التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة، وهو يلهو ويلعب
كأنه لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: قتلي الله إن لم أقتلك
قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. قال: أما إنك أحق من أحدث
في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح
المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولأحد من الناس أحق بها

منك. فشتمه ابن زياد وشمّ الحسين وعليّاً وعقيلاً، فلم يكلمه مسلم.

ثمّ أمر به فأُصعد فوق القصر لتضرب رقبتَه ويتبعوا رأسه جسده، فقال مسلم لابن الأشعث: والله لولا أمانك ما استسلمت، قم بسيفك دوني، قد أخفرت ذمتك.

فأُصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفرو ويسبّح، وأشرف به على موضع الحدّائين، فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران الذي ضربه مسلم، ثمّ أتبع رأسه جسده.

فلما نزل بكير قال له زياد: ما كان يقول وأنتم تصعدون به؟ قال: كان يسبّح الله ويستغفر، فلما قتلته قلت له: أدنْ منّي، الحمد لله الذي أمكن منك وأقادني منك، فضربته ضربةً لم تغنِ شيئاً، فقال: أما تري في خدش تحدشنيه وفاءً من دمك أيّها العبد؟ فقال ابن زياد: وفخراً عند الموت! قال: ثمّ ضربته الثانية فقتلته (١).

* * * * *

فقال عبد الله بن الزبير الأسديّ في قتل هاني ومسلم، وقيل: قاله الفرزدق (الزبير: بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة):

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٣.

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هائي في السوق وابن عقيل
إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
وأخريهوى من طمارقتيل
وهي أبيات.

وبعث ابن زياد برأسيهما إلى يزيد، فكتب إليه يزيد يشكره
ويقول له: وقد بلغني أنّ الحسين قد توجه نحو العراق، فضع
المراصد والمسالح واحترس، واحبس على التهمة وخذ على
الظنة، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك ^(١).

* * * * *

وأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية، فقال له بعض
أصحابه: نشدك الله إلا رجعت من مكانك، فإنه ليس لك
بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف عليك أن يكونوا عليك.
فوثب بنو عقيل وقالوا: والله لا نبرح حتى يدرك ثأرنا أو نذوق
كما ذاق مسلم. فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء.
فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن
عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٦.

* * * * *

فلَمَّا أتى الحسين خبر قتل أخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل، أعلم الناس ذلك، وقال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن ينصرف فليَنصرف، ليس عليه منّا دمام. فتفرّقوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكّة، وإِنَّمَا فعل ذلك لأنّه علم أنّ الأعراب ظنّوا أنّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فأراد أن يعلموا على مَ يقدمون عليه» (١).

الحدائق الوردية للمحلي (ت ٦٥٢):

«فجاء به إلى عبيد الله بن زياد، فأمر به، فأُصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه، وألقي جثته إلى الناس» (٢).

مطالب السؤل لابن طلحة (ت ٦٥٢)، كشف الغمّة للأربلي (ت ٦٩٣):

«فلَمَّا دخل قصر الإمارة وأصبح، جمع الناس وقال، وأرعد وأبرق، وقتل وفتك، وسفك وانتهك، وعمله وما اعتمده

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٤٢.

(٢) الإمام الحسين عليه السلام من كتاب الحدائق الوردية للمحلي: ٨٠ - بتحقيق: السيّد علي أشرف.

مشهور في تحيِّله، حتَّى ظفر بمسلم بن عقيل وقتله» (١).

تذكرة خواصَّ الأُمّة لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤):

«فآمنه ابن الأشعث وجاء به إلى ابن زياد، فأمر به فأُصعد إلى أعلى القصر، فضُربت عنقه وأُلقي رأسه إلى الناس، وُصِّلت جثَّته بالكناسة، ثمَّ فعل بهاني بن عروة كذلك، فقال الشاعر:

فإن كنتِ لا تدرين بالموت فانظري

إلى هائي بالسوق وابن عقيلِ

أصابهما ريب المنون فأصبحا

أحاديث من يسعى بكلِّ سبيلِ

وقال آخر في ممالاة ابن الأشعث على مسلم بن عقيل:

وتركتَ عمَّك لم تقاتل دونه فشلاً، ولو لا أنت كان منيعاً

وقتلْتَ وافد حزب آل محمَّد وسلبت أسيفاً له ودروعا

وكان ابن الأشعث قد سلبه قبل أن يأتي به ابن زياد، وكان

قتل مسلم لثمانٍ مضين من ذي الحجَّة بعد رحيل الحسين

من مكَّة بيوم، وقيل: يوم رحيله ولم يعلم!! الحسين بما جرى

(١) مطالب السؤل لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للأربلي: ٢ / ٤٣.

في الكوفة.

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى دمشق إلى يزيد، وهو أوّل رأسٍ حُمِلَ من رؤوس بني هاشم، وجثّة مسلم أوّل جثّةٍ صُلِبَت منهم» (١).

اللّهوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤):

«فنادوا إليه أنّه لا يكذب ولا يغرّ، فلم يلتفت إلى ذلك، وتكاثروا عليه بعد أن أُخِنَ بالجراح، فطعنه رجلٌ من خلفه، فخرّ إلى الأرض، فأخذ أسيراً.

فلما أُدخل على عبيد الله لم يسلم عليه، فقال له الحرس: سلّم على الأمير. فقال له: أسكت، ويحك، والله ما هولي بأمر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمت أم لم تسلم فإنّك مقتول. فقال له مسلم: إن قتلتني فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خير ممّي، وبعد فإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولوم الغلبة، لا أحد أولى بها منك.

فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن

(١) تذكرة خواصّ الأئمة لسبط ابن الجوزي: ٢١٩.

زياد! إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنما ألحقها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرّبريته.

فقال ابن زياد: متّك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله.

فقال له مسلم: ومَن يا ابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: أتظنّ أنّ لك في الأمر شيئاً؟ فقال له مسلم: والله ما هو الظنّ، ولكنّه اليقين. فقال ابن زياد: أخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم، فشئت أمرهم بينهم وفرقت كلمتهم؟ فقال مسلم: ما لهذا أتيت، ولكنّكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف، وتأمّرت على الناس بغير رضئ منهم، وحملتوهم على غير ما أمركم الله به، وعملتّم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف ونهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك.

فجعل زياد يشتمه ويشتم عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام. فقال له مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة، فاقض ما أنت قاض يا عدوّ الله. فأمر ابن زياد بكير بن حمران أن يصعد به إلى أعلى

القصر فيقتله، فصعد به وهو يسبح الله تعالى ويستغفره
 ويصلي على النبي ﷺ، فضرب عنقه، فنزل مذعوراً، فقال له
 ابن زياد: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، رأيت ساعة قتله رجلاً
 أسود سيء الوجه هذا ممي، عاضاً على إصبعه - أوقال: على
 شفته -، ففزعت منه فزعاً لم أفزعه قط. فقال له ابن زياد
 - لعنه الله -: لعلك دُهشت (١).

وفي قتل مسلم وهاني يقول عبد الله بن زبير الأسدي، ويقال:
 إنها للفرزدق، وقال بعضهم: إنها لسليمان الحنفي:
 فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل
 إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
 وآخرهوى من طمار قتل
 أصابهما فرخ البغي فأصبحا
 أحاديث من يسرى بكل سبيل
 ترى جسداً قد غير الموت لونه
 ونضح دمٍ قد سال كل مسيل

(١) اللّهُوف في قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ٣٥.

فتى كان أحي من فتاة حيّة
وأقطع من ذي شفرتين صقيل
أيركب أسماء المماليج آمنأ
وقد طلبته مذحجٌ بذحول
تطوف حفافيه مراد وكلهم
على رقبة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تثاروا بأخيكم
فكونا بغايا أرغمت بيعول

قال الراوي: وكتب عبيد الله بن زياد بخبر مسلم وهاني إلى
يزيد بن معاوية، فأعاد الجواب إليه يشكره فيه على فعاله
وسطوته، ويعرفه أن قد بلغه توجه الحسين عليه السلام إلى جهته،
ويأمره عند ذلك بالمؤاخذه والانتقام والحبس على الظنون
والأوهام» (١).

تاريخ أبي الفداء (ت ٧٣٢):

«فانهزم واستتر، ونادى منادي عبيد الله بن زياد: من أتى
بمسلم بن عقيل فله ديتة. فأمسك مسلم وأحضر إليه، ولما
حضر مسلم بين يدي عبيد الله، شتمه وشم الحسين وعلياً،

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٣٧.

وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته!!!! من القصر،
ثمّ أحضرهاني بن عروة، وكان ممّن أخذ البيعة للحسين،
فضرب عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن
معاوية) ... (١).

نهاية الأرب للنويري (ت ٧٣٣):

«قال: وجاء محمّد بمسلم إلى القصر، فأجلسه على بابه ودخل
هو إلى ابن زياد فأخبره بأمانه، فقال له: ما أنت والأمان؟ ما
أرسلناك لتؤمنه، إنّما أرسلناك لتأتينا به!
قال: ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرّة فيها ماء
بارد، فقال: اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو
الباهلي: أتراها ما أبردها! والله لا تذوق منها قطرة حتّى تذوق
الحميم في نار جهنّم! فقال له ابن عقيل: من أنت؟ قال: أنا
من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح الأئمة وإمامه إذ غششته،
وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو. فقال له ابن
عقيل: لأمك الشكل، ما أجفاك وأفظّك وأقسى قلبك وأغلظك!
أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي! قال:
فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد فصبّ له في قدح، فأخذ

يشرب فامتلاً القدح دماً، فعل ذلك ثلاثاً، ثم قال: لو كان من الرزق المقسوم لشربته.

وأدخل على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريده فليكثر تسليمي عليه. فقال ابن زياد: لعمرى لتقتلن. قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي. قال: افعل. فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سر. فلم يملكه من ذكرها، فقال له ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمك. فقام معه، فقال: إن علي بالكوفة ديناً استدنته أنفقت سبعمائة درهم فاقضها عني، وانظر جثتي فاستوهبها فوارها، وابعث إلى الحسين فاردده. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما سارني؟ فقال: أكثرتم على ابن عمك. فقال: الأمر أكبر من هذا. قال: اكتم على ابن عمك: قال: الأمر أكبر من هذا. وأخبره بما قال، فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤمن الخائن، أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت، وأما حسين فإن لم يردنا لم نرده وإن أردنا لم نكف عنه، وأما جثته فإننا لا نشفعك فيها. وقيل: إنه قال: وأما جثته فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها.

ثمّ قال: يا ابن عقيل، أتيتّ الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتيت بينهم وتفرّق كلمتهم. قال: كلاً، ولكنّ أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنامر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب. فقال: وما أنت وذاك؟

ثمّ كانت بينهما مقالة، قال له ابن زياد في آخرتها: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام. فقال: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنّك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحدٍ من الناس أحقّ بها منك! فشتمه ابن زياد وشمّ حسيناً وعليّاً وعقيلاً، ولم يكلمه مسلم.

ثمّ أمر به، فأصعد فوق القصر وهو يستغفر الله تعالى ويسبّح، وأشرف به على موضع الحدّادين فضربت عنقه، وكان الذي قتله بكير بن حمران، ثمّ أتبع رأسه جسده (١).

* * * * *

وبعث عبيد الله بن زياد برأسيهما إلى يزيد، فكتب إليه يزيد يشكره، ويقول له: قد بلغني أنّ الحسين بن عليّ توجّه نحو

العراق، فضع المراصد والمسالح واحترس، واحبس على التهمة
وخذ بالظنّة، غير إلّا تقتل إلّا من قاتلك» (١).

تهذيب الكمال للمزي (ت ٧٤٢):

«فأعطاه محمد بن الأشعث الأمان، فأمكن من يده، فجاء به
إلى عبيد الله فأمر به، فأصعد إلى أعلى القصر فضرب عنقه
وألقى جثته إلى الناس، وأمر بهاني فسحب إلى الكناسة
فصلب هناك، فقال شاعرهم:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

أصابهما أمر الأمير فأصبحا

أحاديث من يسعى بكل سبيل

أيركب أسماء الهماليج آمناً

وقد طلبته مذحجٌ بقتيل» (٢)

سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨):

«فأعطاه ابن الأشعث أماناً فسلم نفسه، فجاء به إلى عبيد

(١) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٣.

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٦.

الله، فضرب عنقه وألقاه إلى الناس، وقتل هائناً، فقال الشاعر:
 فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري
 إلى هائي في السوق وابن عقيل
 أصابهما أمر الأمير فأصبحا
 أحاديث من يسعى بكل سبيل
 أيركب أسماء الهماليج آمناً
 وقد طلبته مذحجٌ بقتيل
 يعني: أسماء بن خارجة (١).

* * * * *

وجاء الليل، فهرب مسلم، فاستجار بامرأة من كندة، ثم جيء
 به إلى عبيد الله، فقتله، فقال: دعني أوصي. قال: نعم. فقال
 لعمر بن سعد: يا هذا! إن لي إليك حاجة، وليس هنا قرشي
 غيرك، وهذا الحسين قد أظلك، فأرسل إليه لينصرف، فإن
 القوم قد غرّوه وكذبوه، وعليّ دين فاقضه عني، ووارِ جثتي.
 ففعل ذلك، وبعث رجلاً على ناقية إلى الحسين، فلقية على
 أربع مراحل، فقال له ابنه عليّ الأكبر: إرجع يا أبه، فإنهم أهل
 العراق وغدرهم وقلة وفائهم. فقالت بنو عقيل: ليس بحين

رجوع. وحرّضوه، فقال حسين لأصحابه: قد ترون ما أتانا، وما أرى القوم إلّا سيخذلوننا، فمن أحبّ أن يرجع فليرجع. فانصرف عنه قوم» (١).

البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤):

«قالوا: ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر، إذا على بابهِ جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممّن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤذّن لهم على ابن زياد، ومسلم مخضّب بالدماء في وجهه وثيابه وهو مثخن بالجراح، وهو في غاية العطش، وإذا قلّة من ماءٍ بارد هنالك، فأراد أن يتناولها ليشرب منها، فقال له رجلٌ من أولئك: والله لا تشرب منها حتّى تشرب من الحميم. فقال له: ويلك يا ابن ناهلة، أنت أولى بالحميم والخلود في نار الجحيم منّي. ثمّ جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلال والعطش، فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط مولّى له إلى داره، فجاء بقلّة عليها منديل ومعه قدح، فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب، فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التي تلو على الماء مرّتين أو

ثلاثاً، فلما شرب سقطت ثناياه مع الماء، فقال: الحمد لله، لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء.

ثم أدخل على ابن زياد، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه، فقال له الحرسى: ألا تسلم على الأمير؟! فقال: لا! إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه، وإن لم يرد قتلي فسأسلم عليه كثيراً. فأقبل ابن زياد عليه فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض؟ قال: كلا، لستُ لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ فقال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق وأنت قلتَ بغير علم، وأنت أحقّ بذلك مني، فإني لستُ كما ذكرت، وإن أولى بها مني من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، ويقتل النفس التي حرم الله بغير نفس، ويقتل على الغضب والظن، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إن نفسك تمتيك ما حال الله دونك ودونه

ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. قال: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. قال: كأتك تظن أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: لا والله ما هو بالظن، ولكنه اليقين. قال له: قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس. قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالك. وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً، ومسلم ساكت لا يكلمه. رواه ابن جرير عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة.

ثم قال له ابن زياد: إنني قاتلك. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي. قال: أوص. فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر، إن بني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سرّ، فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك. فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد، فقام فتنحى قريباً من ابن زياد، فقال له مسلم: إن عليّ ديناً في الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين، فإنني كنت قد كتبت

إليه أنّ الناس معه، ولا أراه إلّا مقبلاً. فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له، فأجاز ذلك له كلّهُ، وقال: أمّا الحسين فإن لم يردنا لا نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه.

ثمّ أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فأصعد إلى أعلا القصر، وهو يكبر ويهلّل ويسبّح ويستغفر ويصليّ على ملائكة الله، ويقول: اللّهُمّ احكم بيننا وبين قومٍ غرّونا وخذلونا. ثمّ ضرب عنقه رجلٌ يقال له بكير بن حمران، ثمّ ألقي رأسه إلى أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده.

ثمّ أمر بهائى بن عروة المذحجيّ فضربت عنقه بسوق الغنم، وُصِّلَ بمكان من الكوفة يقال له: الكناسة، فقال رجل شاعرٌ في ذلك قصيدة:

فإن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائى في السوق وابن عقيلِ

أصاهما أمر الإمام فأصبحا

أحاديث من يغشى بكلّ سبيلِ

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه

وأخريهوي في طماره قتيلى

ترى جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمٍ قد سال كلّ مسيلِ

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكُم

فكونوا بغياً أرضيت بقليل

ثم إن ابن زياد قتل معهما أناساً آخرين، ثم بعث برؤوسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام، وكتب له كتاباً صورة ما وقع من أمرهما (١).

* * * * *

ولما انتهى مسلم إلى باب القصر وأراد شرب الماء، قال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟ والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم. فقال له ابن عقيل: ويحك، من أنت؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيت، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال له مسلم: لأمك الويل! ما أجفأك وأفظك وأغلظك يا ابن ناهلة!! أنت والله أولى بالحميم ونار الجحيم» (٢).

مشير الأحزان لابن نما (ت ٨٤١):

«فأقبلوا به أسيراً حتى دخل على عبيد الله، فلم يسلم عليه،

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٦٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٧١.

فقال له بعض الحرس: سلّم على الأمير. فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي ليكثرن سلامي عليه. وقيل: إنّه قال: أسكت، ويحك، ما هولي بأمر. فقال عبيد الله: لا عليك، سلّمّت أم لم تسلّم فإنّك مقتول. قال: إن تقتلني فلقد قتل من هو شرّ منك من هو خير منّي، فإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة، لا أحد أولى بها منك.

فقال ابن زياد: يا عاقّ يا شاقّ، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألححت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين أنت وأبوك زياد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على أيدي شرّ البريّة. فقال ابن زياد: متّك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال مسلم: ومن أهله يا ابن مرجانة؟ قال: يزيد بن معاوية. فقال مسلم: الحمد لله، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال ابن زياد: أتظنّ أنّ لك شيئاً من الأمر؟ قال: والله ما هو الطنّ، وإنّما هو اليقين. فقال ابن زياد: ما كان في قيان المدينة ما يشغلك عن السعي في فساد أمة محمّد؟ أتيتهم وكلمتهم واحدة ففرقتهم. فقال: ما للفساد أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وأنّ معاوية ظلمهم

وحمل فيئهم إليه، فجئتُ لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأقوم بالقسط وأدعو إلى حكم الكتاب، وإن كنتَ لأبَد قاتلي دعني أوصي. فنظر إلى عمر بن سعد، فقال: لي إليك حاجة، وبينني وبينك رحم. قال عبيد الله: انظر إلى حاجة ابن عمك. فتنحياً بحيث لا يراها أحد، فقال: إِنَّ عَلِيَّ دِيناً مَدْخَلَت الكوفة فاقضه عني، واطلب جثتي من ابن زياد ووارها، وابعث إلى الحسين مَنْ يردّه ويحذّره من أهل الكوفة، فَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا مُقْبِلاً. فأخبر عمر بن سعد لعبيد الله بن زياد ما قال، فقال: ماله له لا نمنعه أن يصنع به ما شاء، وأمّا الحسين إن تركنا لم نرده، وأمّا جثته فإذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها. وأمر بقتله، فأغلظ له مسلم في الكلام والسب، فأصعد على القصر فضرب عنقه بكير بن حمران الأحمريّ، ألقي جسده إلى الناس، وأمر بهاني بن عروة فُسْحِبَ إلى الكناسة، فُقْتِلَ وَصُلِبَ هناك، وقيل: ضرب عنقه في السوق غلاماً لعبيد الله اسمه رشيد.

وَرُويَت هَذِهِ الْأَبْيَات عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيِّ:

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِيْنَ بِالمَوْتِ فَانْظُرِيْ

إِلَى هَانِيٍ بِالسُّوقِ وَابْنِ عَقِيلٍ

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
 وآخريهوى من طمار قتيلى
 أصابهما أمر الأمير فأصبحا
 أحاديث من يسعى بكلّ سبيل
 أيركب أسماء الهماليج آمناً
 وقد طلبته مذحجٌ بذحول
 ترى جسداً قد غير الموت لونه
 ونضخ دمٌ قد سال كلّ مسيل
 تطيف حفافيه مراد وكلّهم
 على رقبة من سائل ومسول
 فإن أنتم لم تثاروا بأخيكُم
 فكونوا بغايا أرضيت بقتيل
 وبعث عبيد الله بن زياد برأس مسلم وهاني إلى يزيد بن
 معاوية مع الزبير بن الأرواح التميمي أحد بني مالك بن سعد
 ومع هاني بن أبي حية الوداعي، وأخبره بأمرهما (١).

* * * * *

وكتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد: قد بلغني أنّ

(١) مشير الأحران لابن نما: ٢٤.

حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابْتُئلي به زمانك من بين
الأزمان وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال،
وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد» (١).

تهذيب التهذيب لابن حجر (ت ٨٥٢):

«فأعطاه محمد بن الأشعث الأمان، فأمكن من يده، فجاء به
إلى عبيد الله، فأمر به فأُصعد إلى أعلى القصر، فضرب عنقه
وألقى جثته إلى الناس، وأمر بهائي فُسحب إلى الكنيسة
فصُلب هناك، فقال شاعرهم في ذلك:
فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هائي في السوق وابن عقيل

الآيات (٢).

الفصول المهمة لابن الصبّاغ (ت ٨٥٥)، نور الأبصار للشبلنجي:

«فلما أصبح [ابن زياد ليلة دخوله الكوفة] جمع الناس، فصال
وجال، وقال فطال، وأرعد وأبرق، مسك جماعة من أهل

(١) مثير الأحزان لابن غما: ٤٠.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٠٣.

الكوفة فقتلهم في الساعة، ثم إنه تحيل عليهم حتى ظفربمسلم
ابن عقيل! فسكه وقتله» (١).

الجمهرة للبري (ق ٧):

«وكان مسلم بن عقيل لما قدم ليقول بين يدي عبيد الله بن
زياد، وقد أثنى جراحاً، نظر هل يرى أحداً من قريش؟ فرأى
عمر بن سعد، فقال: أدن مني. فدنا منه عمر، فقال: أنت
أقرب الناس إلي في السبب، فإن أردت أن تفوز بشرف
الدارين فابعث إلى حسين ليرجع من الطريق، فإنني تركته
ومن معه وهم تسعون إنساناً على الخروج من مكة، وإنيهم
الآن في الطريق، واكتب إليه بما أصابني. فلما انصرف عنه عمر
ابن سعد قال لابن زياد: أتدري ما قال لي مسلم؟ قال: أكتب
على ابن عمك. قال: الأمر أعظم من ذلك. قال: أكتب على ابن
عمك. فلما أكثر على ابن زياد فيها قال له مسلم، قال له:
قل. قال: أخبرني أن حسيناً خرج في أهله وقرابته ومن اتبعه
من الناس إلى الكوفة. قال له ابن زياد: أما إذ أخبرني فوالله
لا خرج لقتاله غيرك، أما والله لو أسرني كما أسر إليك

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٨٥، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

لرددتهم، ويحك ما حفظت وصية ابن عمك حين رآك لها
أهلاً» (١).

المنتخب للشيخ الطريحي (ت ١٠٨٥):

«فأوثقوه وأخذوه إلى ابن زياد، فنظر مسلم إلى برادة هناك
فيها ماء، وكان له يومان ما شرب الماء، فقال لمن يليها: اسقني
ماءاً والجزء على الله تعالى وعلى رسوله. فرفع إليه البرادة،
فلما تناولها منه ردها إليه وقال: خذها، لا حاجة لي فيها.
ثم أدخلوه إلى ابن زياد، فقال له القوم: سلم على الأمير. فقال:
السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع
الملك الأعلى. فضحك ابن زياد، فقال له بعض الحجة: أما
ترى الأمير يضحك في وجهك، فلم لا تسلم عليه بالإمارة؟
فقال مسلم: والله ما لي أمير غير الحسين بن علي عليه السلام، وإنما
يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه الموت.

ولله درمَن قال من الرجال:

اصبر لكل مصيبة وتجلد

واعلم بأن المرء غير مخلد

(١) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري: ٤٣.

وَإِذَا ذَكَرْتَ مَصِيبَةً تَشْجِي بِهَا
فَاذْكُرْ مَصِيبَةَ آلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
وَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الْكَرَامُ فَإِنَّهَا
نُوبٌ تَنْوُبُ الْيَوْمَ تَكْشِفُ فِي غَدٍ

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَالَ لَهُ: سَوَاءٌ عَلَيْكَ سَلَمْتُ أَمْ لَمْ تَسَلَمْ فَإِنَّكَ
مَقْتُولٌ. فَقَالَ: إِذَا كَانَ لِابْنٍ مِنْ قَتْلِي فلي إِلَيْكُمْ حَاجَةٌ. قَالُوا:
وَمَا هِيَ؟ قَالَ: أُرِيدُ رَجُلًا قَرَشِيًّا أَوْصِيَهُ. فَهَضَّ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ
- لَعَنَهُ اللَّهُ -، فَقَالَ لَهُ: مَا وَصَيْتَكَ؟ فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي. فَدَنَى
مِنْهُ. فَقَالَ لَهُ: أَوَّلُ وَصِيَّتِي: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ عَلِيًّا وَلِيُّ اللَّهِ وَوَصِيِّ رَسُولِهِ وَخَلِيفَتِهِ فِي
أَمَّتِهِ، وَثَانِيًا: تَأْخُذُ دِرْعِي تَبِيعَهُ وَتَقْضِي عَنِّي سَبْعِمِائَةَ دِرْهَمٍ
اسْتَقْرَضْتُهَا مِنْذُ دَخَلْتُ إِلَى مِصْرَ كَمْ هَذَا، [و]ثَالِثًا: أَنْ تَكْتُبَ
إِلَى سَيِّدِي الْحُسَيْنِ يَرْجِعُ وَلَا يَأْتِي إِلَى بَلَدِكُمْ فَيُصِيبُهُ مَا
أَصَابَنِي، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ إِلَى الْكُوفَةِ. فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الشَّهَادَةِ فَكَلَّمْنَا نَشْهَدُهَا، وَأَمَّا مَا
ذَكَرْتَ مِنْ بَيْعِ الدَّرْعِ وَقِضَاءِ الدِّينِ فَذَلِكَ إِلَيْنَا إِنْ شِئْنَا قَضِيئَهُ
وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَقْضِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ فَلَا بَدَّ أَنْ
يَقْدُمَ عَلَيْنَا وَنَذِيقَهُ الْمَوْتَ غَضَّةً بَعْدَ غَضَّةٍ. ثُمَّ إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ سَمِعَ

بذلك، فقال: قَبَّحَكَ اللهُ من مستودع سرّاً، وحيث أنك
أفشيت سرّه فلا يخرج إلى حرب الحسين غيرك.

ثمّ أمر بمُسلم أن يُصعد به إلى أعلى القصر ويُرْمى منه منكساً
على رأسه، فعند ذلك بكى مسلم على فراق الحسين عليه السلام،
وقال:

جزى الله عنا قومنا شرّ ما جزى شرار الموالى بل أعقّ وأظلم
همُ منعونا حقّنا وتظاهروا علينا ورامونا نذلّ ونرغم
وغاروا علينا يسفكون دماءنا فحسبهم الله العظيم المعظم
ونحن بنو المختار لا شيء مثلنا نبيّ صدوق مكرم ومكرم

قال: ثمّ ألقي من أعلى القصر وعجل الله بروحه إلى الجنة.
ثمّ إنهم أخذوا مسلماً وهائناً يسحبونهما في الأسواق، فبلغ
خبرهما إلى مذحج، فركبوا خيولهم وقاتلوا القوم، وأخذوهما
ودفنوهما، رحمة الله عليهما، وعذب قاتليهما بالعذاب الشديد
يوم الوعيد.

ولله درّ من قال من الرجال:

فإن كنت لا تدريين بالموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه

وأخريهوي من طمار قتيل

أصاهما أمر الأمير فأصبحا
أحاديث من يسري بكل سبيل
ترى جسداً قد غيّر الموت لونه
ونضيج دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحبي من فتاة حيّة
وأقطع من ذي شفرتين صقيل
وأشج من ليث ببطن مسبل
وأجراً من ليث بغابة غيل
ثم إن ابن زياد - لعنه الله - بعث كتاباً إلى يزيد - لعنه الله - يخبره
بقصتهما، فكتب إليه الجواب يقول: كنت كما أردت وفعلت ما أحببت
وصدقت ظني فيك، وقد بلغني أن الحسين متوجه إلى العراق، فضع
عليه المراسيد واكتب إلي بما يحدث من الأمور، والسلام» (١).

بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ت ١١١١):

«رجعنا إلى كلام المفيد رحمته الله، قال: وأقبل ابن الأشعث بابن
عقيل إلى باب القصر، واستأذن فأذن له، فدخل على عبيد
الله بن زياد، فأخبره خبر ابن عقيل وضرب بكر إياه وما كان
من أمانه له، فقال له عبيد الله: وما أنت والأمان؟ كأننا

(١) المنتخب للطريحي: ٤١٧ وما بعدها.

أرسلناك لتؤمنه، إنما أرسلناك لتأتينا به! فسكت ابن الأشعث. وانتهى بابن عقيل إلى باب القصر، وقد اشتدّ به العطش، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن، فيهم عمارة ابن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو وكثير بن شهاب، وإذا قلة باردة موضوعة على الباب، فقال مسلم: اسقوني من هذا الماء! فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم. فقال له ابن عقيل: ويحك، من أنت؟ فقال: أنا الذي عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وأطاعه إذ خالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال له ابن عقيل: لأملك الثكل، ما أجفأك وأقطعك وأقسي قلبك، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني. ثم جلس فتساند إلى حائط، وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فأتاه بقلّة عليها منديل وقدر فصّب فيه ماءً، فقال له: اشرب. فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً من فمه ولا يقدر أن يشرب، ففعل ذلك مرّتين، فلمّا ذهب في الثالثة ليشرّب سقطت ثنياه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

وخرج رسول ابن زياد فأمر بإدخاله إليه، فلمّا دخل لم يسلم عليه بالإمرة، فقال له الحرسيّ: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فليكثرن سلامي عليه. فقال له ابن زياد: لعمرى لثقتلن. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي. قال: افعل. فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله بن زياد، وفيهم عمر ابن سعد بن أبي وقّاص، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب لي عليك نُجَحّ حاجتي، وهي سرّ. فامتنع عمر أن يسمع منه، فقال له عبيد الله بن زياد: لم تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك؟ فقام معه، فجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد، فقال له: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنتّه منذ قدمت الكوفة سبع مائة درهم، فبع سيفي ودرعي فاقضها عني، وإذا قتلْتُ فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يرده، فإنّي قد كتبتُ إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلّا مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري أيّها الأمير ما قال لي؟ إنّه ذكر كذا وكذا. فقال ابن زياد: إنّه لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أمّا ماله فهو له ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحب، وأمّا جثته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما

صنع بها، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده.

ثم قال ابن زياد: إيه ابن عقيل، أتيت الناس وهم جمعُ فشتت بينهم وفترت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض. قال: كلاً، لستُ لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى الكتاب. فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لم تعمل فيهم بذلك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال مسلم: أنا أشرب الخمر؟ أما والله إنَّ الله ليعلم أنَّك غير صادق، وأنت قد قلتَ بغير علم، وأني لستُ كما ذكرت، وأنت أحقُّ بشرب الخمر مني، وأولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها ويسفك الدم الذي حرم الله على الغضب والعداوة وسوء الظنِّ، وهويلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق، إنَّ نفسك ممتك ما حال اللهُ دونه ولم يرك الله له أهلاً. فقال مسلم: فمن أهله إذا لم نكن نحن أهله؟ فقال ابن زياد: أمير المؤمنين يزيد. فقال مسلم: الحمد لله على كلِّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد: قتلي الله إن لم أقتلك قتلةً لم يقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس. فقال له

مسلم: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، لا أحد أولى بها منك.

فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه. ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر، فاضربوا عنقه ثم أتبعوه جسده. فقال مسلم ﷺ: والله لو كان بيني وبينك قرابة ما قتلتنى. فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعا بكر بن حمران الأحمري، فقال له: اصعد، فليكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد به، وهو يكبر ويستغفر الله ويصلي على رسول الله ﷺ، ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. وأشرفوا به على موضع الخدّائين اليوم، فضرب عنقه وأتبع رأسه جثته.

وقال السيد: ولما قتل مسلم منهم جماعة، نادى إليه محمد بن الأشعث: يا مسلم لك الأمان. فقال مسلم: وأي أمانٍ للغدرة الفجرة؟ ثم أقبل يقاتلهم، ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن: أقسمت لا أُقتل إلا حراً.. إلى آخر الأبيات، فنادى إليه أنك لا تكذب ولا تغرّ، فلم يلتفت إلى ذلك، وتكاثروا عليه بعد أن أنخن بالجراح، فطعنه رجل من

خلفه فخر إلى الأرض، فأخذ أسيراً.

فلما دخل على عبيد الله لم يسلم عليه، فقال له الحرسي: سلم على الأمير. فقال له: اسكت يا ويحك، والله ما هولي بأمر. فقال ابن زياد: لا عليك، سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول. فقال له مسلم: إن قتلني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني. ثم قال ابن زياد: يا عاق ويا شاق، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألحقت الفتنة. فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد، إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأما الفتنة فإنما ألحقتها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شريرته.

ثم قال السيد بعدما ذكر بعض ما مر: ف ضرب عنقه، ونزل مذعوراً، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ فقال: أيها الأمير، رأيت ساعة قتلته رجلاً أسود سيء الوجه حذائي، عاضاً على إصبعه - أو قال: شفتيه -، ففرغت فزعاً لم أفزعه قط! فقال ابن زياد: لعلك دهشت.

وقال المسعودي: دعا ابن زياد بكير بن حمران الذي قتل مسلماً، فقال: أقتلته؟ قال: نعم. قال: فما كان يقول وأنتم

تصعدون به لتقتلوه؟ قال: كان يكبر ويسبح ويهلل ويستغفر الله، فلما أدنيناه لنضرب عنقه قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا، فقلت له: الحمد لله الذي أقادني منك، وضربته ضربة لم تعمل شيئاً، فقال لي: أو ما يكفيك في خدش مني وفاء أ بدمك أيها العبد؟ قال ابن زياد: وفخراً عند الموت؟! قال: وضربته الثانية فقتلته (١).

* * * * *

وفي مسلم بن عقيل وهاني بن عروة - رحمهما الله - يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه

وأخريهوي من طمار قتل

أصاهما أمر اللعين فأصبحا

أحاديث من يسري بكل سبيل

ترى جسداً قد غير الموت لونه

ونضح دم قد سال كل مسيل

فتى كان أحيا من فتاة حيّة
وأقطع من ذي شفرتين صقيل
أركب أسماء الهماليج آمناً
وقد طالبتَه مذحجٌ بذحول
تطيف حوالبه مراد وكلّهم
على رقبة من سائلٍ ومسولٍ
فإن أنتم لم تثاروا بأخيكُم
فكونوا بغايا أرضيت بقليل

ولما قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة - رحمة الله عليهما -،
بعث ابن زياد برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوادعي والزيبر
ابن الأروح التميمي إلى يزيد بن معاوية، وأمر كاتبه أن يكتب
إلى يزيد بما كان من أمر مسلم وهاني، فكتب الكاتب وهو
عمرو بن نافع فأطال فيه، وكان أول من أطال في الكتب، فلما
نظر فيه عبيد الله كرهه وقال: ما هذا التطويل وهذه الفضول؟
أكتب: أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه
وكفاه مؤونة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أنّ مسلم بن عقيل لجأ
إلى دار هاني بن عروة المرادي، وأنّي جعلتُ عليهما المراسد
والعيون ودسست إليهما الرجال، وكدّتهما حتّى أخرجتهما

وأمكن الله منهما، فقدّمتهما وضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عما أحبّ من أمرهما، فإنّ عندهما علماً وورعاً وصدقاً، والسلام. فكتب إليه يزيد: أمّا بعد، فإنّك لم تعد أن كنت كما أحبّ، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنييت وكفيت، وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك وسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس، واحبس على الظنة واقتل على التهمة، واكتب إليّ في كلّ يوم ما يحدث من خبر إن شاء الله.

وقال ابن نما: كتب يزيد إلى ابن زياد: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد» (١).

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٤٤ / ٣٥٨.

جلاء العيون:

«وفي روايةٍ أخرى: إنه لما شاهد ذلك قبل أن يقتله يبست يده، فلمّا أخبر ابن زياد - لعنه الله - بذلك دعاه واستعلم منه ذلك، فتبسّم وقال: لما أردت أن تفعل خلاف عادتك دهشت وتخيّل لك ذلك، فأرسل ابن زياد رجلاً غيره إلى أعلى القصر، فلمّا أراد قتله رأى النبي صلى الله عليه وآله قد تصوّر له، فدهش ومات من ساعته، فأرسل ابن زياد الشاميّ الملعون فقتله» (١).

ينابيع المودّة للقندوزي (ت ١٢٩٤):

«فأوثقوه وآتوه إلى ابن زياد، ف قيل له: سلّم على الأمير. فقال مسلم: والله ما لي أمير غير الحسين عليه السلام. ثمّ أنشد:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلّد واعلم بأنّ المرء غير مخلّد
وإذا ذكرت مصيبةً تشجى لها فاذكر مصيبة آل بيت محمّد
واصبر كما صبر الكرام فإنّها نوب تنوب اليوم تكشف في غد
فقال ابن زياد: يا مسلم، سواء عليك سلّمت أو لم تسلّم أنّك مقتولٌ لا محالة.

(١) جلاء العيون للمجلسي: ٦٢٢، جلاء العيون للسيد عبد الله شبر: ٢ / ١٦٨.

قال مسلم: أريد رجلاً قرشياً أوصيه. فقام عمر بن سعد إليه وقال له: ما وصيتك؟ فقال له: أول وصيتي: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ علياً وليّ الله ووصي رسوله وخليفته في أمته، والثانية: تبيع درعي وتقضي عني سبعمائة درهم استقرضتها، والثالثة: أن تكتب إلى سيدي الحسين يرجع ولا يأتي إلى بلدكم. فقال ابن سعد: أما ما ذكرت من الشهادة فكلنا نشهد بها، وأما بيع الدرع وقضاء الدين إن شئنا قضيناه وإلا لا، وأما من أمر الحسين فلا بدّ أن يقدم إلينا ونذيقه الموت.

ثمّ أمر ابن زياد أن يصعد بمسلم إلى أعلى القصر ويرمى منه، فبكى مسلم على فراق الحسين - رضي الله عنهما - وجعل يقول:

جزى الله عنا شرّاً قد جرى شرار الموالي بل أعقّ وأظلمنا
همّ منعونا حقّاً وتظاهروا علينا وراموا أن نذلّ ونرغمنا
وغاروا علينا يسفكون دماءنا فحسبهم الله العظيم المعظماً
ونحن بنو المختار لا شيء مثلنا وفينا نبي مكرم ومكرما

ثمّ ألقوه من أعلى القصر، وعجل الله بروحه إلى الجنة.

ثمّ أخذوا مسلماً وهانياً فألقوهما في الأسواق، فبلغ خبر مسلم

وهانئ إلى قبائل مذحج، فقاتلوا القوم، فغسلوهما ودفنوهما - رحمهما الله -» (١).

مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف المشهور:

«وأخذوه أسيراً إلى ابن زياد، فلما أتوا به إلى قصر الإمارة نظر إلى برّادة فيها ماء، وكان له يومان ما شرب الماء، لأنه كان نهاره يجاهد وليله ساجداً، فقال للساقى: يا شيخ، اسقني شربةً من ماء، فإن عشتُ كافيْتُك، وإن متَّ كان المكافي رسول الله. فدفع إليه برّادة، فلما أخذها ووضعها في فيه سقطت أضراره في الإناء، فردّها مسلم وقال: لا حاجة لي بالماء.

ثم أدخلوه على ابن زياد - لعنه الله -، فلما نظر مسلم إلى تجربته قال: السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى. فتبسّم ابن زياد - لعنه الله -، فقال بعض حجابيه: يا مسلم، أما ترى الأمير ضاحكاً عليك، لو قلت: السلام عليك أيها الأمير. فقال مسلم: والله ما علمت أنّ لي أميراً غير الحسين عليه السلام، وإنما يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه. فقال ابن زياد - لعنه الله -: سواء عليك سلّمت أو لم

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٥٨ - بتحقيق: السيّد علي أشرف.

تسلّم فإنّك مقتول في هذا اليوم.

فقال مسلم: إذا كان لابدّ من قتلي فإنّي أريد رجلاً قرشيّاً أوصيه بوصيّة. فقام إليه ابن سعد، فقال عليه السلام: أوّل وصيتي: شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنّ عليّاً وليّ الله، والثانية: أن تكتبوا إلى سيّدي الحسين عليه السلام أن يرجع عنكم، فقد بلغني أنّه خرج بنسائه وأولاده وأخاف أن يصيبه ما أصابني. فقال عمر بن سعد: أمّا ما ذكرت من الشهادة فكلّنا نقرّها، وأمّا ما ذكرت من بيع درعك وقضاء دينك فنحن أولى، إن شئنا قضينا وإن شئنا لم نقضه، وأمّا الحسين عليه السلام فلا بدّ أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصّة بعد غصّة. ثمّ التفت إلى ابن زياد - لعنه الله - وأخبره بما أوصاه، فقال ابن زياد - لعنه الله -: قبّحك الله من مستودع سرّاً، والله لو أنّه باح إليّ سرّه لكتمت عليه وقضيت حاجته، ولكن من حيث أفشيت سرّه فلا يخرج إلى حرب الحسين عليه السلام غيرك.

ثمّ أمر ابن زياد أن يصعد بمسلم إلى أعلى القصر وينكسه على أمّ رأسه، فلمّا صعد به قال مسلم عليه السلام: دعني أصليّ ركعتين وافعل ما بدا لك. فقال: ليس إلى ذلك سبيل. ثمّ بكى

مسلم عليه السلام وأنشأ يقول:

جزى الله عنا قومنا شرّما جزى

شرار الموالى بل أعقّ وأظلما

همْ منعونا حقّنا وتظاهروا

علينا وراموا أن نذلّ ونرغما

أغاروا علينا يسفكون دمائنا

ولم يرقبوا فينا ذماماً ولا دماً.

فنحن بنو المختار لا خلق مثلنا

نبيّ أبت أركانه أن تهدّما

فأقسم لولا جيشكم آل مذحج

وفرسانها والحركان المقدّما

قال: فنادى ابن زياد - لعنه الله - يا ويلك، ألقه. فرموه على
أُمّ رأسه فقضى نحبه.

ثمّ أمر بهاني بن عروة فأخرجوه وضربت عنقه، فبلغ ذلك
مذحج، فركبوا جميعاً وقاتلوا ابن زياد قتالاً شديداً، وكانوا
يسحبون مسلماً وهانياً في الشوارع، فحملت عليهم مذحج
ففزقوهم، وأخذوا مسلماً وهانياً وغسلوهما وكفنوهما وصلّوا
عليهما ودفنوهما.

وذكر عبد الله بن الزبير أَنَّ الفرزدق رثاهما بقوله:

إذا كنتِ لا تدرين بالموت فانظري

إلى هاني بالسوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه

وأخريهوي من جدار قتيل

أصاهما أمر اللعين فأصبحا

أحاديث من يسري بكلّ قبيل

ترى جسداً قد غيّر الموت لونه

ونضح دمٍ قد سال أيّ مسيل

فتيّ كان أحيا من فتاةٍ حيّة

وأقطع من ذي شفرتين صقيل

تطوف حواليه مراد وكلّهم

على رفقةٍ من سائل ومسول

أيركب أسماء الهماليج آمناً

وقد طالبتّه مذحج بقتيل

فإن أنتم لم تطلبوا بأخيكم

فكونوا بغايا أرضيت بقليل

قال: فبلغ ذلك مذحج، فقالوا: والله إنّ إسماء بن خارجة أجلّ

عندنا من صاحبنا، ولو كنّا طالبين بدمه لأخذناه من ابن

الأشعث، ولكنّ ذلك من أمر السلطان.

ثم إنّ ابن زياد لما قتل هانياً ومسلماً أنفذ برأسيهما إلى يزيد، وكتب: الحمد لله الذي أخذ للخليفة حقّه وكفاه عدوّه، واعلم أيّها الخليفة أنّ مسلم بن عقيل ورد إلى هاني بن عروة، فعرضت عليهما المراصد، فضربت أعناقهما وأنفذت إليك برأسيهما. قال: فلمّا وصل الكتاب إلى يزيد فرح واسترّ، ثمّ كتب جوابه: أمّا بعد، فقد علمت أنّك أحبّ الناس إليّ، ولعمري لقد نصحت وأغنيت وكفيت، وصلت صولة الأسد، ولقد دعوت رسوليك وسألتهما عمّا شرحت، فوجدتهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وقد بلغني أنّ الحسين توجّه إلى العراق، فضع المراصد واكتب إليّ كلّ يوم بخبره.

قال أبو مخنف: وكان محمّد بن الأشعث قد أخذ سيف

مسلم عليه السلام ودرعه، فأنشد عبد الله في ذلك:

أتركت مسلم لا تقاتل دونه

حذر المنية أن تكون صريعاً

وقتلّ وافد آل بيت محمّد

وسلبت أسيفاً له ودروعاً

لو كنت من أسد عرفت مكانه

ورجوت أحمد في المعاد شفيعا (١)

إبصار العين للشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠):

«قال أبو مخنف: ثم أقبل محمد بن الأشعث بمسلم إلى باب القصر، فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيد الله بنجر مسلم وضرب بكبريائه، فقال: بعداً له. فأخبره بأمانه، فقال: ما أرسلناك لتؤمنه، إنما أرسلناك لتأتي به. فسكت.

وانتهى مسلم إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر أناس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث ومسلم بن عمرو الباهلي وكثير بن شهاب، فاستسقى مسلم وقد رأى قلة موضوعة على الباب، فقال مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم! فقال له: ويحك، من أنت؟ قال: أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي. فقال: لأمك الثكل! ما أجفاك وما أفظك وأقسى

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٥٥ وما بعدها.

قلبك وأغظك! أنت - يا ابن باهلة - أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني. ثم تساند وجلس إلى الحائط، فبعث عمرو بن حريث مولاه سليمان فجاءه بقلّة، وبعث عمارة غلامه قيساً فجاءه بقلّة عليها منديل، فصبّ له ماءً أبقح، فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً من فمه، حتّى إذا كانت الثالثة سقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لي لشربته.

ثمّ أدخل مسلم، فلم يسلم بالإمرة على عبيد الله، فاعترضه الحرسيّ بذلك، فقال عبيد الله: دعه فإنّه مقتول. فقال له مسلم: أكذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي. فنظر إلى جلساء عبيد الله، فإذا عمر بن سعد فيهم، فقال: يا عمر، إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وقد يجب عليك نبح حاجتي، وهو سرّ. فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال له عبيد الله: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك. فقام معه وجلس بحيث ينظر إليه ابن زياد، فقال: إنّ عليّ بالكوفة ديناً استدنته منذ قدمت الكوفة سبعة درهم، فاقضها عني ببيع لامتي، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين عليه السلام من يردّه، فإنّي كتبْتُ إليه أعلمه أنّ الناس معه

ولأأراه إلا مقبلاً. فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال لي؟ إنه قال كذا وكذا. فقال ابن زياد: ما خانك الأمين، ولكن ائتمنت الخائن، أما ماله فهو لك فاصنع به ما شئت، وأما جثته فلن نبالي إذا قتلناه ما يصنع بها، أو قال: فلن نشفعك فيها، فإنه ليس بأهلٍ منا لذلك، قد جاهدنا وجهد على هلاكنا، وأما حسينٌ فإن لم يردنا لم نرده وإن أردنا فلن نكف عنه.

ثم قال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، لتشتتهم وتحمل بعضهم على بعض؟ قال: كلا، ما أتيتُ لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق، أولم تكن تعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ قال: أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله يعلم أنك غير صادق، وأنت قلتَ بغير علم، وأني لست كما ذكرت، وإن أحقَّ بشرب الخمر مني من يبلغ في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن، وهو يلهو ويلعب كأن لم يصنع شيئاً. فقال ابن زياد: يا

فاسق، إِنَّ نَفْسَكَ تَمْنِيكَ مَا حَالُ اللَّهِ دُونَهُ وَلَمْ يَرْكُ أَهْلُهُ. قَالَ:
فَمَنْ أَهْلُهُ يَا ابْنَ زِيَادٍ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ،
رَضِينَا بِاللَّهِ حَكَمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. قَالَ: كَأَنَّكَ تَنْظُرُ أَنَّ لَكُمْ فِي
الْأَمْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: مَا هُوَ الظَّنُّ، وَلَكِنَّهُ الْيَقِينُ. قَالَ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ
لَمْ أَقْتُلْكَ قَتْلَةً لَمْ يَقْتُلْهَا أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ! قَالَ: أَمَا إِنَّكَ أَحَقُّ مِنْ
أَحَدٍ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثًا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ، أَمَا إِنَّكَ لَا تَدْعُ سَوْءَ
الْقَتْلَةِ وَقَبْحَ الْمَثَلَةِ، وَخَبَثَ السَّرِيرَةِ وَلَوْمَ الْغَلْبَةِ لِأَحَدٍ أَحَقُّ بِهَا
مِنْكَ.

فَأَخَذَ ابْنَ زِيَادٍ يَشْتُمُهُ وَيَشْتُمُ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا وَعَقِيلًا، وَأَخَذَ
مُسْلِمٌ بِالسَّكُوتِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ، فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: اصْعَدُوا بِهِ
فَوْقَ الْقَصْرِ، وَادْعُوا بِكَبِيرِ بْنِ حَمْرَانَ الْأَحْمَرِيِّ الَّذِي ضَرَبَهُ
مُسْلِمٌ. فَصَعَدُوا بِهِ، وَأَحْضَرَ بِكَبِيرٌ فَأَمَرَهُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ وَيَتْبَعَ
بِرَأْسِهِ جَسَدَهُ مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ، فَصَاحَ مُسْلِمٌ بِمُحَمَّدِ بْنِ
الْأَشْعَثِ: قُمْ بِسَيْفِكَ دُونِي، فَقَدْ أَخْفَرْتَ ذِمَّتَكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا
أَمَانُكَ مَا اسْتَسْلَمْتُ. فَأَعْرَضَ مُحَمَّدٌ، وَجَعَلَ مُسْلِمٌ يَسْتَبِيحُ اللَّهَ
وَيَقْدِّسُهُ وَيَكْبِّرُهُ وَيَسْتَغْفِرُهُ وَيُصَلِّيُ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ،
وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ غَرَّوْنَا وَكَذَبُونَا وَأَذَلَّوْنَا.
فَأَشْرَفَ بِهِ مِنْ عَلَى الْقَصْرِ، فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ وَأَتْبَعَ جَسَدَهُ رَأْسَهُ،

ونزل بكير، فقال له ابن زياد: وما كان يقول؟ قال: إنّه كان يسبّح ويستغفر، فلمّا أدنيته قلت: الحمد لله الذي أقادني منك. وضربته ضربةً لم تغنِ شيئاً، فقال لي: أما ترى في خدشٍ تחדشنيه وفاءً من دمك أيّها العبد؟ فقال ابن زياد: أو فخرًا عند الموت؟ ثمّ قال: إيه، قال: وضربته الثانية فقتلته.

ثمّ أمر ابن زياد بقتل هاني وجملة من المحبوسين، وجُرت جثتا مسلم وهاني بحبلين في الأسواق.

وقُتل مسلم في اليوم الثامن من ذي الحجة يوم خروج الحسين عليه السلام من مكة.

قال أبو مخنف: وحَدَّث عبد الله بن سليم والمذري بن المشعل الأسديّ، قالا: لما قضينا حجّنا لم يكن لنا همّة إلاّ اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتّى لحقناه بزرود، فلمّا دنونا منه إذا نحن برجلٍ من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين كأنّه يريدّه، ثمّ تركه ومضى، فقال أحدهما لصاحبه: إمض بنا إليه لنسأله عن خبر الكوفة. فانتهينا إليه وسلّمنا وانتسبنا، فإذا هو بكير بن المثعبة الأسديّ، فاستخبرناه عن الكوفة، فقال: ما خرجت حتّى

رأيت مسلماً وهانياً قتيلاً يجران بأرجلهما في السوق . ففارقناه
ولحقنا بالحسين ، فسلمنا عليه وسائرناه حتى نزل الثعلبية
ممسياً ، فدخلنا عليه وقلنا له : يرحمك الله ، إنَّ عندنا خبراً إن
شئتَ حدّثناك به علانيةً وإن شئتَ سراً . فنظر إلى أصحابه
وقال : ما دون هؤلاء سرّ . فقلنا : أرايتَ الراكب الذي استقبلك
عشاء أمس ؟ قال : نعم ، وقد أردتُ مسألتَه . فقلنا : قد استبرأنا
لك خبره وكفيناك مسألتَه ، وهو امرؤٌ من أسد منّا ذورأيٍ
وصدقٍ وفضلٍ وعقلٍ ، وإنّه حدّثنا بكيت وكيت . فاسترجع
وقال : رحمة الله عليهما . وكرّرها مراراً ، فقلنا : ننشدك الله في
نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت ، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ،
بل تتخوّف أن يكونوا عليك . فاعترضته بنو عقيل بأننا لا
نترك ثأرنا ، فالتفت إلينا الحسين وقال : لا خير في العيش بعد
هؤلاء . فعلمنا أنّه عزم على المسير ، فقلنا له : خار الله لك .
فدعانا ، فقال له أصحابه : إنّك والله ما أنت مثل مسلم ، ولو
قدمت الكوفة كان الناس إليك أسرع .

قال أهل السير : ولما ورد الحسين زباله أخرج كتاباً لأصحابه
فقرأه عليهم ، وفيه : أمّا بعد ، فقد أتانا خبرٌ فظيع ، إنّّه قتل
مسلم وهاني وعبد الله بن يقطر ، وقد خذلنا شيعتنا ، فمن أحبّ

منكم الانصراف فليصرف ليس عليه منّا ذمام. فتفرّق الناس عنه يميناً وشمالاً إلّا صفوته.

وروى بعض المؤرخين: أنّ الحسين لما قام من مجلسه بالثعلبية، توجه نحو النساء وانعطف على ابنة لمسلم صغيرة، فجعل يمسح على رأسها، فكأتمها أحسّت، فقالت: ما فعل أبي؟ فقال: يا بُنَيّة، أنا أبوك. ودمعت عينه، فبكت البنت وبكت النساء لذلك (١).

* * * * *

قال أهل السيرة: ثمّ إنّ ابن زياد بعث برأسي مسلم وهاني إلى يزيد مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأرواح التميمي، واستوهبت الناس الجثث، فدفنوها عند القصر حيث تزار اليوم، وقبراها كلّ على حدة.

وإنّي لأستحسن كثيراً قول السيّد الباقر بن السيّد محمّد الهندي فيه:

سقتك دماً يا ابن عمّ الحسين مدامعُ شيعتك السافحة
ولا برحت هاطلات الدموع تحيّك غاديةً راحّة
لأنك لم تُرو من شربة ثنياك فيها غدت طائحة

(١) إِبصار العين للشيخ محمّد السماوي: ٨٣.

رموك من القصر إذ أوثقوك فهل سلمت فيك من جارحة
 تُجرب بأسواقهم في الحبال ألسنت أميرهم البارحة
 أتقضي ولم تبكك الباقيات أما لك في المصر من نائحة
 لأن تقض نخباً فكم في زرود عليك العشيّة من صائحة

ولي في ذلك:

نزفت دموعي ثمّ أسلمني الجوى
 لقارعة ما كان فيها بمسلم
 أجيل وجوه الفكر كيف تحاذلت
 بنو مضر الحمراء عن نصر مسلم
 أما كان في الأرباع شخصٌ بمؤمن
 وما كان في الأحياء حيٌّ بمسلم» (١)

معالي السبطين للمازندراني (ت ١٣٨٤):

«ثمّ أدخل على ابن زياد، وقد اجتمع الناس حول دار الإمارة،
 فمنهم من يقول بأنّ مسلماً مقتول لا محالة، ومنهم من يقول
 بأنّه يساق إلى الشام، ومنهم من يقول بأنّه يحبس حتّى يأتي
 الخبر من يزيد في أمره، فبينما هم كذلك إذا بجثته الشريفة قد
 أُلقيت من أعلى القصر بلا رأس، ثمّ أتبع برأسه الشريف (٢).

(١) إِبصار العين للشيخ محمّد السماوي: ٨٧.

(٢) معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٤١.

* * * * *

ثمّ إنّهم أخذوا مسلماً وهانياً يسحبونهما في الأسواق، فبلغ خبرهما إلى بني مذحج، فركبوا خيولهم وقاتلوا القوم، وأخذوا مسلماً وهانياً فغسلوهما ودفنوهما.

وفي بعض مؤلّفات أصحابنا عن قبسات الشيخ درويش علي البغدادي: "لما قُتل مسلم وجري ما جرى، ربطوا برجله حبلاً وجزّوه في أسواق الكوفة.

قال الشعبي: فمرّبه رجلٌ أعرابي من أهل واقصة يقال له: حنظلة بن مرّة الهمداني، وكان من شيعة عليّ بن أبي طالب، وهو راكبٌ على مطيته، فقال: ويلكم يا أهل الكوفة، ما فعل هذا الرجل الذي تفعلون به هذا الفعّال؟! فقالوا: هذا خارجيٌّ خرج على الأمير يزيد بن معاوية. فقال: يا قوم، بالله عليكم ما يقال له؟ وما اسمه؟ قالوا: مسلم بن عقيل ابن عمّ الحسين (عليه السلام). فقال: ويلكم، إذا علمتم أنّه ابن عمّ الحسين فلمّ قتلتموه وسحبتموه على وجهه؟!

ثمّ نزل يقاتل حتّى قتل أربعة عشر رجلاً، فتكاثروا عليه حتّى قُتل وعجّل الله بروحه إلى الجنّة، وربطوا برجله حبلاً وسحبوه على وجهه حتّى رمي على كناسة الكوفة بجانب مسلم بن

عقيل.

فقال الشعبي: فبقيت تلك الجثة الطاهرة على وجه الأرض من غير غسل ولا كفن.

ولما دجى الليل ونامت كل عين، شددت زوجة ميثم التمار على نفسها وخرجت إلى الكناس، وحملت مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وحنظلة بن مرة إلى دارها، ولما انتصف الليل ونامت كل عين حملتهم إلى جانب المسجد الأعظم ودفنتهم بدمائهم، ولم يعلم بها أحدٌ إلا زوجة هاني بن عروة، لأنها كانت في جوارها - رحمة الله عليهم ورضوانه -» (١).

مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم (ت ١٣٩١):

«... فأمر ابن زياد رجلاً شامياً أن يصعد به إلى أعلى القصر ويضرب عنقه ويرمي رأسه وجسده إلى الأرض» (٢).

الأمالي للشجري:

«فلما أتى بمسلم وقد عرس عبيد الله بن زياد بأُمّ أيوب بنت عتبة، قال: فأُتي بهاني بن عروة المرادي، فلما أدخل على

(١) معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٤٧، وسيلة الدارين للزنجاني: ٢٠٩.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٨٩.

عبيد الله قال: استأثر على الأمير بالعرس. قال: وهل أردت العرس يا هاني؟ ورماه بمحجنٍ كان في يده، فارتجّ في الحائط، وأمر به إلى السوق فضربت عنقه.

ثمّ أمر بمسلم بن عقيل، فقال: ائذن لي في الوصيّة، فقال: أوص. فدعا عمرو بن سعد للقرابة بينه وبين الحسين، فقال له: إنّ الحسين قد أقبل في سيّافة وتّراسه وأناسٍ من ولده وأهل بيته، فأبعث إليه من يحذّره وينذره فيرجع، فقد رأيت من خذلان أهل الكوفة ما قد رأيت. فقال له عبيد الله: ما قال لك هذا؟ قال: قال لي كذا وكذا، فأخبره الخبر، فقال عبيد الله: إنّه لا يخون الأمين، ولكنّه قد يؤتمن الخائن»^(١).

محتويات الكتاب

• مسلم بن عقيل عليه السلام وقائع الشهادة •

٧	تقديم
١١	المقدمة
١٣	أقسام الأخبار
١٤	القسم الأول: المختصرة
١٤	القسم الثاني: المفصلة
١٧	الأسر بعد أن بذل غاية المجهود
٢١	متى انتهت الحرب؟
٢٢	الوقت الأول: في الليل
٢٣	الوقت الثاني: في الصباح
٢٥	هل أوثقوه كِتافاً؟
٢٥	الطائفة الأولى: في مجلس ابن مرجانة
٢٦	الطائفة الثانية: بعد أن وقع صريعاً
٢٨	وقفة مواساة مع البطل الهاشمي الجريح

- ٣٣.....حركته عليه السلام من الميدان إلى القصر
- ٣٣.....المجموعة الأولى: من دارطوعة مباشرة دون حرب
- ٣٤.....المجموعة الثانية: من ميدان القتال
- ٣٧.....بين الميدان القتال وقصر الحبال
- ٣٨.....نُقل على بغلة
- ٣٩.....الفائدة الأولى: الذهاب راكباً
- ٣٩.....الفائدة الثانية: ركوب المولى بنفسه
- ٤٠.....الفائدة الثالثة: اختيار البغلة
- ٤١.....لماذا اختيار البغلة؟
- ٤٢.....نُقل فوراً
- ٤٥.....باب قصر الحبال
- ٤٨.....إحداهما: دخول السبايا والرؤوس
- ٤٨.....الثانية: وقوف مسلم عليه السلام
- ٤٩.....هل أوقف المولى مسلم عليه السلام على باب القصر؟
- ٤٩.....القسم الأول: لم تذكر الوقوف
- ٥٠.....القسم الثاني: المكث مقدار الاستسقاء
- ٥١.....القسم الثالث: الوقوف حتى خروج الإذن
- ٥١.....المحصلة
- ٥٢.....جلوسه على باب القصر
- ٥٣.....المتواجدون على باب القصر
- ٥٧.....عطشه عليه السلام
- ٥٧.....تنبيهات
- ٥٧.....التنبيه الأول: الاستسقاء
- ٥٩.....التنبيه الثاني: العطش وطبيعة الحرب

- ٦٠ التنبيه الثالث: الإياء الطالبي ..
- ٦٠ التنبيه الرابع: مواساة سيّد الشهداء عليه السلام
- ٦٢ التنبيه الخامس: شكا عطشه إلى الله أولاً ..
- ٦٣ التنبيه السادس: امتناعه عن شرب الماء
- ٦٤ التنبيه السابع: سقيه وهو مكتوف
- ٦٥ التنبيه الثامن: سقوط ثنياه ..
- ٦٦ التنبيه التاسع: خسة العدو ونذالته
- ٦٦ متى استسقى المولى الغريب عليه السلام؟
- ٦٧ الأول: أثناء الحرب
- ٦٨ الثاني: بعد الأسر
- ٦٩ الثالث: على باب القصر
- ٧٠ من الذي ردّ على المولى الغريب عليه السلام؟
- ٧٠ من الذي أمره بالماء؟
- ٧١ أحدهما: عمارة بن عقبة بن أبي معيط ..
- ٧١ الآخر: عمرو بن حريث الباهلي ..
- ٧١ من الذي باشر سقيه؟
- ٧٢ من أين جاؤوا بالماء؟
- ٧٣ المحصلة
- ٧٤ استمرار عطشه من الحرب إلى الشهادة ...
- ٧٧ داخل القصر
- ٧٧ دخول الأسد الهاشمي على الجرو الأموي ...
- ٧٩ التفاتة: مواساة عيال سيّد الشهداء عليه السلام ..
- ٧٩ رفض السلام على ابن زياد
- ٨٠ القسم الأول: لم تذكر السلام

- ٨١ القسم الثاني: رفض السلام
- ٨٣ القسم الثالث: لم يسلم بشرط الاستبقاء
- ٨٥ فرية تمتي الاستبقاء
- ٨٦ الملاحظة الأولى: وجود نصوص لم تذكر السلام
- ٨٧ الملاحظة الثانية: علم المولى بشهادته
- ٨٧ الملاحظة الثالثة: مجريات الأحداث تؤكد إرادة قتله
- ٨٨ الملاحظة الرابعة: طبيعة أخلاق الأحرار والأبوة
- الملاحظة الخامسة: إذا سلم عليه بالإمرة، فما فرقه عن الخونة
- ٨٩ الذين خذلوه؟!!!
- الملاحظة السادسة: تجني المؤرخ على المولى عليه السلام بتأكيد حبه
- ٩٠ للحياة والبقاء
- ٩١ تنكر ابن زياد للأمان الذي أمر به
- ٩٥ الوصية
- ٩٥ الوصية الأصل
- ٩٧ الوصية قبل الشهادة
- ٩٧ طلب الوصية وقبول ابن زياد
- ٩٧ طلب المولى عليه السلام وإجابة اللعين
- ١٠٠ مبادرة المولى بعد الطلب دون انتظار الإذن
- ١٠١ قول ابن أعثم
- ١٠٢ مبادرة المولى إلى الوصية دون طلب ذلك من اللعين
- ١٠٣ لم يذكر الوصية
- ١٠٣ موقف عمر بن سعد
- ١٠٤ الصنف الأول: مبادرة ابن زياد
- ١٠٤ الصنف الثاني: مبادرة ابن سعد

- الصف الثالث: قبول ابن سعد دون انتظار الإذن ١٠٦
- الصف الرابع: امتناع ابن سعد إلا بعد الإذن ... ١٠٧
- دواعي اختيار عمر بن سعد ١٠٩
- النكتة الأولى: عمل أهل البيت عليه السلام بظواهر الأنساب ١٠٩
- النكتة الثانية: تمسك أهل البيت عليه السلام بالقرابة وإن بعدت ... ١١٣
- النكتة الثالثة: ما هي القرابة بين المولى الغريب عليه السلام وابن سعد؟ ١١٤
- النكتة الرابعة: تشكيك البعض ١١٥
- الداعي المنصوص عليه ١١٦
- الدواعي غير المنصوص عليها. ١١٧
- دواعي قبول الوصيّة من قبل ابن سعد ١٢٩
- هل كانت الوصيّة سرّاً؟ ١٣٤
- السبب الأول: خبث ابن سعد ١٣٧
- السبب الثاني: عزّة مسلم عليه السلام .. ١٣٧
- السبب الثالث: رعاية لمقام سيّد الشهداء عليه السلام ١٣٧
- موادّ الوصيّة ١٣٩
- الوصيّة في نقاط ١٤٣
- النقطة الأولى: الوصيّة بتقوى الله ١٤٤
- النقطة الثانية: إبلاغ سيّد الشهداء عليه السلام بخيانة القوم وخديعتهم
وغدرهم وتكذيبهم ١٤٤
- النقطة الثالثة: إبلاغ سيّد الشهداء عليه السلام بما أصاب المولى
الغريب عليه السلام ١٤٧
- النقطة الرابعة: قضاء دينه ١٤٧
- النقطة الخامسة: طلب الحجّة من ابن زياد ومواراتها ١٥٥
- النقطة السادسة: الشهادة الثالثة ١٥٦

- النقطة السابعة: عدد مَنْ خرج مع الحسين عليه السلام ١٥٧
- نذالة ابن سعد وإفشائه السرّ ١٦٣
- الإفشاء بعد طلبٍ من ابن زياد ١٦٥
- مبادرة ابن سعد ١٦٥
- الصورة الأولى: بإلقاء الخبر مباشرة ١٦٥
- الصورة الثانية: الإلقاء بعد الاستئذان ١٦٧
- موقف ابن زياد من الإفشاء ١٦٩
- الإشارة الأولى: تملّق ابن سعد وتوثّبه ١٧١
- الإشارة الثانية: تنكّر الطاغية للأخلاق ١٧٢
- الإشارة الثالثة: رياء الطواغيت ١٧٥
- الإشارة الرابعة: تحقير ابن سعد ١٧٦
- الإشارة الخامسة: معرفة ابن زياد بالمولى الغريب عليه السلام ١٧٧
- الإشارة السادسة: لا يخونك الأمين ١٧٨
- إفشاء السرّ بعد الشهادة ١٨٢
- دواعي الإصرار على الإفشاء ١٨٣
- أثر إفشاء السرّ ١٨٥
- الجواب على الوصيّة ١٨٩
- القسم الأول: ردّ ابن زياد على ابن سعد ١٨٩
- الأمر الأول: المبادرة بالجواب ١٩٢
- الأمر الثاني: المال ١٩٢
- الأمر الثالث: الوصيّة لسيّد الشهداء عليه السلام ١٩٣
- الأمر الرابع: الجبّة ١٩٨
- الأمر الخامس: كذبة ابن كثير ٢٠٣
- القسم الثاني: الردّ على المولى ابن عقيل عليه السلام ٢٠٤

٢٠٥	الفائدة الأولى: المال
٢٠٥	الفائدة الثانية: الحجّة
٢٠٦	الفائدة الثالثة: طغيان ابن زياد
٢٠٧	القسم الثالث: جواب عمر بن سعد
٢٠٨	النقطة الأولى: مبادرة ابن سعد
٢٠٨	النقطة الثانية: الشهادة
٢١١	تنفيذ الوصيّة
٢١٣	المحاججة والمناظرة
٢١٧	القسم الأول: المقتضية
٢٢٠	القسم الثاني: المفصلة
٢٣٦	وجود اختصار في النصوص المفصلة
٢٣٩	فقرات المحاججة
٢٤١	المحور الأول: المهمّة
٢٤٢	ردّ المولى مسلم عليه السلام
٢٤٥	ملاحظات
٢٤٥	الملاحظة الأولى: الضمائر في حديث مسلم عليه السلام
٢٤٦	الملاحظة الثانية: كتبوا وزعموا
٢٤٧	الملاحظة الثالثة: تشتت الجمع
٢٤٨	الملاحظة الرابعة: مؤدّى الدعوة
٢٤٩	الملاحظة الخامسة: لفظ أمير المؤمنين
	الملاحظة السادسة: الردّ على شقّ العصا ونفي الخلافة عن معاوية
٢٥٢	
٢٥٥	الملاحظة السابعة: من ألحق الفتنة
٢٥٩	الملاحظة الثامنة: الخلافة والمُلْك

- ٢٦٠... الملاحظة التاسعة: ادّعاء ابن زياد أنّه يعمل بالكتاب والعدل
- ٢٦١... الملاحظة العاشرة: ختام هذا المقطع من المحاجة
- ٢٦٣... المحور الثاني: شخص مسلم بن عقيل عليه السلام
- ٢٦٦... تعييره بأمّه
- ٢٦٩... الافتراء بالفسق! الشقاق! العقوق! الافتراء بشرب الخمر! القيان!
- ٢٧٧... ملاحظة: تشويه التاريخ!
- ٢٧٨... المحور الثالث: تمّي السلطة
- ٢٨٨... الردّ الأول: أهل الأمر
- ٢٩١... الردّ الثاني: اليقين
- ٢٩٤... الردّ الثالث: لمن الحقّ في الخلافة؟
- ٢٩٩... المحور الرابع: التهديد بسوء القتل
- ٣٠٣... لو كان معي عشرة
- ٣٠٤... المحور الخامس: الشتم والسبّ وانتهاك المقدّسات
- ٣٠٨... الطائفة الأولى: السكوت
- ٣٠٩... الطائفة الثانية: الردّ
- ٣١٣... السقي! التحريم بالشرف في غير الخنزف؟
- ٣١٥... الاحتمال الأول: أن تكون إشارة غائبة
- ٣١٥... الاحتمال الثاني: التحريم بالمعنى الثاني
- ٣١٦... المحور السادس: تمّي الشهادة على يد شرّ البريّة
- ٣١٧... المطلب الأول: إعلان النهاية
- ٣١٨... المطلب الثاني: الاطمئنان بالعاقبة
- ٣١٩... المطلب الثالث: الشهادة رزق
- ٣٢٠... المطلب الرابع: قاتله شرّ البريّة
- ٣٢٢... المحور السابع: الردّ على الأمر بالقتل

٣٢٤.....	قوة المولى في محاجة ابن زياد.....
٣٢٩	الأمر بالقتل.....
٣٣٥	الشهادة.....
٣٣٥	القسم الأول: المقتضبة جداً.....
٣٣٨.....	القسم الثاني: فيها شيء من التفصيل.....
٣٤٨	من المباشر للقتل؟ هل هو بكر (بكير) بن حمران الأحمري؟ ..
٣٥٤.....	السبب الأول: نقل المصادر التي صرحت بقتله
٣٥٤.....	السبب الثاني: شدة الإصابات.....
٣٥٤.....	السبب الثالث: عدم تصريح بعض المصادر بمباشرة
٣٥٦	السبب الرابع: احتمال أن يكون المباشر غيره
٣٥٨	دافع مشترك.....
٣٥٩	الموضع الذي قُتل فيه.....
٣٦١.....	الاحتمال الأول: التصحيف
٣٦٢	الاحتمال الثاني: تقارب المواضع
٣٦٢	الاحتمال الثالث: اختلاف المواضع بمرور الزمان
٣٦٥	لماذا صُعد به إلى السطح؟.....
٣٦٥	الغرض الأول: التخويف.....
٣٦٦	الغرض الثاني: تحطيم المقدسات
٣٦٧.....	الغرض الثالث: التنكيل والتشقي والتشهير.....
٣٦٨.....	الغرض الرابع: التفرد بالقتلة
٣٦٩	ذكر الله ودعائه عند القتل.....
٣٧١	ملاحظات
٣٧١	الملاحظة الأولى: السكينة والوقار.....
٣٧٢	الملاحظة الثانية: الصلوات الكاملة

الملاحظة الثالثة: أذلّونا!.....	٣٧٣
الملاحظة الرابعة: التسبيح والتكبير والاستغفار.....	٣٧٣
الملاحظة الخامسة: الدعاء.....	٣٧٤
الملاحظة السادسة: الصلاة ركعتين.....	٣٧٧
الملاحظة السابعة: مسلم أول من زار الحسين على مرتفع، واستحباب ذلك كما في الروايات.....	٣٧٧
الملاحظة الثامنة: أبيات شعر قبل الشهادة.....	٣٨١
تتمّات.....	٣٨٣
التمّة الأولى: قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام.....	٣٨٣
التمّة الثانية: حضور ابن زياد!.....	٣٨٤
التمّة الثالثة: لم يُقتل بأول ضربة.....	٣٨٤
التمّة الرابعة: الردّ إلى آخر لحظة.....	٣٨٥
التمّة الخامسة: الفخر عند الموت.....	٣٨٦
التمّة السادسة: السؤال عن قتله.....	٣٨٨
التمّة السابعة: ما رآه القاتل عند قتله وتعليل ابن زياد.....	٣٨٩
التمّة الثامنة: يبست يد القاتل ورأى النبي صلى الله عليه وآله	٣٩١
التمّة التاسعة: كيف رُمي عليه السلام من فوق القصر.....	٣٩٢
النمط الأول: أتبع رأسه جسده.....	٣٩٢
النمط الثاني: هوى الرأس أولاً.....	٣٩٣
النمط الثالث: ألقى الرأس.....	٣٩٤
النمط الرابع: سقطت الجثة أولاً.....	٣٩٤
النمط الخامس: رُمي حياً.....	٣٩٥
تشويّهات.....	٣٩٧
الصّلب.....	٤٠٣

٤٠٥	موضع الصَّلْب
٤١٠	الصَّلْب منكوساً
٤١١	أول جثةٍ صُلِبَتْ لبني هاشم
٤١١	مدّة الصَّلْب
٤١٣	جرّه في الأسواق
٤١٦	اللّوعة الأولى: السحب بالحبال
٤١٨	اللّوعة الثانية: جرّ الصبيان
٤١٩	اللّوعة الثالثة: بلوغ الخبر لسيد الشهداء (عليه السلام) ..
٤٢١	اللّوعة الرابعة: مدّة السحب
٤٢٣	تجهيز الأجساد الطاهرة
٤٢٣	الطائفة الأولى: تجهيز ابن سعد
٤٢٥	الطائفة الثانية: تجهيز مذحج
٤٢٥	الطائفة الثالثة: تجهيز زوجة ميثم
٤٢٧	الطائفة الرابعة: الصلاة عليه!
٤٢٩	ناصر الجثمان المقدّس حنظلة بن مرّة
٤٣٠	فوائد
٤٣٣	بعث الرؤوس إلى الشام
٤٤٠	عدد الرؤوس المبعوثة
٤٤١	حاملو الرؤوس إلى الشام
٤٤٣	أول رأس هاشميٍّ يُحمَل
٤٤٥	كتاب ابن زياد ليزيد
٤٤٨	الكذبة الأولى
٤٤٨	الكذبة الثانية
٤٤٨	الكذبة الثالثة

٤٤٨	الكذبة الرابعة
٤٤٩	الكذبة الخامسة
٤٤٩	الكذبة السادسة
٤٥٠	الكذبة السابعة
٤٥٣	جواب يزيد على كتاب ابن زياد
٤٥٩	مقاطع الكتاب
٤٥٩	المقطع الأول: ذكر ابن زياد وشكره
٤٦٥	المقطع الثاني: ذكر الرسولين ومدحهما
٤٦٦	المقطع الثالث: إصدار الأوامر
٤٧٠	المقطع الرابع: تهديد ابن زياد
٤٧٣	صلب الرؤوس في الشام
٤٧٤	لفتة
٤٧٧	مواد البحث

